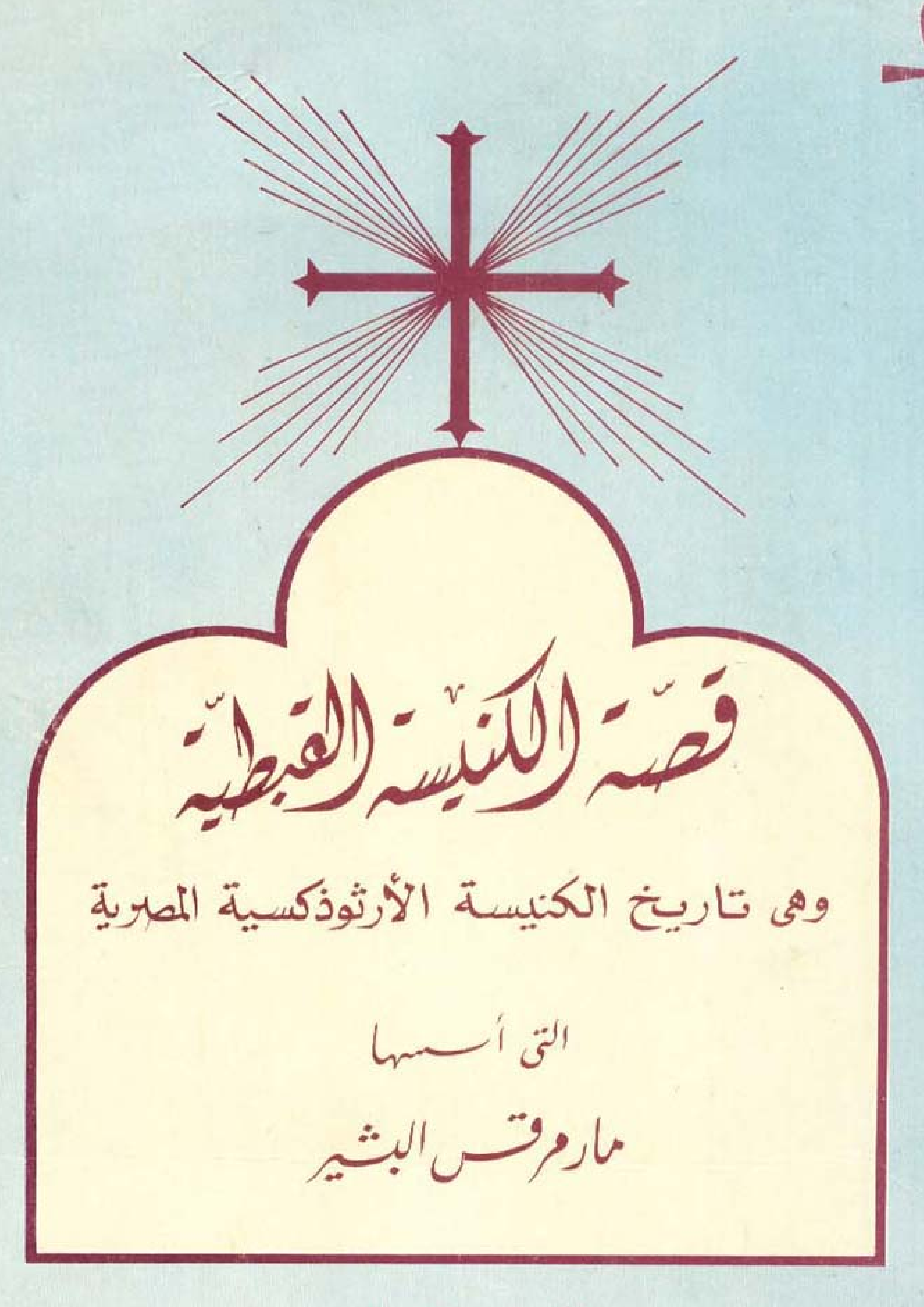


قصة الكنيسة القبطية

وهى تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية

التى أسسها

مارمرقس البشير

الكتاب السابع

بقلم
ايريس حبيب المصرى

مكتبة المحبة

قصة الكنيسة القبطية

وهى تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية

التى أسسها

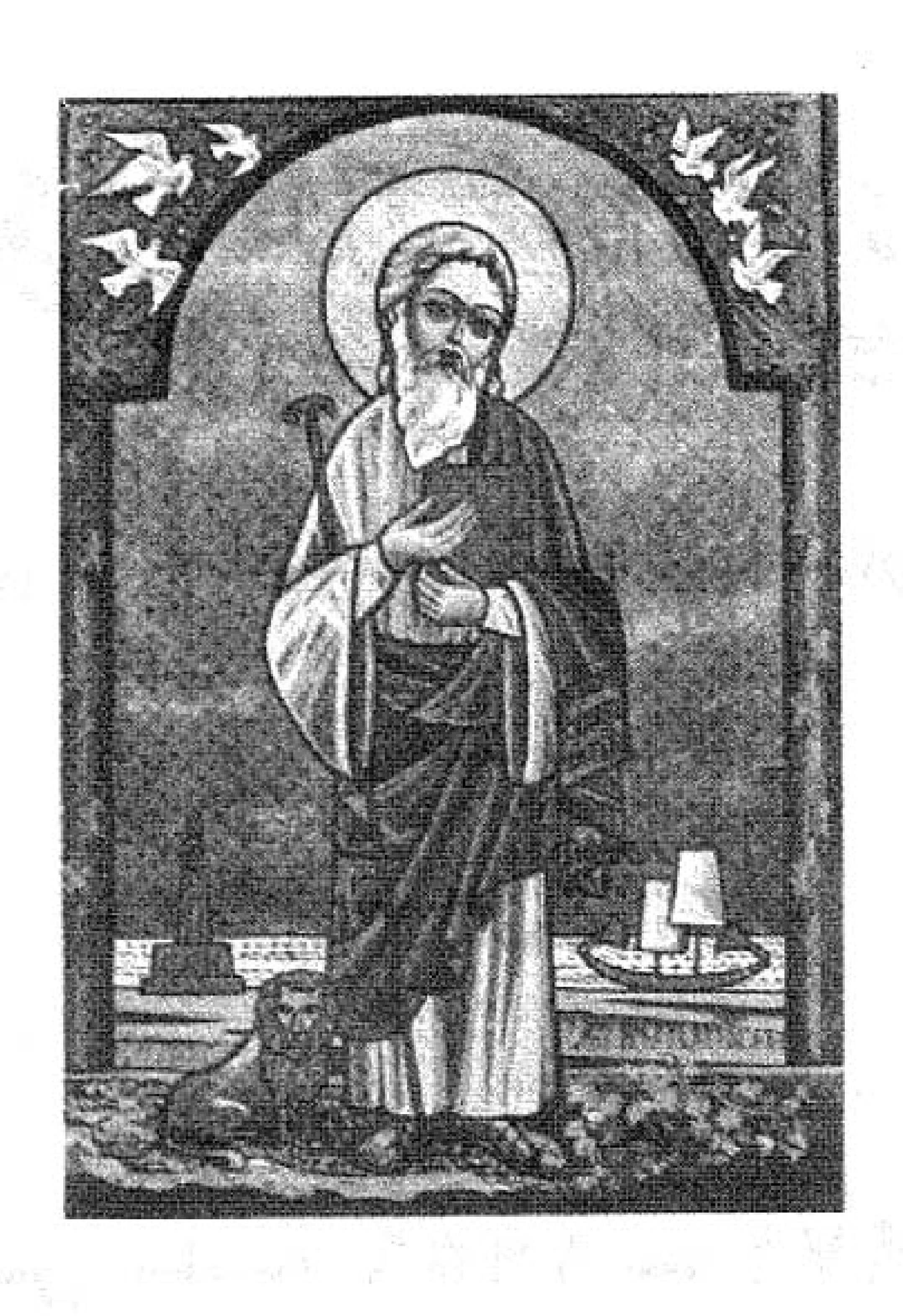
مارمرقس البشير

فترة من البهاء
من سنة ١٩٥٦ ـ ١٩٧١

الكتاب السابع

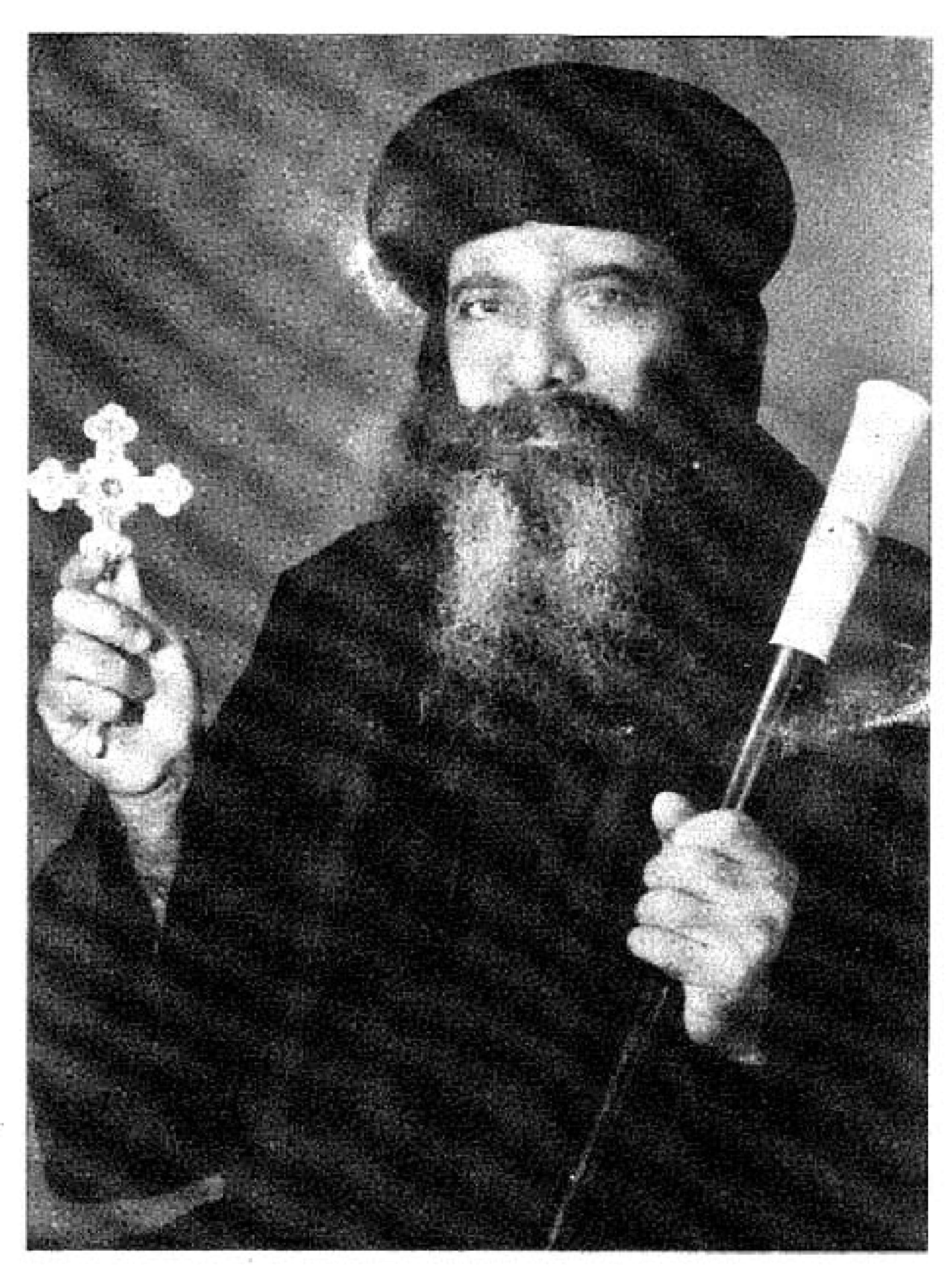
بقلم
إيريس حبيب المصرى

مكتبة المحبة



مار مرقس الرسول
كاروزنا الحبيب

للفنانة بدوز لطيف
حرم الفنان يوسف نصيف



قداسة البابا المعظم **الأنبا شنوده الثالث**

الإهداء

إلى كل معتز بكنيستنا المصرية ،

متهلل بعمالقتها ،

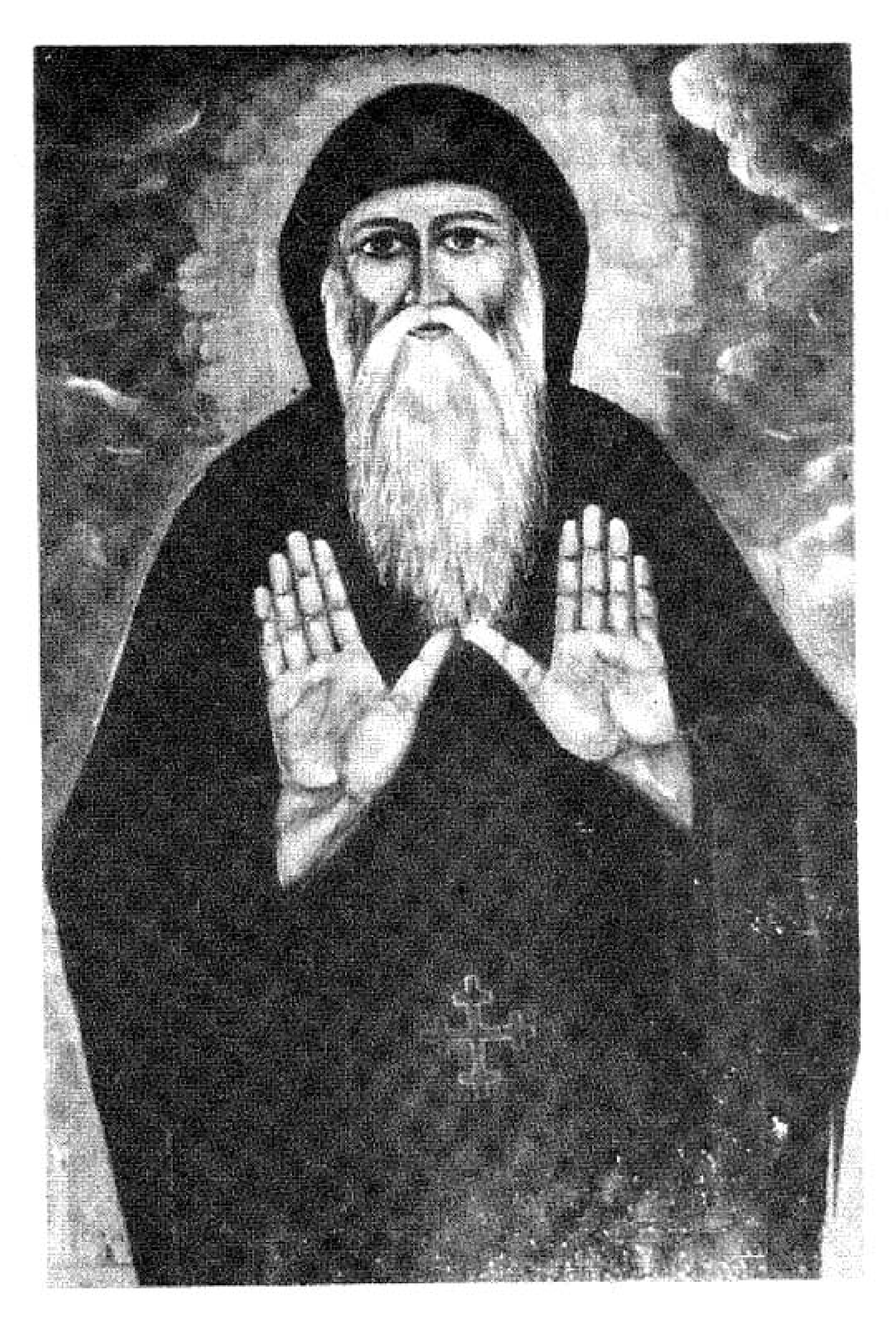
إلى جميع محبّى

قداسة البابا كيرلس السادس ،

مع المحبة والولاء

فتـــرة مـــن البهـــاء

مقـــدمـــــــة



القديس أنبا مكارى الكبير

أبو برية شيهيت

الأستاذة الفاضلة إيريس
سلام من رب السلام

قرأت سيرة البابا كيرلس السادس . والحق أنى وجدتها أصغر حجماً من صاحبها وعدت إلى نفسى فوجدت أن التقديم لهذا البابا ينبغى بل يتحتم أن يكون بقلم من أنعم عليهم بالمراتب العليا تكريماً لهم وتكريماً لمن أنعم . فأرجو وأنا المخلص دائماً لتاريخ الكنيسة ومؤرخيها أن تعفينى هذه المرة فقط من شرف تصدير كتاباتك القيمة .. راجياً لك الصحة والعافية وطول العمر .

القمص متى المسكين

الواقع أنى أوافق كل الموافقة على قول أبينا متى المسكين من أن السيرة العطرة التى لقداسة البابا كيرلس السادس أصغر حجماً من صاحبها ، فالحجم الحقيقى لحياته القدسية لن يحتويه سجلّ غير ذلك المكتوب فى السماوات . أما الصور العابرة المسجّلة فى هذا الكتاب فأرجو أن تكون حافزاً لكل من عرف هذا العملاق الروحى الذى أسعدنا رب الكنيسة برعايته الحانية يحفّزه إلى الكتابة عنه . والحق أنه يؤسفنى أن « أبناء البابا كيرلس السادس » قصروا كتاباتهم على المعجزات التى ما زال قداسته يجريها إلى الآن . وأهيب بهم أن يوجهوا عنايتهم فى الأجزاء الآتية إلى مقدراته العجيبة فى المجالات الأخرى .

واستميح قدس أبينا متى المسكين عذراً لنشر كلمته من غير استئنائه ، فقد صَعُب علىّ أن يصدر جزء من « قصة الكنيسة القبطية » لا ترد فى أوله كلمة منه ،

إيريس حبيب المصرى

الاعتراف بالفضل لذويه

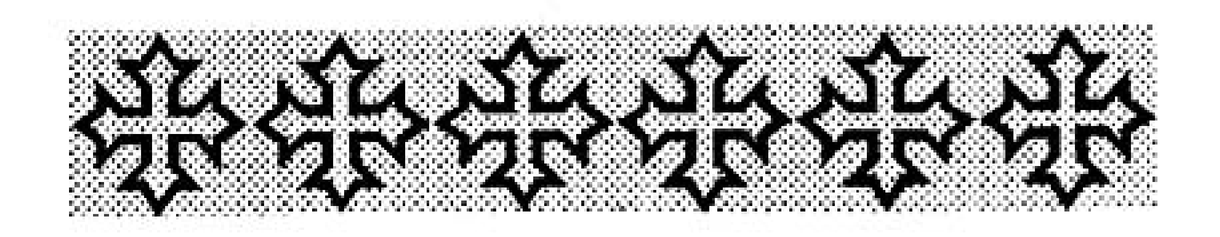
لست أدرى كيف أشكر الآب السماوى لتفضلّه علّى بأن أصل فى التأريخ لكنيستنا المحبوبة إلى تسجيل سيرة القديس العظيم البابا كيرلس السادس وعصره . ولكن الذى أدريه هو أننى مهما رفعت من الشكر إليه فلن يكون كافياً . إذ أن تشكراتى ليست سوى نقطة ضئيلة بالنسبة إلى محيط لا غور له .

ومع اعترافى بفضل رب الكنيسة علىّ أرفع شكرى إلى القديس العظيم أنبا مكارى الكبير أبى برية شيهيت . فلقد سمحت المراحم الإلهية أن أحضر القداس الإلهى بمناسبة عيد إصعاد جسد السيدة والدة الإله بذلك الدير العريق . فرجوت ، يومذاك ، هذا القديس الساطع بالنور أن يساعدنى على كتابة سيرة الأنبا كيرلس السادس وعصره . فتفضّل بأن ألهمنى تسمية هذه الحقبة بأنها « فترة من البهاء » . ثم عاوننى على إتمام كتابته فى شهرين ونصف !

وليس هذا بغريب ، فعجائب الله فى قديسيه ، ومعاونتهم إيانا ضمن هذه العجائب .

ولا يفوتنى أن أشكر قدس أبينا القمص متى المسكين لتفضّله بمراجعة الكتاب بدقّته المعهودة .. كذلك أشكر كل الأحبة الذين استحثونى على تدوين هذه الفترة البهية .

ايريس حبيب المصرى



مقـــدمـــــة :

حالما جلست لأستنير بالكتابة عن البابا كيرلس السادس وعن عصره اللامع ترددت فى ذاكرتى كلمات الأنبا شنودة وهى : « الذى يسير دائماً فى طريق الحق لا يستاء مطلقاً من كلمة الحق : أن تقال أو أن تُكتب بل يشجعها ... »[1] وارتكانا على رب الكنيسة وعملاً بقول البابا الجليل فالضرورة الموضوعة علىّ تحتّم تسجيل الأحداث التاريخية على حقيقتها الواقعية . ومن هذا المنطلق أعتزّ بالقول **إن المتابع لانسياب تاريخ كنيستنا القبطية يتمعّن تهتزّ نفسه هزة الفرح والعجب معاً : إنه تاريخ مفرح عجيب** وقد يدهش البعض من كونه مفرحاً مع أنه مليء بالاضطهادات والآلام . ولكنّ المتمسكين برب الكنيسة عاشوا فى اليقين الذى عبّر عنه بولس الرسول : « أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ »[2] . بل إنهم كانوا يهتفون فى أعماقهم : « ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة نتغيرّ إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الروح »[3] . وبما أن السيد المسيح كان يحيا فيهم ، وبما أنهم كانوا ينظرون مجد الرب بوجه مكشوف ، فإنهم عاشوا فى فرح روحى عجيب .

وهنا تقوم فى ذاكرتى صورة لصديقة هندية مسيحية قالت لى بعد زيارتها لكنائس مصر العتيقة ، وكانت واقفة آنذاك داخل كنيسة القديسيْن سرجيوس وواخس (أبى سرجة) : « إن الذين بنوا هذه الكنائس كانت قلوبهم ممتلئة سلاماً » . أجبتها : « إنهم عاشوا فى اضطهادات مريرة » . قالت : أعرف ذلك جيداً . ولكنهم لم يدعوها تتسرّب إلى داخلهم بل تركوها خارجاً حتى أن السلام الفائض على قلوبهم امتد منهم إلى كنائسهم ! » وإذ رأت الدهشة على وجهى قالت : « إنى شعرت داخل هذه الكنائس بسلام لم أشعر به فى أى مكان آخر فهم لم يمتلئوا سلاماً فحسب بل هم تركوه داخل الكنائس التى بنوها شاهداً على عمق حياتهم فى السيد المسيح » .

بهذه الكلمات أهدف إلى أن تاريخ كنيستنا كان ساطعاً على مدى العصور . بل إنه فى العصور الوسطى كان أكثر بهاءً !

والهدف من التوكيد على استمرار سطوع النور الإلهى خلال كنيستنا هو الإجابة على الذين يكتبون عن شخص زين كنيستنا على زعم أنه « فريد » لا مثيل له ! ولكنّ تعظيم شخص لايكون

---

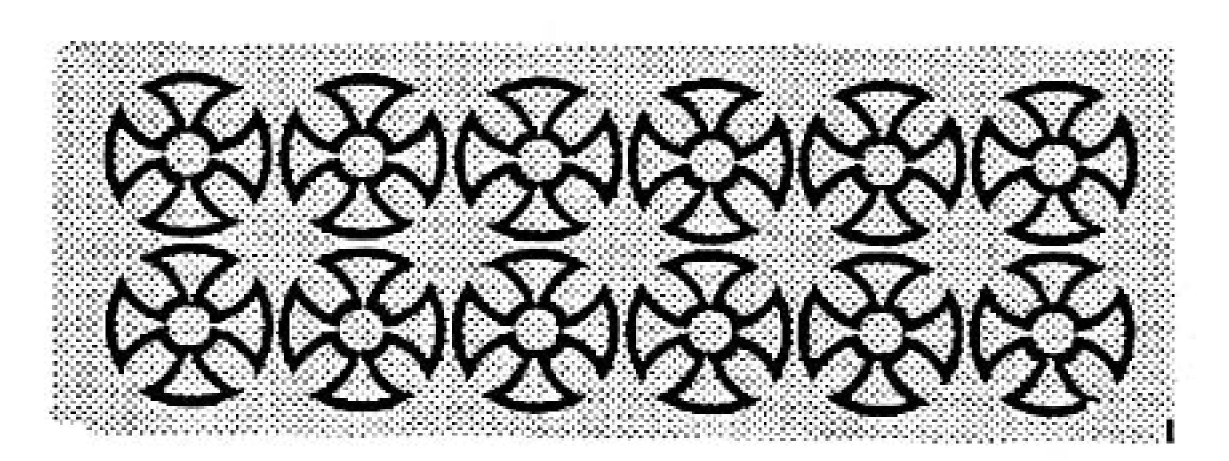
(١) عن مجلة الكرازة ، العددين الثانى والثالث للسنة الأولى ، فبراير ومارس سنة ١٩٦٥ ص ٢٨

(٢) غلاطية ٢ : ٢٠

(٣) ٢ كورنثوس ١٨:٣

على حساب التقليل من غيره . فمثل هذا العمل افتئات على **كنيستنا المحبوبة التى بحياتها فى ربها منحها قديسين وقديسات فى كل عصر . ولقد عبّر د. راغب عبد النور عن هذا الواقع البهى بعنوان لأحد كتبه هو « كنيستى أم ولود »**[1] .

وإننا لنجد وصية خطيرة للغاية هى قول رب المجد : « كما أرسلتنى إلى العالم أرسلهم إلى العالم »[2] . والمعنى لهذه الوصية هى **أنه وضع علينا أن نحمل رسالته فندرك بأننا « كسفراء عن المسيح .. »**[3] . فهل تفكرّنا فى كل ما تحمله هذه الوصية ؟ إن لم نكن قد تفكّرنا فقد آن الأوان لنيقظ أنفسنا إليها إذ قد عهد إلينا بأن نحمل نيره ونسير فى الطريق الذى اختطه هو ذاته . **إنه شاء فى محبته اللا محدودة أن يجعل الإنسان هو الذى يؤدى عمله على هذه الأرض .**



(١) جـ ٣ من هذا الكتاب ص ٣٢٩

(٢) يوحنا ١٧ : ١٨

(٣) كورنثوس ٥ : ٢٠

تمهيـــد

وانتقل الأنبا يوساب الثانى إلى الفردوس فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، وكان المطران الثالث الذى اعتلى السدة المرقسية . فعمّ الحزن عليه . لأن الشعب القبطى ، على الرغم من أى حَدَث ، وفى كل عصر ، متعلق بكل قلبه للجالس على الكرسى المرقسى : ينظر إليه بوصفه الخليفة للكارز العظيم . وهذه النظرة تجعله يعلو فوق الأحداث الزمنية . والواقع أنه قام فى « قصة » الكنيسة المصرية المحبوبة باباوات أصيب الشعب فيهم بخيبة الأمل[١] . ولكن هذا الأسى لم ينسهم صميمية قوميتهم العقيدية ، فظلوا متمسكين بها حريصين على كل تعاليمها متطلعين نحو حنان رب الكنيسة الذى قال لتلاميذه وهم وسط أمواج البحر : « أنا هو لا تخافوا »[٢] . بل إن القبط يعتبرون باباواتهم حلقة الإتصال بينهم وبين ماضيهم ، ونقطة التلاق بين حاضرهم ومستقبلهم . وهذا هو السبب فى تجليسهم البابا المنتقل على كرسيه ثلاثة أيام بعد انتقاله ليتزوّدوا ببركته ريثما يأتى خليفته .

ولقد ظل الكرسى الباباوى شاغراً من ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ إلى ١٠ مايو سنة ١٩٥٩ . وخلال هذه الفترة لم ترتفع الصلوات فقط بل سار القبط على خطة الرسل فى التشاور والتداول معاً . وخلال صلواتهم ومداولاتهم سرت بين القلوب موجة عارمة من الرغبة فى العودة إلى قانون الرسل الرابع عشر الذى ينصّ على أنه ليس مسموحاً لأسقف (أو لمطران) أن يترك إيبارشيته لغيرها ، ولا أن يجمع بين إيبارشيتين[٣] لأنه « زوج » إيبارشيته و« أبو » شعبها . فكما تحرّم كنيستنا العريقة على العلمانى أن يترك امرأته لغيرها أو أن يتزوج بامرأتين هكذا تحرّم على الأسقف (أو المطران) أن يجمع بين إيبارشتين أو أن يترك كرسيه الأسقفى ليعتلى الكرسى الباباوى .

هذا من زاوية القانون الكنسى ومن الزاوية الأخرى فالأسقف (أو المطران) الذى يصبح بطريركاً لا تقام شعائر لرسامته إذ هى أقيمت عند رسامته الأولى ، وهذه الشعائر لا تعاد لذلك توصف بأنها صلوات « تنصيب » لا غير وبهذا التنصيب يفقد الشعب النشوة التى تملأ القلوب خلال شعائر رسامة راهب للسدة المرقسية . **فكسر القانون الرسولى والتقاليد الأصيلة يتضمن حرمان الشعب من متعة روحية عظمى . وهذه المتعة الروحية وصفها د. ماكلاين (مدير الجامعة الأمريكية فى الخمسينات) بأنها شعائر « رهيبة »[1]** — ولا عجب فى أن يصفها هذا الغريب

---

(١) انظر جـ٢ ص٣٣٨-٣٣٩ و٤٩٢-٤٩٣ ، جـ٣ ص٣٥-٣٦

(٢) متى ١٤ : ٢٨

(٣) جـ١ ص٣٦٢ والهامش ، جـ٢ ص ٣٧٥-٣٧٦ ، جـ٤ ص٣٠٩-٣١٢ ، جـ٥ المقدمة صأ٦ ، جـ٦ ص١٨ وهامشها ص٢٢-٢٦ وهامش (١) على ص٢٧ ، جـ٦ ص١٠-١٥ .

(1) Dr. Maclane: awesome

الجنس بتلك الكلمة لأنها الشعائر التى ألهمها الروح القدس للآباء ليرتفع بها من كان راهباً مغموراً إلى الرياسة الكنسية العليا .

ونتيجة لحرية الكتابة والكلام التى تمتع بها القبط سنة ١٩٥٦ استمروا فى كتابة المقالات والنشرات وعلى التداول والاجتماعات — وفيها كلها اشترك الآباء المطارنة مع العلمانيين فى ألفة وهدوء .

ولكى نعرف إلى أى مدى التهبت القلوب يجب أن نعرف أن عدد الذين قيّدوا أسماءهم كناخبين فى القاهرة وحدها بلغ خمسة آلاف وخمسمائة . وهم أيضاً قدموا ترشيحاتهم لمن يتطلعون نحو قيادته العليا . وهؤلاء المرشَّحون كانوا ثلاثة هم أبونا متى المسكين وقد حصل على خمسة آلاف وأربعمائة صوت فى تزكيات هؤلاء الناخبين ، أبونا مكارى السريانى وقد حصل على خمسة آلاف وثلاثمائة صوت وأبونا أنطونيوس السريانى وقد حصل على خمسة آلاف ومائتَى صوت[1] .

وبازاء هذه الرغبة العارمة من الشباب ، وبأزاء تزكيتهم لثلاثة من الشباب ، أصاب الذعر الشيوخ من الآباء المطارنة ومن رجال المجلس الملى : الذعر من أن يكون راعيهم الأول شاباً ! فدفعهم ذعرهم إلى إلغاء لائحة الانتخاب وإصدار لائحة جديدة قرروا فيها أن المرشَّح للكرسى الباباوى يجب أن لا يقلّ عمره عن أربعين سنة ساعة خلو الكرسى ! وهذه أول مرة فى تاريخ كنيستنا المحبوبة يُسمع فيها بتحديد السن . وهم لم يحددوا السن فقط بل أضافوا أيضاً « ساعة خلو الكرسى » والغرابة فى هذا التحديد أن أنبا أثناسيوس الرسول كان فى السابعة والعشرين على أكثر تقدير ، بينما كان الباباوان الجليلان أنبا كيرلس عامود الدين وخليفته المباشر أنباديسقورس بطل العقيدة الأرذثوذكسية فى السادسة والثلاثين . وفى هذه الأمثلة الساطعة ما يكفى للتدليل على أن السن لم يدخل ضمن شروط انتخاب البابا المرقسى . وتهدئة للخواطر أدرج أنبا أثناسيوس (مطران بنى سويف السابق) اسم الراهب مينا المتوحّد بوصفه المعلم والمرهبن لهؤلاء الشباب المرغوب فيهم .

على أن شبابنا عامة قد توارثوا جيلاً بعد جيل توقير الآباء — بل هى وراثة جاءتهم من أقدم العصور الفرعونية لوضوحها فى النقوش والكتابات المسجلة على جدران المقابر وفى البرديات التى تبقّت منذ عصر هرم سقارة . وبهذا التوقير المتوارث بلعوا ما أصابهم من خيبة أمل . وليس من شك فى أن رب الكنيسة أجزل العطاء للشباب لهذا التوفير حين شاءت عنايته أن يصل القمص

---

(١) إن أبانا أنطونيوس السريانى هو الآن البابا شنودة الثالث ، بينما صار أبونا مكارى السريانى أنبا صموئيل أسقف العلاقات العامة والخدمات الاجتماعية . ولا حاجة إلى القول بأنى عشت هنا التوقّد النفسى . بل لقد قيّدت اسمى ، وقيد معى خمس وثلاثون سيدة ، أسماءنا للاشتراك فى الانتخاب ولكن وكيل المجلس الملى شطب أسماءنا حتى من قبل تغيير اللائحة !

مينا البرموسى المتوحّد إلى كرسى مار مرقس الجليل . ولقد اشترك الأثيوبيون لاول مرة فى الانتخابات البابوية بناءً على دعوة من القمص مينا نفسه .

ووفقا للتقليد الكنسى القبطى تشكّلت لجنة لفرز المرشحين إذ يقتضى هذا التقليد أن لايزيد عددهم عن سبعة ولاينقص عن ثلاثة كى لا تتبعثر أصوات الناخبين . وبعد التشاور والتفاهم أصدرت هذه اللجنة قراراً يوم ٣ مارس سنة ١٩٥٩ (٢٤ بابه سنة ١٦٧٥ ش) بتحديد يوم الجمعة ١٧ أبريل لانتخاب ثلاثة من بين المرشحين ففاز القمص دميان المحرق والقمص أنجيليوس المحرق والقمص مينا البرموسى ، وتبع هذا الفوز إجراء قرعة هيكلية يوم الأحد ١٩ أبريل أسفرت عن نجاح القمص مينا .

١ ـــ القرْعة الهيكلية :

وقبل البدء فى السيرة العطرة نتساءل : هل القرعة الهيكلية مبدأ مسيحى ؟ ولنرجع إلى عهد النعمة الذى منحه إيانا فادينا الحبيب . فنجد أن الرسل الأطهار حين أرادوا انتخاب من يحلّ محل يهوذا الاسخريوطى لجأوا إلى القرعة الهيكلية . وهذه هى المرة الأولى والأخيرة التى عملوا فيها بالقرعة ، وكان هذا قبل حلول الروح القدس فيهم[١] . أما بعد ذلك فكانوا يجتمعون ويصلون ويتشاورون ثم يتخذون الخطوة اللازمة معلنين : '' وقد رأى الروح القدس ونحن ... ''[٢] فلماذا لم يلجأوا إلى القرعة ثانية ؟ ذلك لأنهم فى البداية لم يكونوا قد لبسوا قوة من الأعالى[٣] فنهجوا منهج أجدادهم . **ومن هذا المسلك نرى أن القرعة الهيكلية مبدأ يهودى . ونحن نعلم أن الفادى الحبيب أعطانا حرية مجد أولاد الله كما أعطانا وزناته** . وعن هذا المثل علمنا الآباء أنه لو كان صاحب الخمس وزنات استخدم أربعة لوبّخه الرب على تقصيره ! **وإحدى هذه الوزنات هى العقل الذى ميّز به الرب الإنسان على كافة المخلوقات بشرط إخضاعه للإرادة الإلهية كغيره من المواهب** . على أنه من عجب الله فى رعايته لكنيسته المصرية المحبوبة أنه يسهر عليها حتى متى حاد أولادها عن الطريق الأصيل إنه أمين فى مواعيده .

٢ ـــ ذكرى مارمرقس :

وأيضا من عجب الله فى حنانه على تلميذه الرسول الشهيد '' بى تيئوريموس ماركوس '' (رائى الله) أن حدث فى الفترة ما بين إعلان القرعة الهيكلية وبين حفل الرسامة **أن مجلس الكهنة الذى ألّفه نيافة الأنبا مرقس مطران طهطا وطما وأبوتيج أقام حفلا بعيد القيامة المجيدة جعل منه فرصة للتعيد باستشهاد مارمرقس كاروزنا المحبوب** . ومن بركة الرسول الشهيد أن جمع الحفل كل كهنة

---

(١) أعمال ١ : ٢٣-٢٦ (٢) أعمال ١٥ : ٢٨ (٣) لوقا ٢٤ : ٤٩

الايبارشية وأعداداًوفيرة من الشعب . وشاركهم الفرحة القمص شنودة فهيم راعى القبط بملوى وسكرتير رابطة الكهنة بالمنيا ، والقمص نخلة من الآباء الكهنة بالقوصية . ولقد ألقى القمص شنودة كلمة إضافية عن الكاروز **وأشاد بإقامة احتفال شعبي لذكراه العطرة . وطلب إلى رب الكنيسة أن يجعل هذه الفكرة تعمّ كل إيبارشيات الكرازة المرقسية** . ثم تقدم بالشكر للأنبا مرقس على تأليفه مجلس الكهنة وعلى ما يتوقّعه الجميع من الخير بفضل هذا المجلس الذى يقرّب بين القلوب ويمنح رعاة الكنيسة نعمة التعارف والتقابل والتآزر .

ولم يفتهم فى هذه المناسبة أن يعبّروا عن فرحتهم بوصول القمص مينا المتوحد إلى السدة المرقسية طالبين إلى الله أن يمدّ فى حياته المباركة ويؤازره فى كل خطواته .

٣ ــ نشأة الأنبا كيرلس

ولتمتّع أرواحنا الآن بمتابعة سيرة الراهب المتوحّد الذى شاء محب البشر أن ينعم به على كنيسته المصرية الوفيّة فى مطلع هذا القرن إذ هو من الشخصيات الشامخة التى تزيّنت بهم كنيستنا من جيل إلى جيل وينطبق عليه قول الشاعر :

يصلح الملك على طائفةٍ هم جمال الأرض حيناً بعد حين
ملأوا الدنيا على قلّتهم وقديماً مُلِئت بالمرسلين

.... بزغت شمس حياته يوم ٢ أغسطس سنة ١٩٠٢ حين منح الله أسرة يوسف عطا ابنا دعوا اسمه عازر ، وكان الثانى بين أخوين آخرين كبيرهما حنا وصغيرهما ميخائيل . وكانت هذه الأسرة أصلاً من الزوك الغربية بالصعيد . ثم نزحت فى أواخر عهد المماليك إلى طوخ النصارى (بالمنوفية) . **ومن البديهى أن الحياة العائلية التى عاشها عازر من طفولته كانت مشبّعة بروح البر والقداسة : يجتمع أفرادها كلهم مساءً ليسهروا استماعاً إلى الكتاب المقدس وسير القديسين وتعاليمهم** . كانت أسرة ذات صلة وثيقة بالسيدة العذراء وبالقديسين تحرص على زيارة كنائسهم أو مزاراتهم فى أيام تذكاراتهم وكان عيد مارمينا أحب الأعياد إلى قلب عازر إذ كانت العائلة تقضى أسبوعاً فى كنيسته بإبيار[1] .

ثم استقر بهم الأمر فى دمنهور . وكان بيتهم ملتقى الكثيرين وبخاصة مكان استراحة للرهبان . ومن بين المترددين عليهم باستمرار راهب شيخ اسمه القمص تادرس البرموسى كانت له جاذبية خاصة

(١) هنا الدليل البالغ على أهمية التربية العائلية فالعائلة المسيحية الحقة هى أيقونة للكنيسة . فمباركون هم الآباء والأمهات الذين يربّون أولادهم فى طريق الرب منذ نعومة أظفارهم .

فى قلب الطفل عازر لوجهه الصبوح المبتسم ولحيته الطويلة البيضاء وذات ليلة بينما الأم منشغلة بأعمالها البيتية نام عازر على ركبتى هذا الراهب الشيخ . وحين جاءت أمه وحملته بين ذراعيها اعتذرت لضيفها الوقور . فقال لها : « **لا داعى للاعتذار لأنه من نصيبنا** » . نعم كان من نصيبهم لأنه حتى فى طفولته الأولى كان يحتج حين يجد أصنافاً من الطعام على المائدة بقوله : « **هناك** كثيرون لا يجدون غير الخبز الجاف بل وبعضهم لا يجدونه ونحن نتلذذ بكل هذه الأطعمة ؟! » .

ومن طريف ما حدث أنه كان هناك كتّاب بجوار المنزل لفقيه حلو المعشر اسمه أحمد علوش اقترح ذات يوم على يوسف عطا أن يرسل عازر إلى كتّابه أثناء العطلة فوافقه على ذلك ، وواظب عازر على الكتّاب . وفرح فرحاً عظيماً حين اقترح الفقيه عليه **ذات يوم أن يحضر معه انجيلاً فأطاعه . وبعد فترة دهش الجميع إذ وجدوا عازر** والفقيه قد حفظا انجيل يوحنا بأكمله عن ظهر قلب !

وانتقلت الأسرة إلى الاسكندرية . وهناك اشتغل يوسف عطا وكيلاً لدائرة أحمد يحيى باشا . **وكانت هذه الدائرة مقراً لرجال الوفد وبالتالى كانت مركزاً للحركة الوطنية فى فترة الثورة العظمى التى أشعلها سعد زغلول**[1] . **فوجد عازر فرصة مواتية للتعبير قولاً وعملاً عن وطنيته الصميمة .**

٤ ـــ بداية العمل

وما إن أتمّ عازر دراسته الثانوية حتى اشتغل بشركة كوكس للملاحة (وهى شركة انجليزية) . وكان مديرها أسترالياً شديد الوطأة على الموظفين إلى حد أنهم كانوا يتجنّبون مقابلته ولتشدده كان يقف أحياناً عند أعلا السلالم فى مواجهة المدخل ليراقبهم وهم داخلون . وكان عازر يبدأ عمله فى التاسعة صباحاً فيمر على الكنيسة المرقسية فى ذهابه . وذات يوم كان المدير واقفاً على السلّم كعادته **فلما دخل عازر حيّا المدير بتلقائية لطيفة . فسأله عن سبب تأخره . أجابه فوراً وبكل بساطة بأن عمله يبدأ فى التاسعة فهو فى الموعد تماماً . فقال المدير للرئيس المباشر لعازر : « لقد علّمنى هذا الشاب أن احترمه لرباطة جأشه »** .

وفى أحد الأيام كلّفه المدير بالإشراف على الإجراءات الجمركية الخاصة بقائد انجليزى كبير عائد إلى وطنه . وحينما فتحوا الحقائب فى صالة التفتيش فوجىء عازر بعثوره على حافظة نقود القائد وسط ملابسه . ولما انتهى من عمله عاد إلى المدير يحمل إليه حافظة النقود . وكان القائد جالساً إلى جواره . ولفرحته باستلامها كاملة قدم للشاب الذى أحضرها له مائة جنيه أسترلينى مكافأة فرفضها رفضاً باتّاً . وفى اليوم التالى فوجىء مفاجئة ثانية هى زيادة مرتّبه عشرة جنيهات شهرياً .

---

(١) جـ ٥ ص ٨٣ـــ٨٤

٥ ــ التهيؤ للرهبنة

ومع نجاحه فى عمله وترقيته المستمرة بدأ عازر يهيء نفسه للرهبنة . يقضى أوقات فراغه فى الكنيسة بالإضافة إلى المواظبة على حضور القداس الإلهى وغيره من الصلوات وعندما يأوى كلّ إلى مخدعه يقضى ليله ساهراً يقرأ الأسفار الإلهية ويصلى كما أنه أخذ يدرّب نفسه على الصمت والتأمل . فكان يقول لأهل بيته حين يجدهم يكثرون من الحديث والمزاح : « مليته الهوا كلام ! » وبعد أن أصبح البابا الاسكندرى قال ذات مرة لأحد رجال الكهنوت : « هدّيت الكنيسة بكثر الكلام » كل هذا دون أن يفقه أحد بما يستهدفه .

ثم فوجىء حنا ، شقيقه الأكبر بمكالمة تليفونية ذات صباح تستدعيه لمقابلة مدير عام شركة كوكس . ولما ذهب تضاعفت المفاجئة إذ أراه المدير نص الاستقالة التى قدمها عازر له ، وهو : « بما أن لدىّ أعمالاً هامة لا يسعنى أن أتخلّى عنها لذلك أقدم استقالتى من العمل وأرجو أن يتمّ قبولها حتى نهاية شهر يونية سنة ١٩٢٧ » . فى المساء دار حديث العائلة عن سبب الاستقالة فوضح أنه يرغب فى الرهبنة . وعندها اشتعلت المقاومة لا من والديه وإخوته فقط بل من كل الأهل والأقارب . ولكنه انتصر عليهم جميعاً . أليس الذى حدث فيما بعد لعازر درساً للآباء والأمهات ؟

وذهب عازر لمقابلة الأنبا يؤنس مطران البحيرة والمنوفية آنذاك . ولما عرف المطران الجليل عائلته رفض طلبه ما لم يحضر أبوه وشقيقه الأكبر معه . وبما أن أباه كان يعرف مضاء عزيمته اقترح عليه أن يتناول الأسرار المقدسة قبل أن يبتّ فى الأمر . وكان القمص يوحنا جرجس الكبير أبو اعتراف عازر رجلاً صالحاً حكيماً فى مشورته محبوباً من شعبه . فقابله يوسف عطا وأبلغه بكل الحديث الذى دار بينهم بخصوص رغبة عازر فى الرهبنة . فأعلن له هذا الكاهن الحكيم مساندته لعازر قائلاً : « إننى أرى أنه رسم لنفسه طريقاً مستقيماً لأن الله هو الذى دعاه للرهبنة » .

ونتيجة لتوجيه القمص يوحنا ذهب عازر لمقابلة الأنبا يؤنس بصحبة أبيه وشقيقه الأكبر . ومع أن المطران الجليل قابلهم بالترحاب إلا أنه حاول أن يثنيه عن عزمه بالتوسع فى متاعب الحياة الرهبانية ومتطلبّاتها أجابه طالب الرهبنة : « هذه كلها رسمتها أمامى . ولى الآن خمس سنوات أمارس طريق الرهبنة بكل حرص وأنا فى بيت أبى » . وبعد حديث قصير وافق الأنبا يؤنس قائلاً : « سأهيء لك سبيل الرهبنة » . ومن تلك الساعة لازم عازر الآباء الرهبان الذين كانوا يدرسون بالأكليريكية التى كان قد أنشأها البابا الوقور أنبا كيرلس الخامس[١] .

---

(١) جـ ٥ ص ٥٠

٦ ـــ رهبنته فكهنوته

وفى ٥ أبيب سنة ١٦٤٣ ش (١٢ يوليو سنة ١٩٢٧ م) ، وهو يوم عيد الرسل بكّر عازر إلى الكنيسة حاملاً على كتفه قفة مملوءة فطيراً كانت قد أعدته أمه لتوزيعه . وقد أصرّ هو على أن يحمل الفطير بنفسه وأمام معارضة عائلته قال : « ألم يحمل رسل السيد المسيح القفاف المملوءة كسراً » المتبقية من الخمس خبزات والسمكتين ؟ ولما وصل إلى الكنيسة وزّع الفطير بيده معلناً إبتهاجه لقبوله فى الرهبنة .

وعندما انتهت السنة الدراسية عاد الرهبان إلى أديرتهم . وقد رّتب له الأنبا يؤنس أن يذهب مع القس بشارة البرموسى[1] . وسافر الأثنان صباح ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٧ . فلما عرف أمين الدير مضمون الرسالة المرسلة من المطران الجليل أخذ عازر إلى القلاية التى سيقيم فيها . ومن فرحة طالب الرهبنة نظّف القلاية ورتّبها وفرشها بروق سميك كان قد أحضره معه . وارتدى جلباباً أسود وطاقية سوداء .

وكان عازر « مدمناً » الصلاة يحضر فى الكنيسة وقت الصلوات الجماعية ثم يعود إلى قلايته مباشرة وفى سكون . وانقضت عدة أيام ذهب بعدها لزيارته خمسة من شيوخ الرهبان أحدهم القمص عبد المسيح المسعودى الكبير[2] وانشرحت صدورهم حين رأوا القلاية ، وقال القمص عبد المسيح لهم : « أصله حارت ومستنى السيل » ـــ بمعنى أنه أعدّ نفسه لسيل النعمة وحين همّ الآباء بالانصراف احتضنه بحنان أبوى وقال له : « من هذه الساعة وهبك لى الرب لتكون ابناً مباركاً » والواقع أن أبوّة القمص عبد المسيح كان بركة عظمى منحها الله للشاب الذى تطلّع نحوه منذ صباه .

ولقد أقيمت الصلوات لرهبنته فى ٦ هاتور سنة ١٦٤٤ ش (٢٥ فبراير سنة ١٩٢٨) – أى يوم بداية الصوم الكبير – باسم مينا . ولما تمت الطقوس تقدم إليه الشيخ الصامت القمص يعقوب وباركه بقوله : « ليباركك الرب يا ابنى وليؤهلك لنعمته . وليُفض عليك من روحه القدوس فيجعلك أميناً إلى النَفَس الأخير » .

وضاعفت هذه الشعائر من تواضع مينا ووداعته . فقام بمتطلّبات حياته الجديدة وعلى الأخص بخدمة الشيوخ من الرهبان . ولما كان شغوفاً بسير الآباء وبتعاليمهم فقد اعتنى بالمكتبة مما فتح أمامه أبواب المعرفة . وركزّ على قراءة ما كتبه ماراسحق السريانى تركيزاً جعله ينسخها فى خمسة مجلدات غلّف كلاً منها بغلاف أنيق وفقاً لتوجيهات راهب شيخ اسمه القمص باخوم . ففرح بعمله أبوه الروحى ـــ القمص عبد المسيح ـــ واقترح عليه أن ينشر مجلة شهرية لبنيان إخوته فى الدير . فأطاع وأصدر مجلة باسم « ميناء الخلاص » من اثنتى عشرة صفحة يكتبها بيده من أولها إلى آخرها ويصدر

(١) فيما بعد أنبا مرقس مطران طهطاو طما وأبو تيج (٢) جـ ٥ ص ١٠٦-١٠٨

نسخاً بعدد رهبان الدير لكي يعطى كل واحد منهم نسخة واستمر يكتبها ويوزعها طوال السنوات الخمس التى قضاها فى الدير . وبالإضافة فقد أخذ على عاتقه عمل القربان .

وبعد أن تفانى فى الخدمة والسهر والصلوات بالدموع الحارة أقام أنبا ديمتريوس مطران المنوفية الشعائر التى جعلت من الراهب القس مينا صباح الأحد ١١ أبيب سنة ١٦٤٧ ش (١٨ يوليو سنة ١٩٣١ م) .

ثم اختير للدراسة فى الكلية اللاهوتية للرهبان بحلوان[١] . وهناك تخيّر صديقاً صدوقاً هو الراهب القمص كيرلس الأنبابولا[٢] . وتفاهما على تأدية صلاة عشية كل مساء والقداس الإلهى كل صباح باكراً . وسارا على هذا النظام فترة ثم فوجئا ذات يوم برؤية بيت القربان متهدّماً . ومن نعمة الله أن كان فى مواجهة بيت الرهبان مخبزاً أفرنجى فأخذ القس مينا القربان إليه فرحّب صاحب المخبز به . ثم رفع الصديقان الأمر إلى القمص ميخائيل مينا مدير الكلية . فعقد مجمعاً تشاور فيه مع الرهبان واستقر رأيهم على إقامة صلوات العشية والقداس الإلهى يومياً بالتناوب بين كل الكهنة من الرهبان . فكانت هذه الشعائر المباركة فرصة لتناوب الوعظ أيضاً هيأتهم للتدرّب على هذه المسئولية فأفادت كل من أقيم أسقفاً فيما بعد .

٧ ــ توحده

وحال انتهاء القس مينا من الدراسة عاد إلى ديره **ثم أحس فى عمق نفسه برغبة جارفة إلى التوحّد** . وحين عبّر عن هذه الرغبة قوبل بمعارضة عنيفة إذ لم يكن قد مضى على رهبنيته غير خمس سنوات . ولكن القمص عبد المسيح أباه الروحي وافقه لتوّه . وبعد مناقشة قصيرة أعلن خمسة من شيوخ الآباء : « فلتكن مشيئة الله وعنايته . وليستمر القس مينا تحت رعاية أبيه الروحى . » فتهلل قلب طالب الوحدة وهتف : ليكن اسم الرب مباركاً » . وأدّى المطانية للآباء .

وغادر الدير إلى مغارة تبعد مسيرة ساعة منه . وتفاهم مع أبيه الروحى على أن يعترف له بكل ما يحدث وبما يختبره من استعلانات روحية . وقد أوصاه أبوه الروحى أن يحضر إلى الدير مساء كل سبت لصلاة عشية ويبقى إلى ما بعد ظهر الأحد . ومن الأسبوع الأول فرح الآباء لما رأوه على وجه القس مينا من الفرح .

لقاء غير متوقَّع ــ وذات يوم من سنة ١٩٣٣ سمع القس مينا قرعاً على بابه لأول مرة منذ توحّده فلما فتحه وجد شخصين عرف منهما أن أحدهما أمريكى ومدير لكلية لاهوت بنيويورك ، وثانيهما د . حسن فؤاد مدير مصلحة الآثار العربية . وكانا قد زارا دير البرموس . وعند خروجهما

---

(١) جـ ٣٦ ص ٤٠

(٢) فيما بعد أنبا كيرلس مطران البلينا

التقيا عن غير قصد بأعرابى عرض عليهما زيارة الناسك المتوحّد . فلما جلسا قال له الأمريكي إنه جاء ليجمع كل ما يمكنه من المعلومات عن الرهبنة القبطية تمهيداً لوضع كتاب عنها . وقضى الاثنان ما يقرب من ساعتين معه . ولما عزما على الانصراف عبّر الأمريكى عن فرحته بالمعلومات الوفيرة التى استقاها منه . أما المصرى . فأخرج كارته الشخصى وأعطاه للقس مينا وقال له : « شكراً لك يا أبى فقد رفعت رأسنا عالياً وشرّفت الرجل المصرى . وأرجو أن أتمكّن من تقديم البرهان العملى عن عمق تقديرى واحترامى لك » .

ولم تمض بضعة أيام بعدها حتى فوجىء المتوحد بزيارة أخرى فرح بها فرحاً عظيماً — هى زيارة البابا الجليل أنبا يؤنس . وكان فى زيارة للدير الذى قضى فيه سني رهبنته ، ومن محبته لهذا الدير كان يسميه « دير البرموس البهى » و« ودير الأنبا كيرلس الخامس » . وحين انتهت زيارته أعرب عن رغبته فى زيارة القس مينا على الرغم من شيخوخته ومن عناء المشى فى الصحراء — فزاره ودعا له بالبركة .

ثم حدثت أحداث أدت إلى أن يستأذن القس مينا من البابا أن يسمح له بالسكنى فى طاحونة على مرتفع من جبل المقطم يطلّ على القاهرة . وبينما هو يتجوّل بين الطواحين سأله الغفير المنوط بحراستها عما ينتويه . ولما عرف قصده أبلغه بأنها من مخلّفات المماليك وهى تابعة لمصلحة الآثار العربية . وممنوع قطعياً لأى شخص أن يسكن فى إحداها ما لم يحصل على إذن من مدير المصلحة نفسه . **ففى اليوم التالى قصد القس مينا إلى المصلحة وقدّم كارت د . حسن فؤاد للفراش الواقف ببابه وقال له : « من فضلك قل للسيد المدير أن من أعطيته هذا الكارت يرجو مقابلتك » . وكم كانت دهشة الفراش كبيرة إذ رأى مدير المصلحة يخرج بنفسه ويعانق الناسك بحرارة ويدخله إلى مكتبه . وما إن عرف مطلبه حتى كتب له خطاباً إلى الغفير يأمره فيه بأن يدع العابد يتخيّر الطاحونة التى يريدها ويقيم فيها »**(١) . وليس بمستغرب أن هذا الناسك المتواضع اختار طاحونة لا سقف لها ولا باب !

على أن مراحم القدير شملته برعاية فائقة . ذلك أنه كان قد تعرّف بالقمص داود مرقس راعى كنيسة الملاك ميخائيل المعروفة بالملاك القبلى والقائمة عند سفح المرتفع الذى يعيش فيه . وأحب الاثنان بعضهما محبة مقدسة عميقة . ونتيجة لذلك وبمعاونة القمص يوحنا شنودة راعى كنيسة السيدة العذراء (المعلقة) ومرقس بك فهمى من كبار موظفى محافظة القاهرة تم بناء سقف للطاحونة وفوقه دور ثان ل يكون هيكلاً . كذلك وضعوا لها الباب والنوافذ اللازمة . وهيأ ذاك الذى شعور رؤوسنا محصاة أمامه شماساً عجوزاً اسمه المقدس مليكه كان يصعد يومياً إلى الطاحونة من الثانية

---

(١) وقد أعد وكيل المصلحة عقداً معه صوناً له من أية مضايقة

إلى السابعة صباحاً ليخدم مع القس مينا صلوات القداس الإلهى .

السلطان على الوحوش الضارية ــ لقد شاء مبدع الأكوان ، فى شامل محبته أن يمنح قديسيه تلك السلطة التى كان قد أعطاها لآدم قبل السقوط ــ وهى السلطان على الوحوش الكاسرة . فكم من سِيَر مقدسة نتعلم منها أن الضوارى كان تجلس عند أقدام أحباء الله[1] .

ومن طريف ما حدث للقس مينا أنه بعد سكناه بعضاً من الوقت ، حينما كانت الطاحونة بغير باب ، فوجىء ذات مساء بدخول ذئب إليه . فرسم عليه علامة الصليب المقدس وسأله : « ماذا تريد يا مبارك ؟ » وإذا بالذئب يقبع عند قدميه ويقضى ليلته معه . وفى الصباح باكراً بعد أن صلى ، عمل لنفسه فنجالاً من القهوة فأخذ الذئب يشمشم الفنجال وابتسم رجل الله ابتسامته الوادعة وقال : « وانت كان عايز فنجان قهوة يا مبارك ؟! » وعمل له فنجالاً كبيراً فشربه الذئب وذهب لحال سبيله . ومن ذلك اليوم اعتاد الذئب أن يأتى إليه كل مساء ويبيت معه ويشرب القهوة فى الفجر ثم يخرج . وحدث أن كان فى زيارة القس مينا قريب لى اسمه جورجى إبراهيم . وتاخر عنده إلى قرب الغروب . وفيما هو خارج انزعج لرؤية ذئب يدخل الطاحونة فقال له رجل الله : « هذا شريكى فى الطاحونة » .

وهناك صورة نشرتها مكتبة المحبة للأنبا كيرلس واقفاً ويربض أمامه أسد . ولا غرابة فالأسد رابض باستمرار عند قدمىّ كاروزنا الحبيب .

٨ ــ دير الأنبا صموئيل

كان بجبل القلمون دير منذ العصور الأولى ، ونعرف أن أنبا غبريال الخامس[2] وقضى فيه سنى رهبنته . ثم انطوى هذا الديرطى النسيان إلى منتصف قرننا الحالى . وأراد أنبا اثناسيوس أن يعيد تعميره . فقصد إلى الأنبا يوساب وكان قائمقاما بطريركياً وأطلعه على رغبته . واقترح وضعه تحت رياسة القس مينا المتوحد . فوافقه أنبا يوساب على طلبه وعلى ذلك قصد الناسك إلى الدير ووجده فقيراً لا أوقاف له وبه عدد ضئيل من الرهبان . فبدأ أولاً بتعمير كنيسة السيدة العذراء القائمة بداخله . ثم كرّسها أنبا أثناسيوس وبهذه المناسبة أصبح القس مينا قمّصاً . وفرح الجميع تمكّنهم من معاودة الصلاة فى ديرهم . ومذاك أخذ هذا الدير فى الأزدهار وتزايد عدد رهبانه . وأعلن الآب الحنون مدى رأفته بأن سمح للرهبان أن يكتشفوا جسد الأنبا بسادة أحد الأساقفة الذين أستُشهدوا خلال اضطهاد دقلیانوس .

---

(١) جـ ٣ هامش (١) ص ٣٣

(٢) البابا الثامن والثمانون ، لسنة ١٤٠١-١٤٢٠ م

٩ ـــ خطوة جديدة

وحينما اختار القمص مينا حياة التوحّد امتلأت نفسه رغبة فى تعمير دير مارمينا بمريوط واستأذن البابا الجليل فوافقه . على أن الجيش البريطانى كان مازال رابضاً فى وادينا الرحيب . وكانت جيوشه متناثرة فى صحارينا وتحقيقاً لرغبة القس مينا كلّف الأنبا يؤنس حبيب المصرى بأن يكتب له خطاب التوصية الذى طلب فيه السماح للراغب فى الوحدة بالإقامة بين خرائب دير البطل الشاب . على أن القائد البريطانى رفض الطلب رفضاً قاطعاً . فاضطر آنذاك الراهب مينا أن يعيش بعيداً بالجسد عن قديسه المحبوب . ثم بعد أن اطمأن على دير الأنبا صموئيل القلمونى عاد إلى طاحونته بالجبل . وللمرة الثانية اضطره قائد الجيوش البريطانية أن يترك سكنه المختار لأن الحرب العالمية الثانية كانت مشتعلة وبالتالى كان الجنود البريطانيون منتشرين حول تلك البقعة .

وكانت صداقة القمص مينا للقمص داود مرقس على متنانتها كما أنه كان قد تعرف بأبينا قلاديوس كاهن كنيسة السيدة العذراء ببابلون الدَرَج . فقضى الفترة الأولى بعد نزوله من المقطم ما بين هذين الصديقين الروحيين . ثم عاوده الحنين إلى مارمينا وترددت أصداء هذا الحنين فى عمقه . وفكر هو وبعض محبيه فى شراء أرض يقيم عليها كنيسة باسم الشهيد الشاب الباسل وأيضاً مكاناً لسكناه . وآزرتهم العناية الإلهية فتمكنوا من شراء أرض مساحتها خمسمائة متر مربع . وبما أن الكثيرين كانوا قد عرفوا القمص مينا أثناء إقامته بالطاحونة فقد تضافروا فى هذا المشروع . وخطط له المهندس الأرثوذكسى الصميم حنا نسيم[1] . وما هى إلا فترة وجيزة حتى أصبح الحلم علماً . وقد أقيمت غرفة فوق سطح الكنيسة سكناً للناسك المتوحد وأقيمت فى مواجهة الكنيسة سلسلة من الغرف نصفها لتعليم أولاد الحى الفقراء الحرف البسيطة كالحدادة والسباكة والنجارة ، ونصفها الثانى للطلبة المغتربين . وفى تلك الفترة عاود إصدار مجلة ميناء الخلاص ولما اكتملت هذه الأبنية ذهب الأنبا أثناسيوس مستصحباً الأنبا ابرآم (مطران الجيزة) وقاما بشعائر التكريس الجليلة . وفى الحال بدأ الناس يتوافدون على هذه الكنيسة . **وفى الحال أيضاً جاء المغتربون ليجدوا فى القمص مينا أباً وديعاً عطوفاً يتجاوب مع كل انفعالاتهم . وقد خرج من هؤلاء الشباب الرعيل الأول من الرهبان الملتهبين محبةً بالكنيسة وبربها . وكان الاثنان الأولان أبانا متى المسكين والقمص مكارى السريانى (أنبا صموئيل) اللذان لبسا الزىّ الملائكى سنة ١٩٤٨ .**

أما الذين كانوا يذهبون للصلاة فأعدادهم كانت وفيرة . وكان من بينهم من يطلب الشفاء الروحى أو الجسمى فيمنحه الآب السماوى بغيته بصلوات قديسه . وإلى القراء مثلان مما كان يحدث يومياً : الأول عن **سيدة بروتستانتية من عائلة داود تكلا بهجورة** كانت عاقراً . فقصدت إلى القمص مينا ليصلى لها . وبعد الصلاة قال لها : « بإذن الله زى اليوم يكون عندك مينا » فلما تحقق

---

(١) هو الذى خطط كنيسة مارمرقس بشارع كليوباتر بمصر الجديدة وكان من أكبر المساهمين فى بنائها .

رجاؤها ذهبت لتشكره وسألته : « تصلى لى علشان طفل تانى ؟ » فابتسم ابتسامته الحلوة وقال : « بمشيئة الله يكون عندك دميانة برضه زى اليوم وكفاية كده » وتهللت السيدة فرحاً وقالت : « الحق معاك . كفاية كده » .

والمثال الثانى عن سيدة من آل الشريعى بسمالوط ، أصيب ابنها بخرّاج فى أذنه اليمنى وأكّد الطبيب ضرورة عملية جراحية وحدّد لها الميعاد أيضاً . وفى اليوم السابق على العملية كانت راكبة الترامواى وشاء الله أن تكون جلستها إلى جانب جار قبطى . فلما رأى الهمّ بادياً على وجهها وعرف السبب عرض عليها أن يستصحبها إلى القمص مينا المتوحد فرحّبت بالفكرة . ولما قابلاه غمس قطعة صغيرة من القطن فى زيت القنديل المضاء أمام أيقونة مارمينا وقال لها : « ضعى هذه القطنة فى أذن ابنك وبنعمة الله لن يحتاج إلى عملية » . وأطاعته عن ثقة ولما استصحبت ابنها إلى الطبيب فى اليوم التالى أبدى دهشته إذ وجد الأذن سليمة تماماً ! وقد ظلت هذه السيدة محتفظة بصورة القمص مينا فى حافظة نقودها طوال حياتها .

وثمة حادثة عائلية جديرة بالتسجيل تتلخص فى أنه كان لى عم اسمه لمعى حنين المصرى (وكان ضابطاً بالمباحث) مرض وظل مريضاً لفترة طويلة يتزايد فيها المرض عليه . فرأى قريب له يحبه كثيراً أن يطلب إلى القمص مينا الذهاب إليه للصلاة فوق رأسه . ولبّى رجل الله الطلب . وخلال الصلاة طلب كوباً من الماء صلى عليه . وقرب نهاية الصلاة انشرخ الكوب . وفى طريق العودة قال للذى استصحبه : « إن إرادة الله هى أن ينقل لمعى إلى فردوسه » . وما هى إلا أيام انتقل عمى بعدها . وفى هذا الحادث علامة على أن الله يستجيب : إنه يصغى إلى طلباتنا ويجيب عليها ، ولكن إجابته ليست بالضرورة كما نشتهى .

١٠ ــ ملحوظة حتمية

وظل الناسك الصبور على صمته وصلواته وأسهاره لغاية نوفمبر سنة ١٩٥٦ حينما نعى الناعى قداسة الأنبايوساب الثانى وبدأت حركة الترشيحات والدعايات للسدة المرقسية الكريمة . **ومن الضرورى التوكيد على أنه ظل بعيداً كل البعد عن هذه الحركة ظل غارقاً فى صمته وصلواته بل إن ترشيحه كان مفاجئة له وقد تقدم به أنبا أثناسيوس !**

وقبل البدء فى سرد مجريات الأمور فى الفترة الساطعة بالبهاء التى منحها الآب السماوى لكنيسته هناك ملحوظة تفرض نفسها فرضاً . لقد سأل الرسل الأطهار ربهم عند مواجهتهم الرجل المولود أعمى « من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى ؟ » فبماذا أجابهم رب المحبة ؟ لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه »[1] . وبعد ما يزيد على القرون الثلاثة من هذا التعليم الإلهى **أعلن لنا**

(١) يوحنا ٩ : ١ - ٣

البابا أثناسيوس الرسولى بأنه لولا مراحم الله لاحترق الكهنة والشماسة داخل الهيكل أثناء القداس الإلهى بنار اللاهوت الكامنة داخل الخبز والخمر المتحوّلين إلى الجسد المقدس والدم الكريم .
ولو تمعنّا حياة هذا البابا الجليل الذى يحمل لقب « حامى الإيمان » لأصابنا ذهول عميق . فباباويته دامت ستاً وأربعين سنة لم يذق فيها طعم السلام إلا فى السنوات الثلاث الأولى والخمس الأخيرة . ومن العجب بمكان أنه حين اعتلى العرش البيزنطى امبراطور أرثوذكسى صميم أعاد البابا البطل إلى مقرّ كرسيه مكرّماً لم يبق فى الحكم غير سبعة شهور بينما ظل الأباطرة الأريوسيون (ناكرو لاهوت السيد المسيح) سنين طويلة . فلماذا تركهم رب الكنيسة يستبدون هذه السنوات الطويلة أليس ليتمجد الله فى ثبات قديسيه وفى رسوخ شعبه ؟ والأمثلة عديدة على ما أصاب كنيستنا من ضيقات وربها تاركها لهذه الضيقات لتسير فى طريقه بالضبط . فهو البار الذى لم يعرف خطيه ، الله المتجسد ، هو بذاته رجل الآلام ومحتمل الأوجاع . بينما الذين عملوا به كل ما أرادوا ظلوا أحراراً يرتعون ويمرحون ! وقديماً عاتب النبى ربه قائلاً : أبرأ أنت من أن أخاصمك . لكن أكلمك من جهة أحكامك لماذا تنجح طريق الأشرار »[١] وإجابة فادينا الحبيب على هذا التساؤل : « إنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين[٢]

وبعد هذا التعليم الإلهى الصريح ، وبعد طريق الأشواك الذى جازه الرب وجازته كنيسته يتبارى كاتبو سيرة البابا الوقور كيرلس السادس فى المناداة بأن من قاوموه انتقم منهم الله ! كأن إلهنا ليس الله محبه » بل مازال « يهوه » القاسي !!!

ومن الأمثلة التى قدموها مطران جليل أدّى خدمات وفيرة للكنيسة فى الأراضى المقدسة **وفى مصر كانت له وقفات كلها بسالة . فلما دفع حياته ثمناً لبسالته روّج المروجون بأن استشهاده عقاب إلهى ![٣] ولقد تكررت هذه النظرية اللا مسيحية حينما سال دم الأنبا صموئيل على أرضنا التى عرفت دم الشهداء منذ أجيال طويلة[٤] .**

ويا للعجب إن أبناء الشهداء فى القرن العشرين يرون فى الاستشهاد غضباً إلهياً !!!

١١ ــ يوم ذو رنين خاص

حينما ذاع خبر فوز القمص مينا البرموسى المتوحد تهللت القلوب كلها على أن هناك واحداً انهالت دموعه غزيرة ــ هو الناسك الذى فاز بالسدة المرقسية . فهو يعشق العزلة من عمق قلبه . ووضحت فى حياته مدى رغبته فى أن يعيش « منفرداً مع الفريد » على أن « الفريد » فى حكمته التى لا تستقصى قد شاء أن ينقله من عزلته ويضعه وسط معمعة العالم ، شاء أن يضع عليه مسئولية

---

(١) أرميا ١٢ : ١ (٢) متى ٥ : ٤٥ (٣) جـ ٦ ص١٦٠ – ١٧١ ، الفقرة المعنونة شعبية واسعة والكتاب للمؤلفة
(٤) قصة الأنبا صموئيل .

رعاية شعبه ــ وإنها لمسئولية خطيرة ! ومن وَعَى خطورتها لا يسعه إلا أن يبكى طلباً للمؤازرة الإلهية . وحين توافد عليه الأحبار وهرعت نحوه الجماهير ، قال والدموع تملأ عينيه : « المجد لك يارب . فقد شئت اختيارى لتظهر قوتك فى ضعفى . وأنت عارف بأنى مرتعب أمام عظمة موهبتك . ولكنى متيقّن من أنك عادل لا تترك محبيك . وأن من عندك القوة والمؤازرة فأسير بمعاونتك » .

والطقوس الكنسية تحتّم على المختار من الله أن يستصحبه الآباء من ديره . لذلك غادر القمص مينا كنيسته بآخر مصر العتيقة وقصد إلى دير البرموس فجر يوم السبت ٩ مايو سنة ١٩٥٩ فى موكب له جلاله . وهناك دخل كنيسة السيدة العذراء التى تعلّم وهو وسط عائلته أن يحبها ويكرمها ويستشفع بها . وبعد أن نال بركة والدة الإله واستراح قليلاً قصد إلى أديرة السريان فأنبا بيشوى وأنبا مكارى الكبير . وقد صحبه من القاهرة فى هذه الزيارات أنبا أثناسيوس (وكان قائمقاما بطريركياً والكبير بين المطارنة) والأنبا كيرلس مطران البلينا رفيقة المحبوب والأنبا بنيامين مطران المنوفية ذو الروحانية العميقة . ثم عاد الآباء المكرّمون وهم يحيطون بالمختار من الله إلى القاهرة مساء اليوم عينه . وما إن وصلوا حتى دخل القمص مينا البرموسى وسجد أمام حجاب الهيكل ورفع صلاة الشكر .

وفى باكر يوم الأحد ١٠ مايو[1] نزل رجل الله من المقر البابا وى يتقدمه الشمامسة بالصلبان والشموع ، ويحيط من أمامه وخلفه وعلى جانبيه الآباء المطارنة بملابس التقديس البّراقة ، بينما كان هو لا يزال بملابسه السوداء . وعلى الرغم من الساعة المبكرة فقد تجمهر الشعب فى الشوارع المحيطة بالكنيسة المرقسية . وما إن بدا الركب الباباوى ورنت الألحان الكنيسة العذبة فى الأجواء حتى بلغت الهتافات عنان السماء .

وسار الآباء الأجلاء على تقليدنا الكنسى الحلو بأن أغلقوا باب الكتدرائية بالمفتاح مقدماً ، وحين واصلوا أمام بابها أعطاه له الأنبا أثناسيوس ليفتح الباب بنفسه وحالما أمسك بالمفتاح ووضعه فى مزلاجه ترنّم : « افتحوا لى أبواب البر لكى أدخل فيها وأشكر الرب هذا هو باب الرب والصديقون يدخلون فيه . أشكرك يارب لأنك استجبت لى وصرت لى مخلصاً .[2] ودخل يتبعه الموكب المهيب وسجد أمام حجاب الهيكل . وبدأت دموعه تنساب من تلك اللحظة . ثم ركع وسط الآباء ، بينما بدأ أنبا أثناسيوس يترنّم بالصلوات الشعائرية الرهيبة . وتعاقب الآباء المطارنة تبعاً لأقدميتهم الكهنوتية فى استعمالها . وكانوا أثناء هذه الصلوات العجيبة يخلعون ثيابه قطعة قطعة إلى أن وصلوا للكساء المصنوع من ليف النخل الذى يلبسه رجل الله على جسده مباشرة إمعاناً

---

(١) يفرحنى للغاية أن هذا اليوم الكبير فى تاريخ كنيستنا المحبوبة هو يوم ميلادى كما يفرحنى أن رب الكنيسة قد منحنى متعة حضور الرسامة البديعة .

(٢) مزمور ١١٧: ٢١، (فى الأجبية)

منه فى التقشّف . ثم بدأ كل بدوره يلبسه الثياب الجديد . **وظل الناسك يبكى بدموع غزيرة على طول طقس الرسامة الذى ألهمه الروح القدس لآبائنا .**

ومنذ أن بدأوا يلبسونه وضع كل من المطرانين الواقفين على جانبيه ذراعه تحت إبط المختار من الله وأوقفاه على قدميه .

ثم جاءت المفاجئة إذ قد هتف أنبا أنتاسيوس : « دعوناك يا كيرلس السادس » .. فالجميع كانوا يتوقعّون أنه سيطلب تسميته « مينا » . ولكنه كان قد رأى البابا الوقور كيرلس الخامس فى حلم عقب فوزه فى الانتخابات جعله يطلب أن يحمل اسمه . **وهنا نرى أن الاسم ذاته كان عن إرادة إلهية ! وأثناء هذه الدعوة التى اهتزت لها القلوب وضع الآباء الأجلاء التاج الباباوى على رأسه .** وغنى عن القول إن دموعه تهاطلت بأكثر غزارة فى هذه اللحظة الرهيبة التى تبعتها لحظة أكثر رهبة . فقد قاده الآباء الأجلاء إلى الهيكل ، **وفى أقدس مكان من الكنيسة ، ومن على المذبح المقدس ، أخذ أنبا أثناسيوس عصا الرعاية وسلّمها له وهو يقول : « تسلّم عصا الرعاية من يد راعى الرعاة الأعظم يسوع المسيح ابن الله الحى الدائم إلى الأبد لترعى شعبه .. فقد ائتمنك على نفوس رعيته ومن يديك يطلب دمها » .**

وبهذه الكلمات الرهيبة فى عمقها اختتموا شعائر الرسامة المقدسة .

ثم خرجوا من الهيكل وأجلسوا البابا كيرلس السادس على الكرسى المرقسى . وبعدها قام ليقرأ فصل الإنجيل الذى وضعه الآباء لهذه المناسبة(١) . وحين وصل إلى الآية القائلة « أنا هو الراعى الصالح » قرأها : « قال السيد المسيح أنا هو الراعى الصالح » . وحالما انتهى من هذه القراءة عادت دموعه إلى الانسياب لوعيه العميق بعظم مسئوليته . ولكنه تحكّم فى دموعه وألقى أولى رسائله الراعوية بصوت ثابت هادىء رصين(٢) . فوضح أن نعمة الروح القدس بدأت تعتمل داخل روحه من هذه اللحظة الأولى .

ولقد أذيعت هذه الصلوات القدسية من محطات الإذاعة مباشرة أثناء تأديتها إذ لم يكن التلفزيون قد اخترع بعد . وحين علم الشعب كله بأن البابا الجديد **اسمه « كيرلس » كتب عباس محمود العقاد مقالاً فى الأهرام قال فيه إن اسم كيرلس ذو رنين خاص فى تارخ الكنيسة القبطية : فكيرلس الأول عامود الدين ، والثانى مُشرّع حكيم ، والثالث مرشد يَقِظ ، والرابع أبو الإصلاح ، والخامس زعيم روحى قومى من الطراز الممتاز .**

---

(١) يوحنا ١٠ : ١ – ١٦

(٢) وردت هذه الرسالة فى آخر الكتاب

١٢ ــ رسامة مطران الكرسى الأورشليمى

وكان كرسي أورشليم قد شغر منذ ٢٣ مارس سنة ١٩٥٦ بانتقال المطران الجليل أبنا ياكوبوس إلى الفردوس (١) . ثم حالت الأحداث الكنسية دون رسامة خليفة له . فلما تمّت رسامة قداسة البابا كيرلس السادس سارع أنبا يؤنس مطران الجيزة إلى التداول معه فى هذا الموضوع الخطير لأنه قد خدم فى الأراضى المقدسة عدة سنوات وعرف بالخبرة أهمية الرعاية الروحية بتلك البلاد ، وعرف بالخبرة أيضاً أن الأراضى المقدسة مطمع يستهدف عدد من الكنائس الاستيلاء عليها وأن لها جاليات واقفة على أهبة التوثب . وبما أن الأنبا كيرلس الثالث(٢) - البابا الخامس والسبعين ، سنة ١٢٢٦ ــ سنة ١٢٣٤ م ، حين رسم أول مطران قبطى للكرسى الأورشليمى اختاره راهباً أنطونيا ورسمه باسم « باسيليوس » فقد جرى التقليد مذاك على أن يكون الحارس الأول لمقدّساتنا هناك من دير أبى الرهبان . وبديهى أن الأنبا يؤنس كان أنطونيا فوصل بالتشاور مع البابا كيرلس إلى اختيار الراهب كيرلس الأنطونى الذى كان قد قدّم رسالة تفصيلية عن حامى العقيدة الأثوذكسية الأنبا ديسقورس(٣) والأحداث التى جرت فى مجمع خلقيدون ، فنال عليها دكتوراه بدرجة امتياز ، وكذلك وضع كتاباً عن « عصر المجامع » .

وبنعمة الله تمت رسامته باسم « باسيليوس » فى ٣٠ بشنس سنة ١٦٧٥ ش (٧ /٦ / ١٩٥٩)

١٣ ــ اليقظة من البداية

وكان الأنبا كيرلس قد عرف بالاختبار مدى الأذى الناتج عن وجود حاشية **بطريركية فاستغنى عن مثل هذه الحاشية واتخذ من الشباب الناضج تلاميذ له . وليس ذلك فحسب بل الأهم من ذلك ، أنه كان يجلس فى قاعة الاستقبال بالمقرّ الباباوى كل يوم حالما ينتهى من القداس الإلهى ومن إرضاء طالبى بركته . فيصعد إليه كل من يبتغى أن يعرض عليه رغبته أو يستشيره فى أمر ما . ومن نعمة رب الكنيسة عليه أن منحه شفافية روحية عميقة سهّلت على الكثيرين التحدث إليه** . وكان الذين يصعدون خلفه يقفون فى طابور أمامه وهو جالس على كرسى الرياسة . وكثيراً ما كان يتفرّس فى هذا الطابور ويشير على من يرى شدة حاجته بالتقدّم مباشرة دون أن ينتظر دوره . وعلى سبيل المثال حدث أن رجلاً وامرأته كانا قد فقدا ابنهما الوحيد البالغ من العمر خمس سنوات . فأراد الزوج أن يرفّه عن قلبه وقلب زوجته فاستصحبها إلى القداس الإلهى بالكتدرائية المرقسية بالأزبكية . ثم لما صعد البابا الوقور صالة الاستقبال صعد الإثنان مع الصاعدين ووقفا فى الطابور

(١) جـ ٦ ص ١٤٧ - ١٥٦ (٢) جـ ٣ ص ٢١٢ - ٢١٤ (٣) الفصل الأول من جـ ٢

انتظاراً لدورهما . وألقى قداسته بنظرته الثاقبة على الواقفين أمامه وأشار إلى الأم الثكلى بأن تتقدّم . ولكنها فى بادىء الأمر لم تتصوّر أنه يعنيها . فلما أشار إليها ثانية وهى ما زالت مكانها قال لها : « انت اللى مغطية راسك بالشملة الخضرا تعالى قربى » . (وكانت رأسها مغطاه بإيشارب أخضر) . وأسرعت هى وزوجها إليه . وقال لهما : « انتم زعلانين علشان ربنا افتكر ابنكم ؟ اطمئنوا زى اليوم يكون عندكم مرقس » فلما تحققت كلمته أخذا مرقس إليه ليشكراه وليبارك لهما فى مرقس .

ومن هذا المنطلق نرى أن اللقاء بين الراعي الأب وبين أولاده كان سهلاً متيسرّاً ونتيجة لذلك ملأ الاستقرار النفسى القلوب لهذه الرعاية الأبوية الحانية المليئة محبة – هذه المحبة التى جعلها رب الكنيسة مقياساً لتلاميذه . فسرت هذه المحبة إليهم فأحبوه كما أحبوا بعضهم بعضا .

١٤ ــ حَدَث شخصى

... ووصل رجل الجبال الناسك المتوحد إلى الرياسة العليا . فلنتابعه بدقة وتمعن لنرى إلى أى حد تميّز باللباقة وحسن المعاملة حتى لقد قال عنه قداسة البابا شنودة الثالث إنه « كان ذا أسلوب مبهر » هذا هو واقعه مع أنه لم يتلقَّ عن العالم أية معلومات فى « الإتيكيت » ولا فى الدبلوماسية » . فعرف الناس من مسلكه تلك الحقيقة الخفية التى نقرأ عنها حين وقف بطرس ويوحنا للإجابة عما فعلاه للمقعد – فيقول الكتاب « إن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم اجتمعوا ... مع جميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة .. **ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميّان تعجبوا فعرفوا أنهما كان من يسوع ...**[(١)] **وهذه هى الجامعة العظمى التى تلقى فيها البابا الوقور أنبا كيرلس السادس تعاليمه .**

وحين وصل إلى هذه الرياسة كان الجيش البريطانى قد انزاح عن مصرنا الحبيبة فلمع داخل فكره الحلم القديم : حلم تجديد دير مارمينا بمريوط . ولم تمرّ على رسامته غير خمسة أسابيع حتى كان التقويم القبطى قد وصل إلى يوم ١٥ بؤونة : يوم تذكار تشييد الكتدرائية الفخمة التى تحمل اسم مارمينا . ففى ٢٢ يونيو رتّب قداسته أن يذهب إلى مريوط ليقيم القداس الإلهى هناك وسارعت جمعية مارمينا التى كانت تعمل منذ سنة ١٩٤٥[(٢)] إلى اتخاذ الترتيبات اللازمة لهذه لزيارة البابوية . فأقامت سرادقاً وسيعاً فوق البقعة التى كانت سترتفع منها الصلوات القدسية . كذلك أعدت الأوتوبيسات اللازمة لكل من يريد الاستمتاع بهذه المتعة الروحية الفريدة .

أما فى القاهرة فقد تكوّنت هيئة من الشباب لهذا الغرض عينه . وبلغ أذنّى المؤلفة هذا الاستعداد .

---

(١) أعمال ٤ : ٥ – ٦و١٣   (٢) جـ ٦ ص ٢٣٥ – ٢٤١

فقصدت إلى الدار البابوية بالأزبكية وطلبت إليهم حجز مكان لها فى الأوتوبيس . فأصروا على الرفض بحجة أن كل المشتركين من الرجال ولا مكان لسيدة ! فلما أصرّت هى من جانبها قالوا لها : « هاتى إذن من قداسة البابا » . فدخلت فوراً وأخبرته بما حدث . قال لها : « وليه مش عايزين ياخدوك ؟ » أجابت : « علشان حيقومو فى الثالثة صباحاً » . وابتسم ابتسامته الرقيقة وسأل : « وانت حاتعملى إيه ؟ » — « حاجى هنا فى الساعة ثلاثة » « ولما يوصلوا بدرى ويقعدو ع الرمل انتظاراً لبداية الصلوات ؟ » — « أقعد على الرمل زيهم » . وازدادت ابتسامته إشراقاً وقال بصوته الرصين : « روحى قولى لهم البابا أمر إنى أروح ويّاكم » . فشكرته من عمق القلب وخرجت فى زهو الانتصار . وبالطبع لم يكن فى وسعهم غير الطاعة .

ولقد كان يوماً لا يمكن نسيانه . ضاق السرادق على سعته بالمصلين ، كان هناك الآباء المطارنة والكهنة والأعداد الوفيرة من الشعب الذى هرع من كافة المدن . واستمرت الصلوات من الصباح الباكر إلى الثانية بعد الظهر . ومع ذلك فقد كان الجميع يريدون المزيد !

١٥ — ما ناله الأثيوبيون

وفى أول يونيو أرسل قداسة البابا لجنة برياسة أنبا لوكاس مطران منفلوط وعضوية أنبا يؤنس مطران الخرطوم وأنبا بنيامين مطران المنوفية ، وبصحبتهم فريد منقوبوس ومراد كامل وأميل توفيق دوس . وأمين فخرى عبد النور إلى أديس أبابا . وهناك جرت مفاوضات بينهم وبين هيلاسلاسى والأنبا باسيليوس « باباسات » أثيوبيا لتنظيم أعمال الكنيسة الراعوية والإدارية . وتجاوب الأثيوبيون مع الوفد البابوى فأرسلوا إلى القاهرة مع الوفد المصرى وفداً أثيوبياً اعتمده الإمبراطور . وحالما وصلوا تشكلّت لجنة بابوية لاستكمال المفاوضات استمرّ الأنبا لوكاس رئيساً لها . فتمّ الاتفاق على تنصيب أنبا باسيليوس « بطريركاً جاثليقا » والإذن برسامة عدد جديد من المطارنة والأساقفة من الأثيوبيين لما يستجد من الأيبارشيات . ويتعهد كلهم العهد التالى[1] : « أتعهد أنا ... بأن أظل أميناً لعقيدتى وإيمانى القبطى الأرثوذكسى ، إيمان كنيسة الاسكندرية وكرسى مارمرقس الإنجيلى . وأتعهد بأن احترم قوانين كنيستنا التى انتقلت إلينا من الرسل وخلفائهم القديسين الثلاثمائة والثمانية عشر المجتمعين بنيقية وآباء الكنيسة وأن أُجلّ بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية خليفة القديس مرقس واعتبره بابايا » .

وما إن بلغ الامبراطور هيلاسلاسى خبر هذا الاتفاق حتى تحادث تليفونياً مع قداسة البابا لتحديد يوم لتنصيب البطريرك الجاثليق . فحدد له قداسته يوم ٢١ بؤونة سنة ١٦٧٥ ش .

وفى اليوم المحدد وصل الإمبراطور المقر البابوى ومعه مطران أثيوبيا وبعثة الشرف المرافقة لهما .

(١) من المؤسف أن الأثيوبيين خانوا هذا العهد بعد نياحة البابا الوقور أنبا كيرلس مباشرة ، وزادوا على ذلك انفصالهم عن كنيستنا المصرية المحبوبة .

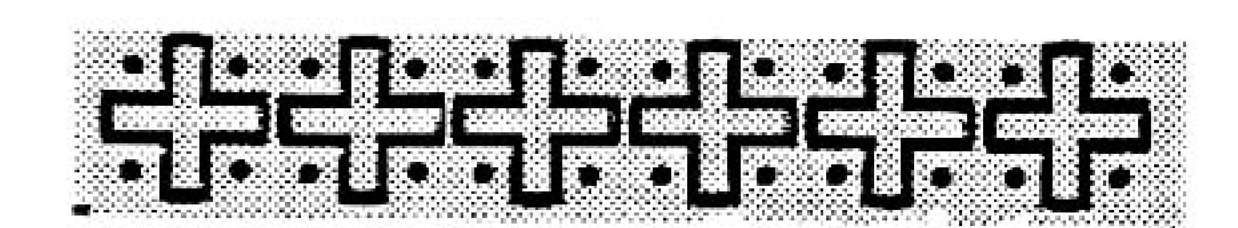
فأقيم احتفال كبير قلد فيه الإمبراطور قداسة البابا وشاح سليمان الأكبر مع الصليب المقدس . وأهدى إلى المطارنة المجتمعين نجمة أثيوبيا . ثم تقدّم الأنبا كيرلس موكباً مهيباً يتبعه هيلاسلاسى والأنبا باسيليوس والمطارنة والأساقفة والأمراء وكبار الأراخنة المصريين إلى الكتدرائية المرقسية حيث أقيمت الشعائر المقدسة لتنصيب البطريرك الجاثليق انتهت بأن وضع قداسة البابا تاج هذه الكرامة الجليلة على رأس أبنا باسيليوس . ففرح الشعبان القبطى والأثيوبى توقعًا لمزيد من العلاقات الودية ، وبخاصة لأن الإمبراطور ومرافقيه دعوا الخليفة المرقسى لزيارتهم فى بلادهم وحصلوا على موافقته .

١٦ ــ يوم الإكليريكية

ولقد توازى اهتمام البابا كيرلس السادس بالإكليريكية مع اهتمام البابا كيرلس الخامس . ففى شهر أغسطس سنة ١٩٥٩ تفاهم معه المسئولون عن الإكليريكية بخصوص خدمتهم أثناء العطلة الدراسية .. ففرح بطلبهم وأوفد اثنين من الطلبة الإكليريكيين إلى الواحتين الخارجة والداخلة . وهذه أول مرة فى العصر الحديث يذهب أبناء مصر للخدمة فى تلك البقاع التى كان آباؤهم أول من بشر بالمسيحية فيها . وقد زوّد الطالبينْ بنصائحه الأبوية وبركته الرسولية . ولما عادا قدما لقداسته تقريراً مفصلًا عن خدمتهم وبخاصة أبلغاه بوجود أقباط هناك من موظفى الحكومة المصرية .

وهنا يجب أن نذكر أن الذى أسس الإكليريكية فى عصرنا الحاضر هو البابا الوقور كيرلس الخامس الذى افتتحها فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٩٣ م (٢٠ هاتور سنة ١٦٠٩ ش) . وهو أيضاً الذى عيّن حبيب جرجس معلماً بها ثم مديراً لها . فلما وصل تتابع الأيام إلى ٥ كيهك سنة ١٦٧٦ ش (١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٩ م) أقيم احتفال بيوم الإكليريكية تحت رعاية البابا كيرلس السادس وبتشجيعه وتوجيهاته .

وقد ألقى فى هذا الاحتفال د . وهيب عطاالله (أنبا غريغوريوس) كلمة ضافية لخّص فيها ما قامت به الإكليريكية من خدمات مبيّناً أنه بفضلها نشطت حركة التأليف فى مختلف المجالات : فظهرت كتب فى الدين والتعاليم الروحية والبحوث العقيدية والطقسية ، كما ظهرت مجلاّت شهرية يديرها أكليريكيون أو يكتبون فيها . وتأسست جمعيات عديدة لتحمل الكرازة روحياً واجتماعياً . كل ذلك بعثته فى القلوب روح مؤسسها العظيم البابا كيرلس الخامس الذى استلهمه حبيب جرجس المعلم لأجيال كثيرة . فجاء البابا كيرلس السادس ليحمل الشعلة بدوره ويبعث بنهضة مماثلة .



١٧ — زيارة البابا لرئيس مصر

ولقد نهج قداسة الأنبا كيرلس منهج الباباوات المرقسين على مرّ العصور بأن زار جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر . وكانت الزيارة الأولى ظهر يوم الجمعة ١٢ أكتوبر سنة ١٩٥٩ توالت بعدها زيارات متبادلة . وفى مساء اليوم التالى قصد البابا الوقور إلى كنيسة الملاك ميخائيل بالظاهر لإقامة صلوات عشية . وحضر هذه الصلوات رئيس تحرير جريدة مصر[١] فطلب إليه قداسة البابا أن يعلن الخبر التالى : « **إن قداسة الأنبا كيرلس السادس أحرص ما يكون على وحدة الأمة . وهو يشكر السيد الرئيس جمال عبد الناصر على ما لمسه منه من محبة وتقدير فى الزيارة الودية التى تمت بينهما أمس والتى دلّت على أبرز معانى وحدة الأمة** » .

١٨ — تلبية الدعوة

وفى أوائل أكتوبر سنة ١٩٦٠ قام الأنبا كيرلس السادس بزيارة راعوية لأثيوبيا[٢] . وقد استصحب معه أنبا أنطونيوس مطران سوهاج والقمص مكارى السريانى والقس موسى السريانى سكرتيريْه والشماسين يوسف منصور وسليمان رزق تلميذيْه واللواء سلامة يوسف ود. مراد كامل والسفير عدلى أندراوس ود. ألفى خليل وسليم يوسف مصوّره الخاص .

---

(١) كانت جريدة صباحية فمسائية ثم توقفت نهائياً .

(٢) جـ٦ ص ٤٨-٥٨ الخاص بالزيارة الراعوية التى قام بها الأنبا يؤنس التاسع عشر .

وفى استطاعتنا أن نتصور الفرحة الغامرة للقلوب كلها . وفى المطار أقيمت حفلة استقبال رسمية رأسها الإمبراطور وحضرها الجاثليق والأساقفة والأمراء وكبار رجال الدولة وأعضاء السلك السياسى . وحال انتهائها قصدوا إلى أديس أبابا . وعلى الفور دخل البابا الوقور كنيسة الثالوث الأقدس ورفع صلاة الشكر . **وبما أن قداسته استهدف رعاية الشعب الأثيوبى فقد تنقل بين المقاطعات وزار كنائسها وأديرتها وبخاصة دير الأنبا تكلا هيمانوت[١] ، وكنائس لاليبالا المنحوتة فى الصخور والتى بناها لهم القبط[٢]** .

ولما كان يوم ٢٢ بابه (٢ نوفمبر) هو اليوم الذى يُعيد فيه الأثيوبيون بتتويج هيلاسلاسى فقد رأس قداسة البابا الصلوات ثم الاحتفالات للعيد الثلاثينى منها . وبعدها غادر هذه البلاد التى ابتهجت بنوال بركته فى ٧ نوفمبر عائداً إلى شعبه المشتاق إليه .

---

(١) جـ ٣ ص ٣١٩-٣٢٠ ، ولهذا القديس كنيسة باسمه فى الإبراهيمية برمل الاسكندرية .

(٢) جـ ٣ ص ٢٧٥-٢٧٨

١٩ ــ الرغبة فى التعمير

وظل حنين البابا الوقور إلى تعمير دير قديسه المحبوب مارمينا يتردد صداه داخل أعماقه . ففى يوم السبت ١٧ بؤونة سنة ١٦٧٦ ش (١١/٢٦/سنة ١٩٦٠) قام بزيارة كتلك التى قام بها قبل ذلك بسنة إلى منطقة خرائب الدير بمريوط. وقد صحبه فى هذه الزيارة أنبا مرقس مطران طهطا وطما وأبو تيج وأبنا ميخائيل مطران أسيوط وأنبا أنطونيوس مطران سوهاج . وقد اشترك ثلاثتهم معه فى صلوات القداس الإلهى . وقبل ذلك ، وعقب قراءة الفصل المختار من الإنجيل ألقى أنبا ميخائيل عظة أيزر فيها الجهاد الروحى العنيف الذى جاهده الأقباط منذ العصور الأولى . ثم أوضح مكانة مارمينا فى القلوب والفخامة التى كانت عليها كتدرائيته والمستشفى الكبير الملحق بها والمدينة التى حولها . ثم أشار إلى تخريب هذا كله فى القرن العاشر[1] واستكمل بإعلانه عن عزم البابا الوقور على إعادة تعمير هذه المنطقة لترتفع منها الصلوات والألحان بعد ما خفتت ما يقرب من عشرة قرون .

أما القداس الإلهى فكان على أعمق ما يكون من الروحانية ترددت فيهاأ صداء الألحان القدسية وتجاوبت هذه الأصداء على امتداد الصحراء وارتفع فيها البخور برائحته الزكية فامتلأت القلوب تهليلاً . وليس من شك فى أن جمهور السمائيين قد تهللوا أيضاً : فهم يحضرون معنا القداس الإلهى أينما ارتفعت ألحانه . فكم بالحري يتهللون إذ يجدون أولادهم يعاودون الصلاة فى هذا المكان الذى تقدّس بأنفاس القديسين ثم ظل فى صمت رهيب مدى ألف سنة !

إنها صور القيامة حتى للأماكن المقدسة .

على أن رغبة قداسة الأنبا كيرلس فى العمير لم تقتصر على المجال المعمارى بل شملت غيره من مجالات . ومن ذلك أنه ، قبل قيامه إلى طريق مريوط ، انتدب الأبنايؤنس مطران الخرطوم[2] يفتتح معرض الكتاب الذى أقيم فى المعهد العالى للدراسات القبطية ، وكان القمص جرجس بطرس رئيس جمعية الإيمان[3] ومعاونوه فى نشر مجلة الإيمان قد دعوا إلى هذا المعرض . وقد لبّى الدعوة إليه الكلية الإكليريكية واللجنة العليا لمدارس الأحد وجمعية الآثار القبطية وجماعة مارمينا بالاسكندريه ومدارس الأحد بالجيزة ومكتبة المحبة ومارمرقس ودير السيدة العذراء (السريان) وكذلك المعهد الذى أفسح المكان لإقامة المعرض وقد بدأه نيافة الأبنا يؤنس بالصلاة وتعاقب من بعده د. سامى جبرة الذى كان مديراً للمعهد آنذاك والمربى سليمان نسيم ، فألقى كل مهما كلمة عن ما تميّزت به كنيستنا المحبوبة من علم وما قامت به من جهد لتعليم أولادها منذ العصور الأولى . كما أعربا

---

(١) جـ ١ ص ١٤٩-١٥٣ ، جـ ٢ ص ٣٥٤-٣٥٧

(٢) جـ ٦ ص ١٥٦-١٥٩

(٣) جـ ٦ ص ٢٢٩-٢٣٢

عن رغبتهما فى ضرورة نشر المؤلفات القبطية بكافة أنواعها . وقد رأى البابا الجليل ، نتيجة لنجاح هذا المعرض ضرورة شراء مطبعة للبطريركية وقد تم بالفعل شراء المطبعة . ومن **عجب رب الكنيسة أن المطبعة الأولى للبطريركية اشتراها كيرلس الرابع والثانية اشتراها كيرلس السادس** . وفى الحالتين لم يبدأ العمل بهما إلا بعد انتقال صاحب الفكرة - فحقاً إن « آخرين تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم » .

وتمشياً مع تعمير ديرمارميناغريوط جال رجل الله ببصيرته فأصدر قراراً بوجوب عودة جميع الرهبان إلى أديرتهم ما عدا أولئك المنوط بهم أعمالاً معينة من قداسته ومن الآباء المطارنة ومن رؤساء الأديرة . وألحق هذا القرار بتحذير لشعبه هذا نصه : « يعلن المقر البابوى أن قداسة البابا كيرلس السادس ، محافظةً منه على قوانين الكنيسة وتقاليدها ومراعاة لنُظُمها قد أصدر قراره البابوى الخاص بتنفيذ قوانين الرهبنة فى منع إقامة الرهبان خارج أديرتهم » .

« **وقداسة البابا يحذّر أبناءه ، أكليروساً وشعبا ، بدالة المحبة المسيحية والأبوّة الراعوية** من إمداد أحد الرهبان أو جمع أموال له على سبيل الإعانة إذ أن فى هذا دافعاً له على الخروج على الأوامر البابوية » .

« كما يحذّر قداسة البابا الجميع من مديد المساعدة للذين ينتحلون أعاذير وأسباباً يجمعون بها تبرعات ويحصلون على إعانات بحجة ترميم أو بناء كنائس ، أو إعانة باسم هيئات كنسية أو اكليريكية دون أن يحملوا ترخيصاً كتابياً صريحاً من البطريركية أو المطرانية التابعين لها يثبت شخصيّتهم وصفتهم والغرض المكلّفين به » . «وعلى ابن الطاعة تحلّ البركة»[١]

٢٠ ــ بناء النفوس

والبابا كيرلس ينطبق عليه قول المرنّم : « أما أنا فصلاة »[٢] . فهو كان ينزل فى الثالثة صباحاً يومياً ليصلى التسبحة . كذلك كان يرفع القداس الإلهى يومياً حتى فى يوم السبت . وبالطبع يقيم صلوات رفع بخور عشية وباكر لحرصه الشديد على طقس كنيستنا المحبوبة ولهذه المداومة قال عنه قداسة البابا شنودة الثالث ، فى ذكراه الأولى ، إنه رفع القداس الإلهى اثنتى عشرة ألف مرة . إنه **اعتاد الصلاة منذ نعوة أظفاره . وحين أصبح الراعى الأول كان على يقين فى عمق وعيه بأنه حين يجتمع الشعب للصلاة تكون هناك كنيستان : كنيسة الناس مع كنيسة الملائكة ومحفل أرواح الأبرار المكّملين ــ أى الكنيسة المنتصرة جنباً إلى جنب مع الكنيسة المجاهدة** .

---

(١) انظر جـ ٥ ص ٥٠-٥١ و٨٠

(٢) مزمور ١٠٩ : ٤

ولأنه «صلاة» لم يخطط ولم يَعِد بتنفيذ أى مشروع ، بل سار على خطة بولس الرسول فى العمل بموجب ما يوحيه إليه الروح القدس . ومن أعجب التوجيهات الجدير بنا جميعاً أن نتمّعنها تلك الإجابة التى أعطاها لمندوب جريدة الأهرام حين سأله : « ما هو أحسن كتاب قرأته غير الإنجيل — كتاب بعيد عن الدين — أدب مثلاً ؟ » **أجابه بصراحة يوحنا المعمدان ريب البرارى بأن مكتبته لا تحوى غير الكتاب المقدس وبضع كتب عن النسك ليحفظ علاقته مع الله صافية من غير أى تشويش** . ثم أضاف « للرهبنة والتوّحد فلسفة خاصة فى الحياة . فلسفة قائمة على التعمّق فى كل ما يربط الإنسان بالله » .

ثم حين سأله مندوب جريدة وطنى عما إذا كان سيقيم داراً جديدة بطريركية تحقيقاً لرغبة الشعب عامة أجاب : « **إن العمل الروحى أهم بكثير من أى شيء آخر ، وبناء الأفراد روحياً ، باعتبارهم هياكل الله الحية ، أعظم بكثير من بناء هيكل من الحجارة فمهمة الكنيسة هى المساهمة فى تدعيم السلام والأمن والمحبة فى نفوس أولادها وتوجيههم إلى الفضائل التى تقرّبهم من الله وتجعل منهم مواطنين صالحين** . فتقوم الكنيسة بدورها جنباً إلى جنب مع الحكومة فى النهوض بمصر . » **وفى هذه الإجابة أبلغ دليل على وعىّ « ساكن الجبال » برسالة الراعى الأول للكنيسة** ، وعلى حقيقة الوحى الإلهى حتى فى عصرنا هذا بأن « الذين ينقادون بروح الله أولئك هم أولاد الله[1] » .

وهذا هو السبب فى أن باباويته ، مع قصر سنواتها ، كانت عميقة فى أثرها ، عريضة فيما حققته من انجازات .

والأنبا كيرلس السادس لم يبنِ النفوس بالصلاة فقط ، بل قرن صلواته بأصوامه ملتزماً فى هذا الجهاد الروحى المزدوج بقول رب المجد لتلاميذه حينما سألوه عن السبب فى عجزهم عن شفاء الولد المصروع : « هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم[2] » . وبصلاة القسمة للآب خلال الصوم الأربعينى المقدس عن الصوم والصلاة وفعاليتّهما .[3] **وكان عجيباً فى صومه بقدر ما كان عجيباً فى صلواته** إذ كان فى مقدوره أن يقضى أياماً طاوياً . فمثلاً عند انتهائه من صلوات خميس العهد (ظهراً) يأكل ما يسدّ به رمقه ثم يظل دون أكل وشرب الى فجر الأحد بعد صلوات عيد القيامة المجيدة . وكلنا يعلم أن الجمعة العظيمة تمتد صلواتها من الصباح إلى المساء ثم تتبعها صلوات « أبو غلميس »[4] من الحادية عشرة مساء إلى السابعة صباحاً . وتأتى بعدها صلوات القيامة التى كان يصرّ على الاستمرار فيها إلى « فجر » الأحد لتتماشى مع الساعة التى وجدت النسوة فيها القبر فارغاً .

---

(١) رومية ٨ : ١٤ (٢) متى ١٧ : ٢١ ، مرقس ٩ : ١٤-٢٨

(٣) عن كتاب القداسات الثلاثة — طبع بمعرفة جمعية أبناء الكنيسة ، ص ٥٧٢-٥٧٧

(٤) هى الكلمة الحرفية لكلمة أبوكالبيس وهى الاسم لسفر الرؤيا : Apocalypse .

والصلوات بالنسبة له لم تكن ألفاظاً تتحرك بها الشفتان بل كانت مصارعة روحية عنيفة — والذين حضروا صلواته عرفوا إلى أى حد كان هو ملتهباً بها . وهذه المصارعة وهذا الالتهاب كانا مقترنين بمعدة خاوية !

ومن المقدرات العجيبة التى منحه إياها ربه ذاكرة خارقة . فمع كثرة المتزاحمين حوله ، وكثرة الضيوف المصريين والأجانب كان لا ينسى أحداً بل لا ينسى حتى الأحداث العابرة ! فمثلاً كان ذاهباً إلى الاسكندرية ذات مرة بالسيارة من الطريق الزراعى . وقرب مشارف مدينة الكاروز ركنوا السيارة على جانب الطريق ونزل قداسته منها وجلس على كرسى تحت شجرة . وفى تلك الأثناء مرّ د. عزيز المصرى وزوجته دورا (وهى شقيقتى) فى طريقهما إلى القاهرة . وما إن أبصرا قداسته حتى ركنا سيارتهما وعبرا الشارع لينالا بركته . وبعد حديث قصير استأنفا سفرهما . ومرّ على هذا اللقاء خمس سنوات لم يرهما فيها قداسته . وذات صيف كان إبنا د . عزيز وشقيقتى دورا سيذهبان ليتدربّا فى مصنع بانجلترا لأن كليهما كان فى كلية الهندسة . فذهبت مع شقيقتى لزيارة البابا الوقور كى تطلب بركته لولديها لأنه كان آنذاك فى مدينة الكاروز المحبوب . وحالما قبّلنا يده الطاهرة ابتدر أختى بقوله : « احنا مانتقابلش إلا فى الطريق العام ! » .

٢١ — عودة الشاردة

وكانت لأسرة مسيحية ابنة شردت . فامتلأت قلب أسرتها حزناً وأسى ، وأخذوا يداومون على الصلاة بغير فتور ليتحنن الله عليها ويجعلها تعود كما عاد الابن الضال ، ثم قصدوا إلى البابا كيرلس ليستشفع عن ابنتهم . فطمأنهم عليها وعلى مستقبلها أيضاً .. فزاد على ذلك قوله : « قريباً بإذن الله ستأتى هى إلىّ وتطلب مقابلتى » . وأحسوا بارتياح قلبى لهذا التوكيد البابوى . وما هى إلا بضعة أسابيع حتى قصدت هى بالفعل إلى الدار البابوية . وكانت فى غاية الإضطراب والأسى . وحالما مثلت بين يدىّ الراعى الحنون صلى لأجلها وطمأنها . وخلال صلاته كانت دموعها كالسيل على خديها . وبعدها روت لقداسة البابا السبب الذى دفعها للمجىء إليه . قالت : « رأيت رؤيا . رأيت جمهوراً كبيراً يدخل كنيسة وقت الصلوات فأردت الدخول معهم . ولكن الشماس الواقف بالباب منعنى وهو يقول : «كيف يمكنك الدخول وأنت بهذه الثياب السوداء؟» وفى حيرتى وقلقى تطلعت إلى داخل الكنيسة وإذ بى أرى قداستكم تنادون على الشماس وتأمرونه بالسماح لى بالدخول . ويا لفرحتى حين دخلت وقابلتكم . وبعد الصلاة طفت بأرجاء الكنيسة . » ومن عجب أن رؤياها تحققت لأنها بعد أن قابلت البابا الوقور فى اليقظة وحصلت على بركته أمرها بأن تتوجّه إلى الكنيسة الصغيرة الملاصقة للكتدرائية المرقسية . وما إن دخلتها حتى اهتزّت هزّة عنيفة — فقد كانت الكنيسة التى رأتها فى الرؤيا . وبينما هى فى نشوة الهزة الروحية دخل أبناكيرلس إلى الكنيسة وصلى لها وباركها .

ثم اشتاقت إلى بركة تناول الأسرار المقدسة[١] . فقصدت إلى البابا الوقور لتستأذنه فى ذلك ، وكانت فترة الصوم الكبير فطلب إليها أن تصوم طيّا (أى انقطاعيا) ورتّب لها بعض القراءات والعبادات حتى ترى رؤيا أخرى وعدها هو بها . وقبل نهاية الصوم بيومين رأت نفسها فى رؤيا وهى تتناول الجسد المقدس من يد قداسته والدم الكريم من يد كاهن خديم معه . فقصدت إليه . وما إن رآها حتى قال لها . «غداً يابنتى موعدك مع التناول» . وفى اليوم التالى نالت بركة التناول الأقدس من يد البابا ومن يد الكاهن الذى رأته فى الرؤيا . وغنى عن القول إنها أصبحت شخصاً جديداً .

٢٢ ــ محبته المشاركة والتشجيع

ولتواضعه الجمّ كان يهدف باستمرار إلى أن يهيىء الفرصة للآخرين لأن يشتركوا معه . فيقول عنه أنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى والتعليم العالى . « لقد شاء البابا أن يتنازل عن الوعظ لغيره من إخوته الأساقفة وأبنائه الكهنة ، وكأنه بذلك يعطيهم فرصة للخدمة معه كشركائه فى الخدمة الرسولية ، وإعلاناً منه بأنه كأب وكراعٍ وكرأس لن يكون فى غنى عنهم وعن عنده خدماتهم وجهودهم معه لبنيان الكنيسة المقدسة» . أما القس يوسف أسعد راعى كنيسة السيدة العذراء بالعمرانية (بالجيزة) فيصف وضوح هذا الهدف فى مسلك رجل الله بقوله . « لو وجد إنسانا يصلى بطريقة يحبها الناس يفرح للغاية ويقول : هاتوه يصلى معايا . ولو وجد من يجيد الوعظ يقول . هاتوه يوعظ عندنا . ويجلس ليستمع إلى العظة باهتمام بالغ » .

وهذه الرغبة فى أن يشترك أبناؤه معه شملت بناته أيضا . فكّون لجنة منهن لتنظيف الهيكل وغسل الستائر والملابس الكهنوتية والبروسفيرين واللفائف . **كما أنه عهد للبعض . منهن بافتقاد العائلات وبخاصة من يتغيّبون عن الحضور إلى الكنيسة** .

وحينما كمل الكتاب الأول من « قصة الكنيسة القبطية » أخذت المؤلفة المخطوط إليه للبركة فأخذ الأوراق بيده الكبيرة (إذ كان كبيراً فى كل شىء) ، وقلّب فيها قليلا ثم قال بابتسامته الحلوة : « كل ده كتبتيه ؟ » فلما أجبته بالإيجاب لم يكتف باعطائى بركة شفوية بل طلب إلى تلميذه أن يحضر له صورته التى يقف فيها إلى جانب أيقونة كاروزنا العظيم بملابس التقديس الباهرة وكتب عليها « أبارك الرب الذى أفهمنى » ووقّع عليها باسمه المحبوب وأعطاها لى . ولفرحتى زيّنت بها ذلك الجزء عند بداية الفصل المعنون « باباوات الاسكندرية » . وليس من شك فى أن بركته كانت ضمن العوامل التى مكّنتنى من السعى لاستكمال هذه « القصة » التى لا مثيل لها بين تواريخ الكنائس كلها .

---

(١) نحن نتناول الأسرار المقدسة ولا نتناول منها لأن كل واحد منا يأخذ السيد المسيح بأكمله ولا يأخذ جزءً منه لأنه قال : من يأكلنى يحيا بى ــ يوحنا ٦ : ٥٧

وهناك جماعة شماسية بآخر مصر العتيقة تابعة لكنيسة السيدة العذراء (المعلقة) ، من أهدافها رعاية الأيتام والمغتربين من الشباب . فأرادوا أن يقيموا لهم داراً ليجعلوهم تحت الرعاية الكنسية مباشرة . وساندتهم النعمة الإلهية فاشتروا قطعة من الأرض فى منطقة الملاك القبلى . ثم أرادوا تشييد منزل على هذه الأرض باسم « دار أبناء مدارس الأحد بمصر القديمة » . ولهذا الغرض نالوا بركة المثول بين يدىّ البابا الوقور ليطلبوا إليه أن يتفضّل بإرساء حجر الأساس . وبالطبع لبّى طلبهم . فأقاموا حفلة « عائلية » لهذه المناسبة بعد ظهر يوم الأحد ٤ برمهات سنة ١٦٨٦ ش (١٩٦٠/٣/٣٠) . وبدأ قداسة البابا بالصلاة ثم أرسى حجر الأساس بعد أن كان قد وضع صندوقا به الكتاب المقدس وعقد ملكية الأرض . ثم صلى على إبريق من الماء رشّ به الموضع كما رش الحاضرين . فارتفع هتافهم بحياته الغالية وبالضراعة إلى رب الكنيسة أن يديمه لهم . ومن نعمة الآب السماوى علّى أن منظّمى الحفلة طلبوا إلىّ إلقاء كلمة عن « المرأة فى خدمة الكنيسة » . والحق أن قلبى تهلل لرؤية رجل الله ينصت إلى كلمتى باهتمام واضح . وفى نهايتها منحنى بركته .

وانسابت النعمة الإلهية فافتتح قداسته كلية لاهوت تحمل اسمه الكريم على أرض الأنبا رويس وكان قد أرسى حجر أساسها فى شهر يوليو . وهنا العجب فالبناء قد تمّ خلال أربعة شهوراً .

٢٣ ـــ سنة من الذكريات

وبدأت سنة ١٩٦١ . وكانت السنة المائة على استشهاد البابا كيرلس الرابع الملقّب بأبى الإصلاح . فرأى البابا كيرلس السادس أن يحتفى بهذه الذكرى ـــ فالذكرى توقظ النائم . وأقيم الاحتفال بالفعل فى ٢١ أمشير سنة ١٦٧٧ش (١٩٦١/١/٣٠) بالقاعة المرقسية حضره جميع رؤساء الكنائس وكبار رجال الدولة .

وفى السنة عينها نظمت نساء العالم ثلاث مؤتمرات احتفاءً بمرور خمسة وسبعين عاما على « يوم الصلاة العالمى » . وأحد هذه المؤتمرات أقيم فى مدينة مدراس بالهند دُعيت إليه المؤلفة . **وكان عبد الناصر قد أعلن : « إن الوحيدين الذين لهم الحق فى تمثيل مصر فى المؤتمرات الكنسية فى الخارج هم الأقباط الأرثوذكس لأنهم وطنيون قومية وكنيسة . أما الذين انضموا إلى المذاهب المختلفة فهم وطنيون قومية وأجانب كنيسة »** . وهذا اعتراف بفضل الزعيم الكبير الذى رأس أول عهد لمصر بالحكم الجمهورى .

على أن المسئول عن إعطاء إذن الخروج فى وزارة الداخلية اشترط الحصول على موافقة قداسة الأنبا كيرلس . وساعة أن وصلت إلى الدار البابا وية وجدت قداسته صاعداً على السلالم فجريت وراءه وأمسكت بطرف توبه . فالتفت ليرى من الذى فعل هذا . وحالما وقعت عيناه علّى ابتسم بوداعته المعهودة وقال لى « هوانت ياغلباوية ! عاوزه إيه » فلما أخبرته نادى على تلميذه الشماس

سليمان رزق وأمره بكتابة الخطاب المطلوب . وبهذه التزكية الباباوية سافرت إلى مدارس مندوبة عن كنيستنا المصرية المحبوبة .

وبعد أسبوعين من عودتى ، وكان ذلك فى ٣٠ مارس سنة ١٩٦١ ، زارت مصر صديقة انجليزية اسمها روث بابينجتون أستاذة « مقارنة الأديان » بجامعة كامبريدج . وبعد جولة حلوة بين كنائس مصر العتيقة ، وفى أثناء عودتنا ، أبدت رغبتها فى أن ترى « رجل الصلاة » الذى ترددت أصداء صلواته فى كافة الأنحاء خارج مصر . قلت لها : « حسنا . لنذهب على الفور » . وبدت الدهشة على وجهها وفى صوتها وهى تسأل : « من غير تليفون ولا ميعاد ! » أجبتها « نعم . فقداسته يعاملنا كأولاد مدللين . وبابه مفتوح طول النهار . بل ولساعات طويلة متأخرة من الليل » . وتضاعفت دهشتها وقالت : « ياللعجب . إنه الراعى الأعلى . ويتسارع الرؤساء والكبراء إلى مقابلته — فكيف يتواضع إلى هذا الحد ؟ » قلت بفرحة وثقة : « إنه يتواضع مع أولاده . أما حين يأتى هؤلاء الكبراء الذين تقولين عنهم فلا يقابلهم إلا بالمواعيد . وحين يصلون إليه يجدونه جالساً على الكرسى الرسولى . على أنه ، مع هذه الرسميات ، يجعل الجميع يشعرون على الفور بأنه « صديقهم من زمان ! »

ووصلنا إلى الدار الباباوية . وازدادت صديقتى ذهولاً . فقد وجدت البابا العظيم واقفا وسط قاعة استقباله يحيط به جمهور من الشعب . ولما أبصرنا داخلتين أشار إلينا بالمجيء إليه على الفور . فسلمنا عليه وحصلنا على بركته . ثم أخذ يستفسر من صديقتى عما تدرسه . ولما انتهى من حديثه وخرجنا قالت : « أكاد لا أصدّق عينىّ ولا أذنىّ ! فهل إلى هذا الحد يعامل كل شخص كأنه الوحيد الآتى إليه ؟! ثم إن حديثه بالانجليزية حلو إنه ليس مجرد حديث فقد أحسست بأنه صادر من عمق قلبه » .

٢٤ ـــ مفاجئة حلوة

وحلّت سنة ١٩٦٢ . وتوالت أيامها بمشاغلها التى لا تنتهى : تتراكض الجماهير المصرية . مسلموها وأقباطها نحو رجل الله ؛ وتتوالى الوفود الأجنبية سواءً منها المقيمة فى مصر أم الآتية إليه من الخارج ويروى القمص صليب سوريال راعى كنيسة مارمرقس بالجيزة(١) وصف عالم سويسرى للبابا الوقور كما يلى : « **إنه بطريرك عظيم ذو أفق واسع تمثّل تاريخ كنيسته وشعبه** » . **فسأله أبونا صليب عن السبب لهذا المديح ، أجاب : « لأنه يقوم بتعمير منطقة القديس مينا ذات القيمة التاريخية الفريدة » . أما نحن فنرى أنه لم يتمثّل تاريخ كنيسته فقط بل عاش هو نفسه هذا التاريخ بكل ما احتواه من فرح وما انسكبت خلاله من دموع .**

---

(١) هى الكنيسة القديمة القائمة وسط البيوت الصغيرة فى زقاق من أزقتها .

ومرت ثمانية شهور من هذه السنة وحل شهر سبتمبر : الشهر الذى تعييد فيه كنيستنا المحبوبة برأس سنة الشهداء فى الحادى عشر منه . **وانتهى هذا التعييد . ولكن الأنبا كيرلس أراد أن يقيم عيداً جديداً فى هذا الشهر ليجعل من ذكرى الشهداء بداية لحياة جديدة فباغت القبط بمفاجأة أذهلتهم وأفرحتهم معا** . ففى عصر السبت ٢٩ منه وقف أمامه الراهبان مكارى وأنطونيوس (من دير السيدة العذراء — السريان) بناءً على طلبه . وكانت المباغتة إذ فوجىء كلاهما وكل الحاضرين بوضع البابا الوقور يده على رأس كل منهما بالتتالى وبترديد الصلوات الخاصة بإلباسهما الإسكيم المقدس تمهيداً لرسامتهما للأسقفية تبعا للتقليد الكنسى القبطى . وحينما رسمهما فى صباح اليوم التالى جاءت المباغتة الثانية وهى حقل الخدمة . فرسم القمص مكارى أسقفاً للعلاقات العامة والخدمات الاجتماعية باسم « أنبا صموئيل[1] » ، ورسم القمص أنطونيوس أسقفا للأكليريكية والتربية الكنسية باسم « أنبا شنودة » .

واستكمالاً للتقليد الكنسى أقيم صباح الجمعة ٥ أكتوبر الاحتفال بتقليد الأسقفين الجديدين مهامّ كرامتهما فى مقرّ عملهما . وقد أناب قداسة البابا أنبا يؤنس مطران الخرطوم لتلاوة تقليد الأنبا صموئيل ، وأنبا يؤنس مطران الجيزة لتلاوة تقليد الأنبا شنودة . وسار الأسقفان الجديدان بصحبة المطرانين الجليلين فى موكب كنسى رائع من الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية إلى أرض الأنبا رويس . وهناك أقام المعهد العالى للدراسات القبطية حفل الاستقبال . وفيه تلا الأنبا يؤنس مطران الخرطوم تقليد الرسامة للأنبا صموئيل بينما تلاه للأنبا شنودة أنبا يؤنس مطران الجيزة . وتبودلت كلمات **الفرح والتهنئة أعلن فيها المتكلمون عن بهجتهم وشكرهم لقداسة البابا على هذه المفاجئة . ثم تكلم أنبا يؤنس مطران الجيزة فقال إنه يعتبر هذا اليوم من الأيام السعيدة المجيدة فى تاريخ كنيستنا الحبيبة . ثم عن الرسالة العليا الموضوعة على كل منهما متمنيا للأسقفين الجديدين الإرشاد والتوفيق من الروح القدس .**

ولقد حملت سنة ١٩٦٢ بركات جمة . ففى الفترة التى تمت فيها رسامة الأسقفين الجليلين وجّه قداسة البابا وهيب عطا الله إلى دخول الدير المحرق أو دير السيدة العذراء بجبل قسقام فأصبح الراهب باخوم المحرق .

وثمة بركة أخرى فقد كان البابا الجليل قد أنشأ مكتبا للخدمة الاجتماعية عهد برئاسته إلى القمص ميخائيل الابن البكر للقمص داود مرقس صديقه الوفى . وفى صيف سنة ١٩٦٢ ذهب هذا الكاهن مندوباً عن الكنيسة القبطية أولا إلى مدينة « بوسى[1] » ليحضر مؤتمراً للخدمة الاجتماعية حيث تناقش المجتمعون فى أن الخدمة يجب أن تشمل الجميع بلا تفرقة بين جنس ودين ولون . وحال

---

(١) جدير بأن تلفت النظر إلى أن قداسة الأنبا كيرلس قد وضع اليد على أنبا صموئيل أولاً ثم على أنبا شنودة ، ولهذا السبب ورد اسمه قبل اسم أخيه وشريكه فى الخدمة الرسولية .

انتهائه من هذا المؤتمر قصد إلى باريس ليحضر مؤتمر « التعاون بين الرجل والمرأة » . وتداول المجتمعون الحديث عن الأسرة المثالية والتشريعات الأسرية المعمول بها فى مختلف الدول ، وهل تتفق وكيان الأسرة وموقف الكنيسة من تحديد النسل . **وقد خرجوا بقرار هو أن الله يستهدف الخصوبة الروحية للأسرة فى المقام الأول .**

٢٥ ــ تجمّع كنسى افريقى

بل إن بركات هذه السنة كانت ذات شمولية واسعة . ففى صيفها أوفد البابا كيرلس القمص شنودة السريانى (أنبا يؤنس أسقف الغربية) أولا إلى المؤتمر الذى انعقد فى مدينة مندولو (بروديسيا الشمالية) من ٢٩ أغسطس إلى ٦ سبتمبر للتمهيد لمؤتمر تجمّع الكنائس الأفريقية الذى انعقد فى السنة التالية بمدينة كمبالا بأوغندا . وثانيا إلى إقامة نهضة روحية فى كنائس العاصمة المثلثة الخرطوم ، الخرطوم بحرى ، أم درمان ثم وادى مدنى . ولقد تعاطفت الكنائس الأفريقية معنا على أساس أن الكنيسة القبطية هى أقدم كنيسة أفريقية وكاروزها أفريقى إذ هو ليبى النشأة من القيروان .

٢٦ ــ الاهتمام بالمغتربين

ومنذ سنة ١٩٥٤ كان أنبا صموئيل المندوب الدائم عن الكنيسة القبطية فى مجلس الكنائس العالمى . وفى سنة ١٩٦١ بدأ القبط يهاجرون إلى الدول الأوربية الغربية فالولايات المتحدة وكندا ثم استراليا . وإذ رأى البابا الوقور عدد المهاجرين يتزايد وضع على الأنبا صموئيل أن يتفقدهم ويتعرّف على أحاسيسهم واحتياجاتهم . وزوّده بلوحة مكرسه . ليقيم من فوقها القداس الإلهى . ثم أوفده صيف سنة ١٩٦٣ إلى رحلة راعوية للدول الغربية ليتدارس مع القبط هناك حاجاتهم ورغباتهم ثم يوجههم التوجيهات اللازمة لصيانة حياتهم الروحية . فلما عاد أبلغ قداسة البابا بأنهم فى مسيس الحاجة إلى رعاية مستمرة ، كما أنهم فى أشد الشوق إلى صلواتهم الكنسية الأصيلة . واستجابةً لهذا الشوق رسم الشماس الأكليريكى وجدى قساً للأقباط فى تورنتو (بكندا)[١] بعد انتهاء السنة الدراسية بالاكليريكية فوصل إلى شعبه فى نوفمبر سنة ١٩٦٤ (هاتور سنة ١٦٨٠) . وأوصاه البابا الوقور بإقامة القداس الإلهى للقبط فى نيويورك مرة كل شهر ؛ إلى أن نجح القبط هناك فى استئجار كنيسة بحى « كوينز » ، فانتدب لهم قداسته القمص تادرس يعقوب ملطى راعى كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس بسبورتنج بالاسكندرية .

---

(١) هو القس مرقس إلياس

(1) Bossey وهى فى سويسرا

ولما كانت كنيستنا المحبوبة تستلزم معرفة خاصة من الكهنة والشعب أبدى الأنبا كيرلس اهتماماً كبيراً لجعل القبط المغتربين يظلّون محتفظين بتراثهم الأصيل . ولهذا الهدف رأى وجوب التسجيلات التعليمية وإرسالها لهم . وبالأخص لأنهم فى البداية كانوا يفتقرون إلى المرتل المدّرب والشماس المختبر . وهذه التسجيلات لم تقتصر على الشعائر والطقوس ، بل منها ما احتوى الشرح الوافى للخدمة الكنسية لكل المناسبات . لذلك عهد إلى المعلم فهيم مرتل الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية والشماس يوسف منصور بتسجيل صلوات رفع بخور عشية وباكر وخدمة القداس الإلهى والتسبحة السنوية وألحان شهر كيهك المبارك ليشارك رهبان دير مارمينا مع المغتربين فى استذكارها — لأنه ما إن ارتفعت مبانى الدير حتى تقاطر عليه الشباب طلبا للرهبنة .

وفى امتداده ببصيرته إلى القارة الأمريكية لمح القبط فى أوروبا الوسطى . ففى السنة عينها التى ائتمن فيها القس مرقس إلياس على أولاده فى تورنتو ونيويورك انتدب القمص مينا اسكندر راعى كنيسة السيدة العذراء بسموحة (بالاسكندرية) للذهاب إلى فرانكفورت (ألمانيا الغربية) والإقامة بينهم سنة من الزمان ليتمكن من أن يتفقّد القبط فى برلين الغربية وغيرها من المدن فى المنطقة . ومن نعمة الآب السماوى أن حبة الخردل قد صارت شجرة عظيمة إذ أن لكنيستنا المحبوبة الآن مركز ثقافى هناك يرعاه راهبان برموسيان .

٢٧ — حلم كيرلس الرابع يحققه كيرلس السادس

إن فادينا الحبيب قد أعلن أنه لا ينسى كأس ماء بارد — فالذى يذكر عطية ضئيلة هل ينسى دم شهيد نال اكليل الشهادة لأنه سعى إلى توحيد الصفوف بين الكنائس الأثوذكسية ؟ **لقد داعب هذا الأمل قلب كيرلس الرابع واستشهد فى سبيله فى ٢١ أمشير سنة ١٦٧٧ش (١٨٦١/١/٣٠) . ومرت السنون وكأن النسيان قد طوى هذا الحلم الجميل . ولكن ذاك الذى ليس عنده ظل دوران حفظ لشهيده هذه الرغبة الروحية الخالصة** . فبعد انقضاء مائة وأربع سنوات ، وفى يناير سنة ١٩٦٥ ، دعا الامبراطور هيلاسلاسى قداسة البابا كيرلس ليرأس مؤتمراً للكنائس الأرثوذكسية اللاخلقيدونية فى أديس أبابا . وتهلل قلب رجل الله لهذه الدعوة واستصحب أنبا أنطونيوس مطران سوهاج وأنبا صموئيل والقمص فليمون لبيب راعى كنيسة مارمينا برمل الاسكندرية والشماس يوسف منصور وأربعة من العلمانيين . وكان المجتمعون معهم مارإغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية وسائر المشرق ، وأنبا فاسكين الأول الكاثوليكوس الأعلى للأرمن بأتشيمبازين (أرمينيا بالاتحاد السوفيتى) وأنبا خورين كاثوليكوس كيليكيا للأرمن بأنتيلياس (لبنان) ، وأنبا ثيئوفيلس مطران هرر نائبا عن الجاثليق الذى كان مريضا ، وأنبا باسيليوس جاثليق الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بالهند . وتولى السكرتارية أنوبيارتا وزير الصحة الأثيوبى .

ولقد فرح الجميع فرحا عميقا . فهم واقفون على أرضية واحدة ولهم خلفية واحدة . ثم باعدت بينهم السياسة الامبريالية والحروب والاضطهادات . وهاهم يتلاقون الآن إخوة متصافين . وأعلنوا كلهم الرغبة الواحدة وهي أن يكون المؤتمر فاتحة لعهد جديد بينهم : عهد للمجامع تربط كنائسهم بالوحدة التي عاشتها فى فترة المجامع المسكونية الثلاثة الأولى : بنيقية والقسطنطينية وأفسس . وبهذه الوحدة تزداد الكنيسة المتآلفة قوة وحيوية وإمكانية على نشر رسالة الفداء فى العالم أجمع .

وبعد الانتهاء من مداولاتهم قرروا مايأتى :

١. يؤكد مؤتمر الكنائس الشرقية الأرثوذكسية اللاخلقيدونية تمسكه بالإيمان الأرثوذكسى والعقيدة القائمة على الكتاب المقدس والتقاليد المقدسة ، ويحكم على النظريات الحديثة والتصريحات المختلفة بمقتضى نصوص الكتاب المقدس وتعاليم آباء الكنيسة لأن « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتهذيب الذى فى البر ، لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح »[١] .

وعلى كل من كنائسنا أن تعيّن لجنة لدراسة تفصيلات المشاكل التى تواجهها نتيجة لهذه النظريات الحديثة وتسجلها وترسلها إلى اللجنة الدائمة للمؤتمر .

٢. هناك حاجة ملّحة لإعادة التوافق بين الإنسان عامة والشباب المتعلم خاصة وبين حياة الكنيسة . لذلك وجب إفساح الفرصة أمام الشباب ليدخلوا إلى قلب الحياة الكنسية .

٣. إن الأسرة هى الخلية الأساسية فى حياة الكنيسة لذلك يجب تقديم توجيهات كافية للراغبين فى الزواج ولحديثى العهد به ولرعاية الأسرة .

٤. إنه يتحتّم تقوية وتعميق حياة الناس فى أسرار الكنيسة وفاعليتها فى الحياة الباطنية التى لا بد من أن تجعل الإنسان أخا لغيره فالناس كلهم أولاد الله . ومن الضرورى ترسيخ أهمية سر الاعتراف كنبع فيّاض للإرشاد الروحى والخلقى .

٥. إن التربية المسيحية ضرورة موضوعة علينا فيجب تكوين لجنة لوضع المناهج التى تتفق وتعاليم الكنيسة .

٦. منذ فجر المسيحية اهتمت كنائسنا بالإنتاج الأدبى فترك لنا الآباء تراثا ضخما من كتاباتهم . ونحن بدورنا يجب أن ننهج منهجهم فنشجع كل من لديه الموهبة على أن يكتب فى الميدان المناسب لإمكانيته . ونحتاج اليوم إلى إنتاج خاص لمجابهة الايديولوجيات والنظريات الحديثة من واقع الإنجيل ؛ وإلى كتب شعبية كالقصص والنبذات الصغيرة المبسّطة وإلى نشرات تعطى صورة متكاملة لتاريخ كنائسنا ووضعها الحالى بأسلوب دقيق متواضع عادل .

٧. وجدير بنا إصدار مجلة لكل كنائسنا تتضمن مختارات من إنتاجاتنا المحلية ونشاط لجاننا وسكرتيرياتنا العامة .

---

(١) ٢ تيموثيئوس ٣ : ١٦-١٧

كذلك أصدروا قرارات عن إنعاش الرهبنة والعمل على الإفادة بالراهبات . ثم بتبادل الرهبان والراهبات بين كنائسنا المختلفة ، ونظام الإدارة الكنسية .

ومن ثم انتقلوا إلى التشاور عن التعاون فى مجال التعليم اللاهوتى والكرازة وفى علاقة كنائسنا بالكنائس الأخرى . وانتهوا إلى تكوين هيئة للعلاقات العامة الدائمة اختار لها قداسة البابا كيرلس أنبا صموئيل وأنبا أثناسيوس .

٢٨ — بيان بخصوص العدل والسلام فى العالم

وفى النهاية أصدورا البيان الآتى :

إن رؤساء الكنائس الشرقية الأرثوذكسية اللاخلقيدونية المجتمعين فى مؤتمر أديس أبابا خلال يناير سنة ١٩٦٥ يعربون عن أملهم الحارّ فى أن يسود العدل والسلام كل شعوب الأرض . فربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح هو رئيس السلام . إنه يريد السلام على الأرض وبالناس المسرة .

على أن السلام ليس معناه اختفاء الحرب بل هو بالحرى تهيئة الفرصة لأن تحيا كل الشعوب فى تعاون وانسجام نحو اختبار ملكوت السموات . ملكوت الله على الأرض مما يحتّم الإعتراف الكامل بحقوق الفرد والجماعة والشعب باعتبارهم جميعا أبناء الله متساوون أمامه دون تفرقة بين جنس أودين أولون أوطبقة . وفى هذا السبيل يجب التعامل على أساس حرية الضمير والعدل والمساواة . وعلى كنائسنا أن تعمل على تحقيق هذا الوضع بين الناس طاعةً لله ، وأن تتعاون مع جميع الهيئات العالمية التى تكافح فى سبيل هذه المبادىء .

ومن نعمة الله على البابا كيرلس أنه نجح فى إيجاد حل للخلاف الذى ظل محتدما بين الكنيستين الأرمنيتين مدى خمسمائة عام . وقد وعدت الكنيستان بوضع توصيات قداسته موضع التنفيذ بعد موافقة مجمع كلٍ منهما .

وكانت كنيسة السيدة العذراء بدار البطريركية القبطية بأديس أبابا قد خربّها الايطاليون أثناء احتلالهم لأثيوبيا من سنة ١٩٣٦ — سنة ١٩٤٢[١] ، فرممها الامبراطور . وعلى ذلك دعا قداسة البابا إلى افتتاح الصلوات فيها من جديد . وبما أنه كان هناك فى فترة عيد الغطاس المجيد فقد رأس صلوات تلك الليلة المقدسة التى اعتبرها الآباء عيد ميلاد الكنيسة . كذلك أقام صلوات القداس الإلهى فى كنيسة الملاك ميخائيل .

---

(١) أنظر تفاصيل ماحدث فى جـ ٦ ص ١١٧–١٤٥ تحت عنوان « ومضة باهرة »

٢٩ ــ وثيقة تبرئة اليهود من دم السيد المسيح

وكانت كنيستا الاسكندرية وأنطاكية ، قبيل انعقاد المؤتمر قد أصدرتا بياناً مشتركاً هذا نصه : « بخصوص البلبلة التى حدثت فى الأيام الأخيرة نتيجة مشروع القرار الذى بحثه أخيراً مجمع الفاتيكان الثانى ، نصرح » بأنه قد سبق فأعلن كل منا منفرداً رأى الكنيسة المقدسة فى هذا المشروع وظهوره . واليوم ، وإذ تمّ لقاؤنا معا ، فإننا ننتهز هذه الفرصة لنؤكد عقيدتنا الأرثوذكسية المشتركة المبنية على ما جاء فى الكتاب المقدس وتقاليد الكنيسة وتفاسير الآباء من أن شعب اليهود هم الذين حكموا بصلب المخلص وطلبوا تنفيذ ذلك الحكم من **بيلاطس البنطى بحسب الكتب . وإن توكيدنا لهذا الحدث التاريخى الهام فى حياتنا لا يتعارض** أبداً والتعاليم المسيحية التى تنادى بالمحبة والإخاء والتسامح لجميع البشر مهما اختلفت أديانهم وعقائدهم وألوانهم وجنسهم وجنسيّاتهم بنبذ التفرقة العنصرية والاضطهاد » .

٣٠ ــ جلسة المجمع المقدس

وما إن عاد قداسة الأنبا كيرلس إلى القاهرة حتى دعا المجمع المقدس إلى الانعقاد ، واستعرض مع إخوته فى الخدمة الرسولية كل ما دار فى المؤتمر . فوافقوا على قراراته بالإجماع كما قرروا وضعها موضع التنفيذ . ثم اقترحوا دراسة العلاقات بين كنيستنا القبطية وبين الكنيسة البيزنطية استهدافاً لإيجاد الوحدة معها . فهذه الكنيسة ، مع كونها أرثوذكسية ، هى خلقيدونية . بل إن أباطرتها هم الذين دعوا إلى مجمع خلقيدون ثم ظلوا يضطهدون القبط مذاك إلى سقوط امبراطوريتهم[١] .

كذلك قرروا أن تعود حياة الشركة مع الكنيسة الأنطاكية فتعاود الكنيستان تبادل رسائل الشركة ، وتذكر كل منها اسم الراعى الأعلى لشقيقتها فى أوشية الآباء .[٢]

٣١أ ــ أخوّة فعلية

وقد رأى البابا الوقور أن يكون الاجتماع الثانى للمؤتمر فى القاهرة . ورأى ببصيرته النافذة أن يكون موعده الأسبوع الأول من يناير سنة ١٩٦٦ . وحضر الآباء الذين عرفوه فى أديس أبابا . وبديهى أنهم كانوا لا يزالون ضيوفه ليلة عيد الميلاد المجيد . ولما دخلوا الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية فى تلك الليلة المجيدة رجا منهم أن يحيطوا به داخل الهيكل المقدس أثناء الصلوات القدسية بملابس التقديس . ذلك لأنه طلب إلى كل منهم أن يؤدى جزءًا معيناً من القداس الإلهى وليس ذلك فحسب بل إن كل مطران وأسقف قبطى حضر أولاه هو أيضاً جزءً من هذه الصلوات العظمى . **فكان**

---

(١) جـ ٢ الفصل الأول (٢) جـ ١ ص ٤٤٧-٤٤٨ ، ٤٥٢-٤٥٤ ، ٤٦٠-٤٦٢ ، جـ ٢ ص ١٦٦-١٦٧ ، ١٨٨-١٨٩

القداس الإلهي ليئذاك قداساً من أبدع مايمكن سماعه . فالضيوف صلى كل منهم بلغته وألحانه الخاصة وانضمت هذه اللغات وهذه الألحان إلى القبطية والعربية وألحان كنيستنا المحبوبة . وأذيع هذا القداس الإلهي الرهيب فى الإذاعة . ومما لاشك فيه أن المستمعين ، سواءً فى الكنيسة أو من الإذاعة ، طارت نفوسهم إلى ذلك اليوم : يوم العنصرة الذى تكلم فيه الرسل بلغات مختلفة . والأهم أنه خلال هذه الصلوات رنت فى الآذان كلمة رب الكنيسة « ليكون الجميع واحدا ... ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ... » .

وبهذا التشارك الروحى حول مائدة الرب أعطى الأنبا كيرلس السادس لشعبه ، بل ولكل من استمع على الإذاعة ، لمحة بهيرة للكنيسة المتألفة فى عقيدة واحدة تحت ظل ربها .

٣١ب ـــ أبوة حانية

ولقد اقترنت هذه الأخوّة الحلوة بأبوته الحانية الشاملة لبناته . ففى تلك السنة كانت لكنيسة مارجرجس بمصر الجديدة لجنة من السيدات تجمع التبرعات وتقوم بخدمات اجتماعية متنوعة . ومن نعمة الله على المؤلفة أن كانت سكرتيرة لهذه اللجنة . وفى فترة ما أصرّ أعضاء مجلس الإدارة الكنسية على أن تعطيهم السيدات كل ما يجمعن وهم يتصرّفون فيه تبعا لتقديرهم . ورفضت لجنة السيدات بإصرار أيضاً . فلما احتدم الجدال دون الوصول إلى نتيجة قررت السيدات الاحتكام إلى البابا الوقور . وترامى إلى مسامع الرجال هذا القرار وعرفوا موعد المقابلة . فسارعوا إلى مقابلة قداسة البابا قبل وصول السيدات . والله أعلم بما قالوه ! لأنه حين وصلن قابلهن قداسته بدعابته الرقيقة ولم يدع لهن الفرصة لعرض الموضوع الذى جئن بسببه . وبالطبع امتلأت قلوبهن بخيبة أمل عنيفة جعلتهن يحللن لجنتهن !

وبعد بضعة أيام ذهبت المؤلفة لمقابلته وحدها ارتكانا على مالها من دالة عنده . وحين وصلت رأته صاعداً على السلالم فجرت نحوه كالمعتاد . فالتفت إليها الفترة اللازمة لأن تقبّل يده الطاهرة . وخلافاً لما عوّدها أشار عليها بالعودة من حيث أتت ! وكان الشعور بالخيبة هذه المرة مضاعفاً . فقصدت لتوّها إلى الأنبا صموئيل وقصّت عليه ماجرى .

ومرّ أسبوعان . وإذا بجرس التليفون يرن . وإذا بالأسقف الجليل يقول لها « إن قداسة البابا يطلبك . فقابلينى غدا فى العاشرة صباحا فى حوش الدار الباباوية لأنى سأحضر معك هذه المقابلة » .

وذهبت فى الموعد المحدد . وبعد تقبيل يده الطاهرة وسؤاله عن العائلة قال بشىء من العتاب « انت بتشتكى منا ؟ » أجابت « لوكنت سمعت لى لاشتكيت إليك . ولما لم تسمع لى اشتكيت

منك » . واكتسى وجهه الرائق بابتسامة عريضة وقال : « ماتزعليش . خذى هذا الجواب » . فتجاهلت أمره وسألت : « أى جواب ؟ » قال : « الموضوع على المائدة أمامك » . وتماديت فى تجاهلى وسألت : « فيه ايه ؟ » وبدلاً من أن يغضب تعمقت ابتسامته الحلوة وأمسك بالجواب وسلّمه لى وقال مداعبا : « تعرف تقرى ؟ » أجبته : « أفك الخط » . وهنا ضحك فى هدوء وقال : « طيّب فكّيه » . وقرأت الجواب . وكان مفاجئة مدهشة ! فقد عينني رائدة للشابات[1] . ولكنى أعدته إليه وقلت : « لا . الجواب ده ما ينفعنيش . » — « ليه ؟ مش مكتوب على ورقة تحمل اسم البطريركية وختمها ؟ » — « نعم . ولكنه لا يحمل إمضاءك المحبوب » . وإذ بالمفاجئة الثانية ! فقد أخذ الجواب بكل هدوء ووقّع عليه ! وأضاف بصوت ضاحك : « امبسطى . أدينى عملتك أسقفة ! » قلت : « يعنى حانافس أنبا صموئيل ؟ » فضحك ثانية وقال : « أيوه . هو أسقف الخدمات . وانت أسقفة الشابات ! »

وبهذه المفاجئة . وبهذه الدعابة صالحنى البابا الكبير وهذا كان شأنه مع كل أولاده لوحدث أن غضب على أحد منهم . كان يغضب وبعد فترة يرضى . فهو لم يدع فى قلبه الكبير ركنا للغضب مما جعله ينبذه بعد قليل . ولم يكن رضاه مجرد كلام . كان رضى عمليا . أليس هو رجل الله الذى عاش معه فى وحدة تامة عدة سنوات ؟ ثم أليس هو الذى أعلن رب الكنيسة عن تقبّله له بأن ائتمنه على شعبه ؟ **ولأنه كان ذا صلة متينة بفاديه الحبيب الذى أوصانا بأن نسامح سبعين مرة سبع مرات[2] درّب نفسه منذ بداية رهبنته على أن لا يعطى مكانا للغضب .**

ومن عنايته بأولاده كلهم أن عبد الحكيم ، الابن الأصغر لجمال عبد الناصر ، مرض وبدا كأن المرض سيطول . واستشف البابا العطوف قلق الوالدين . فقصد إلى دار الرئيس ، وصلى على رأس عبد الحكيم فمنحه الآب السماوى الشفاء الفورى !

بل إن هناك موقفاً له العجب ، إن دل على شىء فإنما يدل على الأغوار التى غاصتها باطنيته . فلقد قصد إليه المحاسب حنا يوسف وعبّر له عن مخاوفه من أن ابنه الوحيد يسيطر عليه الوهم بأن هناك من يضعون له السم فى الطعام فيكاد أن يمتنع من الأكل بالكلية ! قال له رجل الله بابتسامته الرقيقة : « دعه يذهب إلى الصحراء مع الراهبين (فلان وفلان) . وفى فضاء الصحراء يصلى « أبانا الذى » بصوت عالٍ » . فلما نفذوا هذا التوجيه الأبوى استعاد الولد هدوءه النفسى . وحين قصد حنا إلى البابا الوقور ليشكره سأله : « احنا بنصلى أبانا الذى يوميا فى بيتنا — فإيه السر فى تلاوتها بصوت عال وسط الصحراء ؟ » وجاء الصوت الرصين : « الولد مش بقى طبيعي ؟ » — « أيوه » — خلاص ما تسألش عن السر » . فما أعجب الباطينيّات التى ملأت روح الأنبا كيرلس السادس !

---

(١) جاءت صورة الجواب البابلوى فى آخر الكتاب

(٢) متى ١٨:٢٢

٣٢ ـ العناية بأفريقيا

ولقد امتدّ الوعى الباباوى ليشمل جهات متعددة من أفريقيا : فهو الراعى لأول كنيسة قامت على أرض أفريقيا ، بل هو الخليفة لكاروزنا الحبيب الأفريقى الأصل . ففى سنة ١٩٦٠ أوفد القمص مكاريوس السريانى (أنبا أثناسيوس الحالى) ليقوم بجولة فى دول شرق أفريقيا ثم فى جنوبها ليفتقد الكنيسة هناك(١) . وبعدها أوفد بالتتالى القمص باخوم المحرق (أنبا غريغوريوس) لحضور المؤتمر الأول لمجلس كنائس كل افريقيا ، ود. زاهر رياض ، أستاذ بالمعهد العالى للدراسات الأفريقية والشماس وجدى إلياس (القس مرقس) والشماس جورج حبيب بباوى لحضور مؤتمر الشباب الأفريقى ، ثم القس يوسف عبده لحضور اللجنة اللاهوتية لمجلس السلام المسيحى التى انعقدت فى فريتاون عاصمة سيراليون ، فالقمص أنطونيوس السريانى (البابا شنودة الثالث) إلى كينيا لحضور حلقة الدراسات لشئون الأسرة الأفريقية .

كذلك بدا اهتمامه بأفريقيا فى تشجيعه قسم دراساتها بالمعهد العالى لإعداد الخدام اللاهوتيين والمدنيين للعمل فى مختلف الربوع الأفريقية . وبتشجيعه أيضاً تمكّن القس يوسف عبده ، مدرّس مادتى الكرازة والشئون الأفريقية بالأكليريكية والمعهد العالى من أن يستكمل دراساته التى كان قد بدأها فى هذين الموضوعين بالولايات المتحدة ، ومن أن يُعد رسالة ضافية عن « الكنيسة والحركات الوطنية فى شرق أفريقيا منذ أواخر القرن التاسع عشر » . وبالفعل نال دكتوراه مع مرتبة الشرف فيها من جامعة القاهرة فى ٢٩ أبريل سنة ١٩٦٨ .

ومنذ سنة ١٩٤٩ كانت قد وصلت رسائل إلى البابا المرقسى من جنوب أفريقيا طلبا لرعايته لهم . وبالفعل لبّى رجاءهم . ولكن حكومة جنوب أفريقيا وقفت فى الطريق فعوّقت الخدمة . على أن التطلّع الإنسانى ، مادام نابعاً من عمق النفس ، لا يرضى بالهزيمة ، وإذ يصل إلى عرش النعمة يؤتى ثماره . وهكذا ظلت « البذرة » الحية تنمو فى الخفاء إلى أن واتتها الفرصة لتظهر على وجه الأرض . فتوالت الرسائل والزيارات من كنائس أفريقية مختلفة . ثم فى يناير سنة ١٩٦٦ أرسلت المطرانية القبطية بالخرطوم ستة عشر طالباً ، نصفهم سودانيون والنصف الثانى من جبال النوبة للدراسة فى القاهرة . ورحّب بهم قداسة البابا وأمر بإعداد المقرّ الباباوى الملحق بكنيسة مارجرجس بطرة (على كورنيش النيل) مقراً لسكناهم وتعليمهم . وعهد إلى القس أنطونيوس السريانى برعايتهم والإشراف عليهم وعلى دراساتهم وتدريباتهم الروحية . ومن بعده تولى هذه الرعاية القس بيمن والقس داود (وكلاهما من دير السريان) . وبعد ثلاث سنوات من الدراسة رسمهم البابا كيرلس شمامسة

---

(١) راجع ح ٦ ص ٣٢-٣٥ ، ١١٥

وأفسح لهم المجال للخدمة فى الهيكل . وحين عادوا إلى بلادهم رسمهم أنبا دانيال مطران الخرطوم للخدمة الدينية فى مختلف المناطق .

إذن فمع أن اسم البابا كيرلس يرتبط دوما بالصلاة **إلا أن الذى يجب أن نذكره هو أن الصلاة ليست بالأمر الهيّن : إنها نوع من الجهاد العنيف . فهى ، قبل كل شىء ، اقتناع النفس بحاجتها المستمرة إلى الله — تلتمس عونه وتستجدى رحمته . فرجل الصلاة يؤمن بالمشورة الإلهية والإنارة السماوية ويُخضع لهما عقلة وإرادته . وهو فى الوقت عينه رجل العمل . لأن الصلة الوثيقة بالله لابد من أن تنعكس على صلة الإنسان بأخيه الانسان فتجعلها علاقة حية قوية . ومن هذا الإدراك نجد أن رجل الصلاة هو رجل الجهاد والعمل والنشاط واليقظة والاهتمام بشئون الآخرين . كل هذا نراه فى الأنبا كيرلس الذى ، بميْزاته هذه ، يجعل كل من يكون فى حضرته يشعر بقوة حانية تشع منه إليهم .**

٣٣ — امتداد الكرازة المرقسية

وابتداءً من سنة ١٩٦١ بدأ عدد من الأقباط ينزحون إلى مختلف بقاع الأرض — ومنهم من قصد إلى الكويت . ولما تكاثر عددهم حصلوا على إذن من سمو أميرها ببناء كنيسة . فلما تم بناؤها أرسلوا إلى قداسة البابا يرجون منه إرسال كاهن يرعاهم . فأرسل لهم ، فى البداية ، أسقفاً ليؤدى شعائر تكريسها وأطلقوا عليها اسم الكاروز المحبوب مارمرقس . وكانوا قد بنوا داخل أسوار الكنيسة بيتا للكاهن وللشماس والقرابنى . واستجاب البابا الوقور الرجاء وأرسل أولاً القمص انجيليوس المحرق (أنبا مكسيموس مطران القليوبية) ؛ ثم القمص يوحنا جرجس فالقس غبريال كامل ثم القمص تيموثيئوس المقارى الذى صار ضمن المرشحين للكرسى المرقسى سنة ١٩٧١ . وحينذاك استدعاه قداسة البابا شنودة الثالث ورسمه أسقفا عاما .

ومما يفرحنا أن جميع المسيحيين القاصدين إلى الكويت من مختلف دول الشرق الأوسط يصلون فى كنيستنا . وقد سمعت هذا الخبر من صديقة لبنانية إلتقيت بها فى مؤتمر مدراس . على أن النازحين إلى الدول الغربية كانوا أكثر عدداً ، ونزحوا ليستقروا نهائيا بها — أى أنهم هاجروا ولو أنهم يوصفون بالمغتربين . وكان البابا الوقور قد رسم القس مرقس إلياس راعيا للكنيسة فى تورنتو سنة ١٩٦٤ . ثم رأى من تقارير أنبا صموئيل الضرورة إلى راعٍ ثانٍ فرسم للقبط المقيمين بمونتريال (بكندا أيضاً) القس رافائيل يونان نخلة الذى وصل إلى مقر خدمته فى يوليو سنة ١٩٦٧ .

ثم أولى قداسته لفتة لأبنائه الذين فى « فى أقاصى المسكونة » — استراليا — وكان بالاسكندرية شماس مدرس بالمدارس الثانوية للبنين عرف فيه الجميع تفانيه فى الخدمة . فرسمه أنبا كيرلس باسم القمص مينا لبيب نعمة الله فى مارس سنة ١٩٦٨ . فسافر على الباخرة « باتريس » يوم ١٦ ديسمبر

من السنة عينها ووصل إلى مقرّه الجديد فى ٢٢ يناير سنة ١٩٦٩ . ومن المفرح أن نشرت جريدة « صنداى تلجراف » التى تصدر فى مدينة سيدنى مقالاً يوم ٢٦ يناير قالت فيه : « سيرتفع الليلة فى شارع كليفلاند ريدفيرم صوت المصلين باللغة المصرية القديمة مدويا فى قاعة مستشفى النجدة العسكرى التى بذل القبط المقيمون فى سيدنى جهوداً شاقة لتحويلها إلى كنيسة قبطية . وسيتعطّر بالبخور القادم من أرض الفراعنة » .

« ولقد بدا القمص مينا الموفد من قداسة البابا كيرلس السادس مهيبا بطوله الفارع والصليب الكبير يتدلّى على صدره ، وهو مما يجدله الرهبان (من الجلد) . وقصد هو ومرافقوه المصريون إلى قاعة مستشفى النجدة العسكرى . ولما أشعل المبخرة ارتفعت سحب كثيفة من الدخان الأبيض المعطّر . وتلك التى كانت مجرد قاعة ليس بها غير دكك خشبية قد تحّولت بعمل المحبة إلى هيكل مسيحى قديم أقيمت فيه شعائر القداس الإلهى وتُلىَ الانجيل المقدس بلغة غريبة عن أهل المدينة وبألحان لم يسمعوها من قبل » .

« ومن الظواهر التى لفتت النظر خلال الصلوات القبلة المقدسة ، وهى ليست تقبيلا بالمعنى الشائع . ولكنها مصافحة بالأيدى ثم تقبيل كل واحد يده بعد مصافحة من يكون إلى جانبه ثم بعد الانتهاء من الصلوات تجّمع الكاهن وشعبه وتناولوا وجبة يسمونها « أغابى — وليمة المحبة ترجع ممارستها إلى العصر الرسولى » .

« ولايفوتنا أن نذكر أن الأب مينا ، حين دخل الهيكل ليؤدى الشعائر المقدسة ، خلع ثيابه السوداء وارتدى ثوباً أبيض فضفاضا مزركشاً بصلبان ذهبية — فهذه ثياب السماويين » .

٣٤ — انسحاق فبهجة روحانية

وبدأت سنة ١٩٦٧ كغيرها من السنوات فانشغل الآباء والأبناء بأعمالهم المسئولين عن تاديتها . وتوالت بالهدوء المعتاد . ثم فى اليوم الذى ابتهجت القلوب بتعييد مرور ثمانى سنوات على باباوية الأنبا كيرلس السادس أراد هذا الراعى الحنون أن يضاعف فرحة أولاده . **ففى ١٠ مايو سنة ١٩٦٧ رسم القمص باخوم المحرق أسقفا للبحث العلمى والتعليم العالى باسم أنبا غريغوريوس . وهذه الرسامة هى أيضا تخطيط جديد فاجأ بها رجل الله شعبه الملتفّ حوله . ثم رأى أن يعاود إحياء مطرانية منف القديمة فرسم الأنبا بولس الأنطونى أسقفا لحلوان والمعصرة .**

والواقع أن البابا كيرلس رسم عشرين مطرانا وأسقفا ، ولكن التسجيل هنا قاصر على الأسقفيات التى أنشأها قداسته . أما الأساقفة الآخرون فقد رسمهم حين شغرت ايبارشياتهم . ومثل هذه الرسامات من صميم عمل أى بابا مرقسى وقد أدّاه كل الباباوات على مدى العشرين قرنا من تاريخ كنيستنا المحبوبة . إذن فهى ليست من الأمور الى تُعتبر أمجاد عصر دون غيره .

وهذا الواقع ينطبق أيضا على الشعائر الخاصة بطبخ الميرون المقدس الذى هو ضرورة طقسية وهذه الشعائر لا يؤديها غير الباباوات حين يجدون الكمية المتبقية منه غير كافية . وعلى سبيل المثال فقد قام أنبا يؤنس ال١٩ بطبخ الميرون مرتين : إحداهما لكنيستنا فى مصر والثانية لأولادنا فى أثيوبيا(١) .

وفى يوم ١٠ مايو أيضا استقبل جمال عبد الناصر قداسة البابا فى منزله وحين علم منه بأن هناك عجزاً فى إيرادات البطريركية قدّم لقداسته منحة قدرها عشرة آلاف جنيه مساهمة من الدولة فى مواجهة هذا العجز .

ومع أن هذا العمل البنّاء تحقق تحت سماء صافية ساطعة فإنه لم تلبث أن طغت عليها **غيوم قاتمة كثيفة بعد مرور ثلاثة أسابيع فقط . لأن اسرائيل داهمت مصر بحرب شعواء** تواطئت معها فيها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . فهذان الغريمان المتنافسان لم يتحدّا إلا على الشر . وكانت مصر فريستهما ! لماذا ؟ إن الرد الصراح معلوم لدى عارف الخفايا وحده . أما المصريون فقد رأوا المأساة القديمة التى طالما تكررت : مأساة الطمع فى أرض الفراعنة والرغبة الامبريالية فى عدم إتاحة الفرصة لها لتتقدم تقدما مطّردا . وكل هؤلاء الطامعين نسوا ، أو ربما كانوا على غير علم ، أن « بركة الرب تغنى ولا يزيد معها تعب »(٢) **فكم من مغير طغى وتجبّر ثم تلاشى . وعاودت مصر سعيها نحو الحياة الكريمة . إنها الشاهد الحى المستمر للبركة التى منحها إياها ربها .**

وكانت هذه الحرب فى الأسبوع الأول من يونيو : كانت حربا قاصفة قاصمة على الرغم من أنها لم تطل إلا لستة أيام ! وخرجت مصر كسيرة أسيفة حتى لكأن اليأس ابتلعها ! وفى هذه الحرب الضروس استولت إسرائيل على القدس . ومذاك لم تسنح الفرصة للقبط لأن يتذّوقوا المتعة الروحية بزيارة مدينة ملك السلام فى فترة عيد القيامة المجيدة . وتهلل الأعداء . وزعموا بأن مصر لن تقوم لها قائمة بعد الخسائر الفادحة التى مُنيت بها . على أن هذا تقدير إنسانى عنجهى محض صادر عن غير وعى بالصلوات الدافقة الغامرة التى ترتفع نحو العرش السماوى من البابا الوقور ومن كل ملء الكنيسة .

وانطوت هذه السنة الكسيفة . **ووصلت الأيام إلى ٢ أبريل من سنة ١٩٦٨ . وإذا بمباغتة روحية فريدة . فكما نظر الرب إلى اتضاع أمته وجعلها الأم العليا لمحبّى ابن الله هكذا نظر إلى انسحاق مصر التى تلقته بالترحاب يوم أن جاءها هرباً من بطش هيرودس ففى عصر ذلك اليوم كان عمّال شركة النقل العام فى الجراج المواجه لكنيسة السيدة العذراء بالزيتون يتهيأون للخروج وإذا بالذعر يصيبهم لرؤيتهم سيدة مولية ظهرها لهم تتنزل من أعلا القبة الرئيسية المتوسطة لسطح تلك الكنيسة . فصرخوا فى ذعرهم : « حاسبى ياست . حتقعى ! » فاستدارت وواجهتهم .**

---

(١) جـ ٦ ص ٤٢ (٢) أمثال ١٠ : ٢٢

وتحول ذعرهم إلى هتافة من الفرح : « ستنا مريم ! ستنا مريم ! » وترددت أصداء هذه الهتافة على طول القاهرة وعرضها . فهرعت الجماهير لتتحقق من الخبر . لقد كان صحيحا !

وظلت والدة الإله تظهر لسنتين وأربعة شهور متتالية . فكأن واعد مصر بالبركة شاء أن يعرف العالم بأنه مازال يذكر لمصر حسن ضيافتها له فأعلن على الملأ ثبات بركته . وكأنه أيضا شاء أن يضمّد القلوب الجريحة ويرفع النفوس المنسحقة لتستطيع الفرح الخالص ببهجة قيامته المجيدة . فقد كان يوم ٢ أبريل من تلك السنة هو يوم الاثنين من أسبوع الآلام المحيية .

ولقد صحب هذا الظهور البهيج استعلانات متباينة . فرأت الجماهير الساهرة حول الكنيسة من غروب الشمس إلى شروقها مجموعات من ثلاث أوخمس أوسبع حمامات بيضاء ــ ناصعة البياض ــ ذات حجم أكبر من المعتاد تظهر بغتة من ناحية من السماء وتطير كالبرق إلى الناحية الأخرى دون أن ترفرف بأجنحتها . وكانت تبدو دوما فى شكل مثلث فى مقدمته حمامة والأخريات على جانبيها بحيث يشكلن شكلاً ثلاثياً . كذلك كانت تستطع أضواء فى شكل دوائر اوأعمدة ممتدة من سطح الكنيسة إلى فوق حيث تتلاشى مع اللانهائية . كما أنهم رأوا بعيونهم وشموا بأنوفهم أعمدة من البخور أحياناً من على سقف الكنيسة وأخرى من حديقتها . وهذا البخور كان يرتفع ارتفاعاً يتلاشى بعده فى الأجواء العليا .

وذات ليلة قصد الرئيس جمال عبد الناصر ومعه حسين الشافعى سكرتير المجلس الإسلامى الأعلى إلى بيت أحمد زيدان كبير تجار الفاكهة آنذاك ــ وكان بيته ملاصقا للجراج ــ أى فى مواجهة الكنيسة ــ لكى يتحققوا من الظهور المعجزى . **وفى تلك الليلة ظهرت أم النور من منتصف الليل إلى الخامسة صباحا ! وكان ظهوراً صريحا واضحا .**

وجدير بالذكر أن البطريركية اشترت أرض الجراج وبيت أحمد زيدان . فأقامت فوق الأرض كتدرائية شامخة ؛ وشيّدت مكان البيت مبنى كبيراً يحتوى على مراكز للأنشطة الكنسية المختلفة .

ومن نعمة الله على المؤلفة أن منحها النشوة الروحية برؤية السيدة العذراء يوم السبت ٢٩ يونيو سنة ١٩٦٨ لمدة خمس وثلاثين دقيقة . وقد رأتها واقفة إلى جانب القبة الصغيرة التى تعلو الركن الشرق الشمالى من سطح الكنيسة وكانت أطول من القبة ! وقد ارتدت ثوبا أزرق غامق وعلى رأسها طرحة من اللون عينه . ويبدو أن نسيما سماويا كان يحيط بها لأن الطرحة كانت ترفرف رفرفة رقيقة . وظلت واقفة من الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والأربعين إلى الساعة الخامسة والثلث . ومن حنانها كانت تتجه بوجهها البديع يمنة ويسرى ليرى الجميع وجهها النورانى البهير .

ولكل هذه الاستعلانات ولطول المدة قال لنا آباؤنا بأنه ليس مجرد ظهور بل هو « تجلّى » . وصاحب هذا التجلى الوفير من المعجزات . ولم يسعد به المصريون وحدهم إذ قد توافد أوربيون

وأمريكيون وغيرهم خصيصاً ليحظوا برؤية والدة الإله . وقد صدر كتابان باللغة الانجليزية — أحدهما لراهب دومينيكانى اسمه جيروم بالمر من ولاية كاليفورنيا جاء ليرى بعينيه ويسمع بأذنيه . فسهر عدة ليالى عند الكنيسة وتحادث مع الكثيرين من المتجمهرين . وأخذ يستقصى عمن جرت له أعجوبة . وحالما عاد إلى وطنه أصدر كتاباً بعنوان « سيدتنا تعود إلى مصر »(١) . كذلك جاءت السيدة بيرل زكى ، وهى أمريكية متزوجة من قبطى ، وهى أيضا سهرت الليالى وسألت الكثيرين ممن قابلتهم عما رأوا أوعما حدث لهم من معجزات . وبدورها وضعت كتابا بعنوان : « سيدتنا تزور مصر »(٢) .

ولايفوتنا أن نذكر أن الأنبا غريغوريوس قد أصدر كتاباً عن هذا التجلى المذهل باللغة الانجليزية ليكون شهادة « للذين هم من خارج » .

وجدير أن نعرف أن السيدة العذراء قد ظهرت بشكل واضح مبهر فى الحادية عشرة صباحا من يوم الاثنين ٢١ يوليو سنة ١٩٥٤ فى فصل من مدرسة البنات التابعة للمطرانية القبطية بالقدس لعدة مرات(٣) .

وقد شكّل البابا الجليل لجنة من أنبا اثناسيوس والقمص مرقص غالى وكيل عام البطريركية والقمص جرجس متى مدير الديوان البطريركى والقمص يوحنا عبد المسيح سكرتير اللجنة البابا وية لشئون الكنائس والقمص بنيامين كامل سكرتير قداسته ، وعهد إليهم بأن يتقصّوا الحقائق قبل إصدار بيان رسمى عن واقعية الظهور . وقد صدر البيان فى ٢٦ برمودة سنة ١٦٨٤ ش (٤ مايو سنة ١٩٦٨ م) .

وعلى أثر ظهور هذا البيان انعقد مؤتمر صحفى بالدار البابا وية برياسة أنبا غريغوريوس وتقدم الصحفى ميخائيل خليل ، عند انفضاضه ، إلى البابا الوقور بسؤاله عن السبب فى عدم ذهابه لرؤية التجلّى ، وعدم توقيعه على البيان البابا وى ، وعدم رياسته المؤتمر الصحفى . أجابه قداسته : « **أرى أم النور منذ حداثتى وقد لمست عجائبها فى بيتنا سنة ١٩١٠ حين ظهرت عندنا بملابسها النورانية ووهبت الشفاء لمريض بالمنزل وظلت صورتها مصدر إشعاع بالبركات فى بيت أسرتى التى وضعت علىّ إنارة القنديل الموضوع أمام الصورة** . والآن وقد شهدت الملايين ظهور السيدة العذراء ، وتناقلت أنباءه صحف العالم شاهدين على أنه ظهور فريد فى تاريخ المسيحية ، فإننا نسجد لله مسبّحين بحمده » .

« أما عن المؤتمر الصحفى فقد كان بإرشادى ، وبعد بحث وتروٍّ أصدرت بياناً بالحقائق التى

---

(1) Jerome Palmer. Our Lady Returns to Egypt.

(2) Pearl Zaki: Our Lady Visits Egypt.

(٣) جـ ٦ ص ١٥١-١٥٣

جُمعت ووقّعت عليه وأمرت بطبعه وتوزيعه ، وانتدبت ثلاثة أساقفة لينوبوا عنى فى حضور المؤتمر وسوف أتوجّه لزيارة الكنيسة فى الوقت الذى يختاره الله لأقوم بالصلاة فيها كعادتى المتّبعة فى جميع الكنائس . وسيكون ذهابى بعد أن يتأكد كل الناس من واقعية الظهور مستهدفاً أن لا يقال إننى أوحى إلى الناس بأن يفعلوا طبق ما أفعل » (ألا تبرهن هذه الكلمات عن التواضع العجيب الذى ازدان به البابا الكبير ؟)

« وقد أعلن ظهور السيدة العذراء أن كنيسة مصر مازالت مرموقة تضىء العالم كله ، إنه أثبت صدق روحّياتها وعمق هذه الروحيات ، وبيّن القوة الجبّارة الكامنة فى قداسها الإلهى وفى أسرارها ... » وارتباطاً بكل هذا المجد يفرحنا أن نقول إن البابا كيرلس صورة حية لهذه الكنيسة : إنه رجل برية فى موقع القيادة .

٣٥ ــ بركة على بركة

ومن المفرح أن بركة السيدة العذراء أضفت بهجة على أعيادها وبركة خاصة لمدينة « راكوتى »[1] مدينة مارمرقس ــ المدينة المحبة للسيد المسيح . فقد كان للبطريركية قطعة أرض على خط ترامواى الرمل قرب محطة سبورتنج أقامت عليها « سقيفة » للصلاة تمهيداً لبناء كنيسة ولم يكن لهذه السقيفة كاهن خاص بها ، بل كان يتعاقب عليها أسبوعياً أحد الآباء الكهنة خدام الكنيسة المرقسية . وظلت مدة سنوات على هذا الحال . ثم جلس البابا كيرلس على كرسى مارمرقس . وفى يوم ٩ هاتور سنة ١٦٧٥ ش (٥٩/١١/١٨) كان فى زيارة لمقرّ الكرازة المرقسية . وجاءه أبونا مينا اسكندر ليعبّر له عن فرحته ولينال بركته الرسولية ودار الحديث بينهما عن هذه السقيفة . قال الراعى المتيقّن من مسئوليته : « ليس من الممكن بناء الكنيسة المطلوبة إلا متى كان لها راعٍ خاص بها » . وعندها دخل الخادم الأمين سامى كامل يستصحب فصله فى التربية الكنسية . فهتف أبونا مينا فى فرحة تلقائية : « ها هو الشاب الذى يصلح لأن يكون كاهناً » وبعد حوار قصير أعلن البابا الوقور بأنه سيرسمه فى الأحد التالى وفقاً لإلهام من مارمرقس - أى بعد أربعة أيام وقد تحقق قول الخليفة المرقسى كما تحققت فرحة أبينا مينا . **فالشاب الذى نال كرامة الكهنوت هو أبونا بيشوى كامل أحد قديسى عصرنا الحاضر إنه داوم على إقامة الصلوات الكنسية حسب الطقس الآبائى من تسبحه ورفع بخور عشية وباكر ، وفى قمتها القداس الإلهى . فلقد اشتعل محبة بكنيسته وبصلواتها . ولكونه روحانياً بأعمق معنى الروحانية فقد اكتفى بوضع صناديق فى أركان السقيفة ولم يُشِرْ عن قرب ولا عن بعد إلى الحاجة للتبرعات . ومع ذلك فالمال الذي وصل إلى هذه الصناديق مكّن أبانا بيشوى والعاملين معه من إقامة الكتدرائية الفخمة التى تحمل اسم مارجرجس مكان السقيفة ومن بناء ست كنائس أخرى متناثرة فى أحياء الاسكندرية[2] وما على أى شخص يزور مدينة الكاروز العظيم إلا أن يحظى ببركة الصلاة فى**

---

(١) هو الاسم الفرعونى للاسكندرية .

(٢) قصة القمص بيشوى كامل للمؤلفة ص ١٥-١٦

هذه الكنيسة الفخمة ، والتجّول بين هذه الكنائس أو السؤال عنها ، وجدير بالذكر أن أبانا بيشوى كامل هو أول من بدأ سهرة ليلتَى السنة القبطية والميلادية العامة فى الكنيسة ليتسقبل الناس سنتهم من أولها مع الله .

وفى يوم الأحد ٩ هاتور سنة ١٦٨٤ ش (١٧ / ١١ /٦٨ م) تمّ تكريس هذه الكنيسة . وقد اختار المسئولون هذا اليوم لأن فيه تكرّست أول كنيسة على اسم البطل الشهيد بمدينة اللد مسقط رأسه . فانتدب البابا الجليل نيافة الأنبا مكسيموس مطران القليوبية لإقامة شعائر التكريس المقدسة لحرص هذا المطران الوقور على الصلاة بدقة وتؤدة غير حاسب للوقت حساباً . **فالواقف فى الحضرة الإلهية قد خرج من مجال الزمن ليعيش فى اللا زمن .**

ولهذه المناسبة البهيجة طبعت الكنيسة نبذة وزّعتها على الحاضرين جاء فيها : « إن تكريس الكنيسة هو عيد يبتهج فيه المؤمنون ليقينهم بأن الله يتنازل ليتقبلّ من أولاده تقديمهم له بيتاً مكرّساً ومفرزاً لعبادته فيه » .

« إنها محبة عظمى وتنازل لا يوصف أن يهبنا الله هذه العطية فيقيم كلامه معنا ويرضى بالسكنى فى وسطنا فى بيت مخصّص ومكرس له يُدعى اسمه عليه ويكون لعبادته وخدمته وحده دون سواه » .

« نشكرك أيها الإله الحى لأنه « هو ذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت »[١] .

« ...... فى الكنيسة لا نعيش فى ظلال ولا رموز لكننا ننال عربون السموات . فنحن نقول يوميا : « **إذا ما وقفنا فى هيكلك المقدس نُحسَب كالقيام فى السماء** »[٢] .

ويقول الأب يوحنا كرونستارت (روسى) : « بيت الله هو السماء على الأرض ، لأنه حيث يوجد عرش الله وتقديس أسراره الإلهية واشتراك السمائيين مع البشر فى تسبيح العلى ، فحينئذ نكون هى السماء وسماء السماء » .

٣٦ ــ عودة الكاروز إلى وطنه

وابتداءً من سنة ١٩٦٥ عقد الأنباكيرلس السادس المجمع المقدس وتداول معهم عما تصبو إليه نفسه من الاحتفاء بمرور تسعة عشر قرناً على استشهاد مارمرقس سنة ١٩٦٨ ومن السعى إلى استرجاع رفاته القدسية لتكون فى مصر بمناسبة هذه الذكرى . ووافق الآباء الأجلاء على

(١) ٢ أيام ٦ : ١٨

(٢) القطعة الثالثة من صلاة الساعة الثالثة (فى الأجبية)

هذه الرغبة . وفى الحال تألفت لجنة باباوية للسفر إلى رومية والتفاوض مع باباها فى هذا الموضوع . ذلك لأن التجّار البندقيين ، أثناء تبادلهم التجارة مع مصر ، كانوا قد نجحوا فى سرقة جسد مارمرقس فى القرن التاسع ، ووضعوه تحت مذبح كتدرائيتهم الفخمة التى تحمل اسمه إذ هو الشفيع الحارس لمدينتهم[1] .

ومن مراحم الآب السماوى أن نجحت هذه المفاوضات . وتمهيداً للاحتفال بدأ العمل فوراً لإقامة الكتدرائية الضخمة على أرض الأنبا رويس . والحق أن القلوب لتهتز فرحاً كلما رأت منارتها الشاهقة صوب السماء فألّف البابا الوقور لجنة للإشراف على عملية البناء ، وعهد برياستها إلى الأنبا صموئيل .

وفى صباح ١٦ بؤونة سنة ١٦٨٤ ش (٢٣/٦/٦٨م) قامت لجنة باباوية برياسة أنبا مرقس مطران طهطا وطما وأبو تيج وعضوية أنبا ميخائيل مطران أسيوط وأبنا أنطونيوس مطران سوهاج وأنبا بطرس مطران أخميم وأنبا دوماديوس أسقف الجيزة وأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى وأنبا بطرس أسقف حلوان وبصحبتهم ثلاثة من العلمانيين وثلاثة من أساقفة أثيوبيا . وقد قاموا على طائرة خصصتها لهم شركة مصر للطيران . ووصلوا صباحاً إلى رومية وتقابلوا مع البابا بولس السادس والوفد الذى كان قد انتدبه ليرافق الوفد المصرى فى عودته .

وبعد مراسيم على جانب كبير من الرهبة ، وبعد أن ألقى نيافة الأنبا غريغوريس كلمة بالإنجليزية[2] تسلم أنبا مرقس الرفات الكريمة . ثم عادوا على الطائرة التى أقلّتهم ـــ إذ قد بقيت فى انتظارهم ـــ وبصحبتهم وفد البابا الرومانى . ووصلت الطائرة إلى مطار القاهرة الدولى فى الحادية عشرة مساءً . ومن عجب الله أن ثلاث حمامات بيضاء ، كتلك التى كانت تشاهد حول كنيسة السيدة العذراء بالزيتون ، قد رافقت الطائرة منذ أن قامت إلى أن وصلت . واحدة عند الذيل وواحدة عند كلٍ من طرفيّ جناحيّ الطيارة . وحينما قاربت الطيارة ، فى هبوطها ، رؤوس المنتظرين اختفت الحمامات الثلاث !

وكان البابا كيرلس ومعه عدد من مطارنته وأساقفته وكهنته وشمامسته فى الانتظار وقد أدخلهم المسئولون إلى البقعة التى سترسو عليها الطائرة وحينما رست بالفعل كان واقفاً أمام سلّمها بالضبط **وليلتذاك كان بالمطار مائة وخمسون ألفاً من الشعب المصرى : قبطه ومسلميه ليكونوا فى استقبال رفات كاروز مصر العظيم** . ومن بركة الله على المؤلفة أن كانت ضمن هذه الجماهير المحتشدة .

وما إن رست الطائرة حتى صعد البابا الوقور يتبعه الآباء وحمل الصندوق المحتوى على الرفات الكريمة على كتفه وهم يساندونه وكان صندوقاً مربعاً ملفوفاً بقماش من الساتان الأخضر الزيتى

---

(١) جـ ٢ ص ٤٧٣-٤٧٤

(٢) وردت الترجمة العربية لهذا الخطاب فى آخر الكتاب .

ومزيّنا بصلبان ذهبية اللون . وكان يحتوى ، إلى جانب الرفات الكريمة ، على وثيقةٍ موقّع عليها من الكاردينا المسئول عن الآثار المقدسة المحفوظة بمتحف الفاتيكان ، بأن هذه هي بالفعل من رفات مارمرقس – إذ احتفظوا لأنفسهم بجزء منها .

وما إن وطئت أقدامهم أرض المطار حتى علت الهتافات ودوّى التصفيق ، حتى لقد ترددت أصداؤه على طول القاهرة وعرضها ! ولقد أبدى كاردينال دوفالال رئيس وفد البابا الرومانى دهشته العميقة أمام الجماهير المتهللة وقال للبابا الوقور . « لم أتصور أن يتعلّق القبط بكاروزهم وبخليفته إلى هذا الحد ! » .

ولقد حملوا الرفات الطاهرة إلى كتدارئية مارمرقس بالأزبكية ووضعوها فوق المذبح . وجدير بنا أن نعرف أن نوراً أكثر لمعاناً من بهاء الشمس قد أحاط بقبة الكتدرائية الجديدة بأرض الأنبا رويس وغطاها كلها بعد أن وصلوا بالرفات الكريمة . والعجب العجاب أن أول من رأى هذا النور البهير كان بواباً لإحدى العمارات المواجهة إذ كان ساهراً بمناسبة شهر رمضان فهرع نحو الفراش الذى كانت عليه نوبة الحراسة عند مدخل المعهد العالى للدراسات القبطية وأيقظه من غفوته ليرى النور ! فجرى بدوره إلى مكتب الأنبا غريغوريوس الذى كان منهمكاً فى كتابة الخطاب الذى سيلقيه فى اليوم التالى وأبلغه بالخبر ففتح الأسقف الجليل نافذته وتهلل برؤية هذا النور الذى شابه فى لمعانه نور التجلّى على جبل تابور[1] . وحين عرف الشعب فى صباح اليوم التالى بسطوع هذا النور قالوا بأن مارمرقس أعلن به عن فرحته بعودته إلى مصر الحبيبة .

وفى الصباح الباكر من يوم ١٧ بؤونة (٢٤ يونيو) حملوا الرفات الكريمة إلى الكتدرائية المرقسية المشيَّدة خصيصاً على أرض الأنبارويس لهذه الذكرى المنعشة . وهناك أقاموا القداس الإلهى لأول مرة على مذبحها . وكان قداساً اهتزت له القلوب ببهجة غامرة لأن البابا الوقور ، كعادته فى محبته المشاركة ، قد أتاح الفرصة لمطارنته وأساقفته وكهنته الموجودين معه لأن يشتركوا معه فى الصلوات القدسية . صحيح أنه الخليفة المرقسى . ولكن كل الآباء هم أولاده وأولاد الكاروز الكبير . وهو كان على يقين من هذه البنّوة ، ومن أن بنوّتهم للكاروز تعطيهم الحق فى أن يتهللوا بالصلاة وهم حول رفاته المقدسة . فكان أول قداس إلهى أقيم على مذبح الكتدرائية المرقسية الفخمة قداساً ذا روعة عظمى مزدوجة : إنه القداس الاحتفالى بعودة الرفات الكريمة . وهو — فى الوقت عينه — قداس التشارك الروحى بين البابا كيرلس وبين إخوته فى الخدمة وأبنائه الكهنة .

ومن نعمة رب الكنيسة أن هذا القداس الإلهى الذى وضحت فيه محبة الخليفة المرقسى لأولاده ، ووضح فيه تجاوب محبتهم لمحبته قد أذيع على محطات الإذاعة . فاستمتع بالإصغاء إليه ألوف ، ممن

(١) متى ١٧ : ١-٨ ، مرقس ٩ : ١-٨

لم يتمكنوا من الحضور إلى الكنيسة ، فتجاوبت أعماقهم مع أعماق المصلين وامتلأت بالنشوة الروحية التى لا يحسها إلا محبو الكنيسة وشعائرها .

ولما انتهت هذه الصلوات الرهيبة فى فعاليّتها حمل البابا الوقور بمعاونة مطارنته الصندوق المحتوى الرفات الكريمة على الأكتاف ونزلوا به إلى المزار الذى كانوا قد أعدوه له . ووضعوا هذا الصندوق داخل الصندوق الجرانيتى المخصص له . ثم أحاطوا به وصلوا الصلوات الجنائزية التى تقام للباباوات . وبعدها غطوا الصندوق الجرانيتى بغطائه والجرانيت المصنوع منه وردى اللون منقّط بنقط سوداء – إنه أغلى نوع فكان مما يستخدم قديماً لدفن الفراعنة .

وهكذا عاد مارمرقس كاروزنا الحبيب إلى مصره وإلى كنيسته . عاد إلى المقر الرئيسى لكرازته التى شملت بلاداً كثيرة . عاد بعد غياب دام ألف سنة ! وربط بين مصر الحالية ومصر الفرعونية . أليست عودته هى أيضاً صورة من صور القيامة ؟!

ومن دواعي اعتزازنا المقترن بفرحتنا أن الصندوق الجرانيت يتوسط حجرة ، هى الآن مزار مقدس ، وأن جدران هذا المزار مزينّة بأيقونات قبطية صميمة رسمها خصيصاً الفنان الموهوب إيزاك فانوس . وهى تصوّر ، من ناحية ، مجىء مارمرقس إلى الاسكندرية وإلى جانبها منظر لاستشهاد الكاروز العظيم فى المدينة التى نالت فخار حمل اسمه الكريم . ومن الناحية الأخرى يرى الزائر البابا كيرلس السادس وإلى جانبه البابا بولس السادس (بابا رومية) يحيط بهما رجالهما احتفاءً بعودة الرفات الكريمة إلى الوطن العزيز . ويقف ملاك من الرؤساء الأربعة بين أيقونة وأخرى . وهؤلاء الأربعة هم . ميخائيل رئيس جند السمائيين ، وغبريال الذى حمل عدة بشارات ثم البشارة العظمى ، ورافائيل مرافق المسافرين ، وسوريال مطيّب القلوب .

وقد استمرت الاحتفالات ثلاثة أيام متتالية كانت على جانب عظيم من الأبهة . حضرها الرئيس عبد الناصر ومعه أنور السادات ، والإمبراطور هيلاسلاسى وأنبا باسيليوس بطريرك جاثليق أثيوبيا ومارإغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية ، وكاردينال دوفال ومعه الوفد الرومانى . كذلك حضر مائة واثنان وسبعون من رؤساء الكنائس ومندوبيها . ومما لفت الأنظار حضور مندب عن بطريرك موسكو[1] . **وهؤلاء جميعاً قضوا الأيام الثلاثة فى ضيافة حكومتنا مشاركة منها فى فرحتنا وتعبيراً عن المودة التى تربط بين أولاد مصر كلهم .**

وكان الأبنا أنطونيوس قد أنابه البابا الوقور ليلقى الكلمة الافتتاحية فى الجمع الحاشد الذى تجمّع إعلاناً لفرحته . وأهم المتكلمين بعد المندوب البابوى كاردينال دوقال ومارإغناطيوس ـــ وقد أشاد

(١) ولقد أهدت الكنيسة الروسية ، بهذه المناسبة ، كنيستنا المحبوبة غطاء من الذهب الخالص يغطى الجوانب الأربعة للمذبح ، وقد تزيّن كل جانب منها بأيقونة محلاّة بالألوان ـــ والجانب الذى يقف عنده الكاهن يحمل صورة العشاء الربانى .

كلاهما بما أدته كنيسة الاسكندرية من خدمات شملت بها العالم فى القرون الخمس الأول للمسيحية (أى قبل الانقسام) .

وخليق بنا أن نذكر أن حكومتنا قد ساهمت فى بناء الكتدرائية بمائة وأربعين ألفاً من الجنيهات كذلك فرح الحاضرون برؤيتهم البابا كيرلس داخلاً أرض الأبنارويس وهو ممسك بيد الرئيس جمال عبد الناصر كما يمسك الأب الحانى بيد ابنه المحبوب .

ومن طريف ما حدث للمؤلفة عند عودتها عصر يوم الإفتتاح أن سائق التاكسى الذى ركبته أخبرها بأنه تابع برنامج الاحتفال فى الإذاعة . ثم قال : « لقد امتلأت فخراً وأنا أسمع الأنبا أنطونيوس يلقى كلمة قداسة البابا لأنه مطراننا إذ أننى سوهاجى . وصمت قليلاً ثم استكمل : صحيح أنى مسلم ـــ ولكن ألست من أولاده ؟ » ففرحت بهذا الشعور النبيل وأحته بالإيجاب .

ولما انتهت الحفلات فى يوم ٢٧ منه سافر أعضاء الوفود إلى الاسكندرية . ليشتركوا فى احتفالاتها بالكاروز الكبير الذى تزهو بحمل اسمه ويعتزّ خلفاؤه بأنهم باباوات الاسكندرية وقد مرّوا فى طريقهم على دير مارمينا وحضروا القداس الإلهى ثم جلسوا معاً على مائدة وليمة الأغابى . وحالما وصلوا الاسكندرية تباركوا برأس الرسول الشهيد المحفوظ بكتدرائيته . وبعد الصلوات ونوال البركة الرسولية تحدث إلى المجتمعين ثلاثة من الآباء الضيوف : الأب ليونيه رئيس معهد الكتاب المقدس فى رومية الذى قدّم بحثا بالفرنسية ، الأب جورج خِضر رئيس الشبيبة الأرثوذكسية بلبنان وسوريا ـــ وكان بحثه بالعربية ، ٣ ـــ الأب يول فرجيزى عميد كلية اللاهوت الأرثوذكسية بكيريلا (جنوب الهند) الذى تحدث بالإنجليزية .

وفى مساء اليوم عينه دعا محافظ الأسكندرية الوفود إلى تناول العشاء معه فى فندق سان ستفانو ثم زاروا المعالم الأثرية صباح ٢٨ منه وعادوا إلى القاهرة فى مسائه .

وهكذا استضافتهم مصر : كنيسةً وحكومةً ابتهاجاً بعودة مارمرقس إليها .

٣٧ ـــ التواصل الكنسى

من الواضح لجميع الذين يعرفون تاريخ كنيستنا المحبوبة أنها منذ البداية كنيسة ذات قلب وسيع وعقل متفتّح امتدت بهما إلى كل البلاد كانت فى متناولها آنذاك ـــ أى من الهند شرقاً إلى الجزر البريطانية غربا . وهى لم تمتد لتغزو بل امتدت لتكرز مستهدفة توصيل الناس إلى السيد المسيح وتركهم معه كما فعلت السامرية . لهذا آمنت هذه الشعوب بالمسيا ، وكأنى بهم يقولون لآبائنا الكارزين ما قاله السامريون لمواطنتهم : « إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو المسيح مخلص العالم .[١]

(١) يوحنا ٤ : ٤٢

ثم طغت الأحداث السياسية واستبدت الحروب بالكنيسة التى ازدهرت بالدم المسفوك : دم المئات بل الآلاف من أولادها . فحالت هذه الأحداث دون إمكانية وصول الكارزين القبط إلى بلاد غير تلك التى كرزوافيها . وكأن هذا التعويق لم يكن كافياً إذ أضاف الباطشون الدعاية الزائفة التى بلغت من العنفوان ما أقنع الأقباط أنفسهم بأن كنيستهم قد قصّرت فى طاعتها قول الرب الذى سجّله كاروزهم بنفسه : « إذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها »(١) .

على أن الله لا يدع كنيسته بلا شاهد هى أيضاً ، وهو إن أمهل لا يهمل . لذلك شاء فى شامل محبته ، وفى الوقت الذى عينّه فى تدبيره ، أن يبرز للعالم قوته التى كمنت فى كنيسته من البداية وعلى مرور الأزمان . ففى عصرنا الحاضر نراها عضواً فى مجلس الكنائس العالمى وفى كل لجنة من لجانه ، وفى مجلس كنائس الشرق الأوسط(٢) ، وفى مجلس كنائس كل أفريقيا . وهى اشتركت فى كل المؤتمرات لهذه المجالس وأقامت بعضاً منها فى مصرنا الحبيبة وآخر هذه المؤتمرات عقدته الكنائس الأفريقية صيف ١٩٨٦ بمدينة نصر .

وقد ارتضت هذه المشيئة الإلهية أن يصفو الجو فيسطع نور كنيسته فى روائه ، كما شاء أن ينتشر صيت « رجل الصلاة بعبيره المنعش فجاءه رؤساء الكنائس هم أنفسهم . ليتعرفوا به شخصياً وكأنهم ، بعد أن عرفوه يرددون قول أيوب : « بسمع الأذن سمعت عنك والآن رأتك عيناى(٣) . وهذا الذى قاله أيوب وجّهه لرب السماء والأرض . ولكن رب السماء والأرض ذاته بتجسّده العجيب قد منح وثيقى الصلة به أن يكونوا على ما أراده هو فى البدء حين خلق الإنسان على صورته ومثاله .

وها كم كشف بمن توافد عليه .

(أ) من الكنائس الأرثوذكسية :

+ قداسة البطريرك المسكونى أثينا غوراس بطريرك القسطنطينية والوفد المرافق له
+ قداسة ألكسيس بطريرك موسكو والوفد المرافق له
+ غبطة رئيس الأساقفة مكاريوس الرئيس الروحى والمدنى لقبرص : وثلاثتهم جاءوا سنة ١٩٦١ .
+ قداسة كيرلس بطريرك بلغاريا سنة ١٩٦٢
+ عبطة بيقالى رئيس أساقفة فنلندا فى سبتمبر سنة ١٩٦٦
+ غبطة جوستينيان بطريرك رومانيا فى يناير سنة ١٩٦٩

---

(١) مرقس ١٦ : ١٥

(٢) تعاون أعضاؤه مع أنبا صموئيل على إصدار مؤلفى فى تاريخ كنيستنا المحبوبة The Story of the Copts سنة ١٩٧٧

(٣) أيوب ٤٢ : ٥

كذلك زاره رؤساء الكنائس الذين حضروا معه مؤتمر الكنائس الشرقية الأرثوذكسية الذى انعقد بأديس أبابا سنة ١٩٦٥ فى طريق عودتهم إلى بلادهم .

(ب) من الكنائس البروتستانتية

+ القس د. فيسرتهوفت الأمين العام لمجلس الكنائس العالمى – من الكنيسة الهولندية وقد زاره يوم ٣ مايو سنة ١٩٥٩ بعد إعلان نتيجة القرعة الهيكلية وقبل رسامته .
+ القس د. فرانكلين فراى ، رئيس الكنيسة اللوثرية الأمريكية ورئيس اللجنة المركزية لمجلس الكنائس العالمى ، فى صيف سنة ١٩٥٩ .
+ القس د. شارف رئيس الكنيسة الألمانية المتحدة وأسقف برلين الغربية سنة ١٩٦١ .
+ القس د. إدوين أسبى من الكنيسة المعمدانية الأمريكية والأمين العام لمجلس الكنائس الأمريكية سنة ١٩٦١ .
+ القس د. يوجين كارسون بليك رئيس الكنيسة الإنجيلية المتحدة الأمريكية والأمين العام لمجلس الكنائس العالمى فى زيارته للقاهرة من ١–٤ مارس سنة ١٩٦٩ .

(جـ) من الكنائس الأسقفية

+ دونالد كوجان رئيس أساقفة يورك (بشمال انجلترا) ورئيس الاتحاد العالمى للكتاب المقدس زار قداسة الأنبا كيرلس فى ٢٣ أبريل سنة ١٩٦٦ .
+ ماك كينز رئيس أساقفة القدس والشرق الأوسط ، وقد اعتاد أن يزور البابا الجليل كلما حضر إلى القاهرة .
+ آلان أسقف فولهام (بانجلترا) زار البابا الوقور حينما حضر الاحتفالات بعودة رفات مارمرقس مندوباً عن رئيس أساقفة كانتربورى سنة ١٩٦٨ .

(د) من الكنيسة الكاثوليكية

+ كاردينال كووينج رئيس أساقفة فيينا والمختص بشئون الإيمان والإلحاد بالفاتيكان
+ كاردينال دى فيستنبورج رئيس مجلس الكنائس الشرقية بالفاتيكان
+ الكاردينال المستشرق تيسيران الذى كانت له المكانة الثانية بعد البابا الرومانى .
+ الكاردينال دوفال ، كاردينال الجزائر ورئيس الوفد الذى انتدبه البابا بولس السادس لحضور أعياد مارمرقس
+ الأسقف فيليبرانت أمين عام سكرتارية الوحدة المسيحية بالفاتيكان زار قداسة البابا المرة الأولى سنة ١٩٦٤ فى دير مارمينا بمريوط ، والمرة الثانية بالمقر البابوى بالقاهرة ، والمرة الثالثة فى أعياد مارمرقس .

+ الأسقف أوليقتتى مساعد بطريرك البندقية (بايطاليا) سنة ١٩٦٨ .

٣٨ ــ النظرة المسكونية

ومنذ أن انفتح المجال أمام كنيستنا المحبوبة للاشتراك فى المجالس الكنسية المسكونية . بحضورها مؤتمر ايفانستون (بولاية ايلينوى) سنة ١٩٥٤(١) ، وهى تقبل الدعوة بإيفاد مندوبيها إلى كل هذه المؤتمرات . ففى سنة ١٩٦١ وصلت دعوة للمؤتمر الأول للكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية الذى انعقد فى جزيرة رودس . فقبل البابا الوقور هذه الدعوة وأوفد القمص مكاريوس السريانى (أنبا أثناسيوس) والقس يوحنا جرجس راعى كنيسة مارمرقس بشبرا والمستشار تادرس ميخائيل تادرس . وبعد ذلك بسنتين احتفلت الكنيسة اليونانية بالعيد الألفى لأديرة جبل آتوس . فانتدب قداسة البابا أنبا شنودة أسقف التربية الكنسية والقمص قزمان البرموسى والقمص باخوم المحرقى (أنبا غريغوريس) لحضور هذه الاحتفالات .

ونظراً لصلات المودة التى نشأت بين الكنيستين القبطية والكاثوليكية نتيجة لنجاح المفاوضات التى أدت إلى عودة رفات مارمرقس ، فقد أولى الباكيرلس اهتمامه بمجمع الفاتيكان الثانى ، ورأى أن تكون كنيستنا المحبوبة حاضرة طوال دوراته الأربع . ففى الدورة الأولى انتدب القس يوحنا جرجس والمستشار تادرس ميخائيل تادرس ، وفى الثانية القمص باخوم المحرقى والمستشار فريد فرعونى ، وفى الثالثة أنبا صموئيل والقس مرقس إلياس ، وفى الرابعة أنبا أنطونيوس والقس يوحنا جرجس والمستشار فريد فرعونى .

وفى هذه الدورات قدّم مندوبو الكنيسة القبطية بالتعاون مع الكنائس الأرثوذكسية الشرقية اللاخلقيدونية مذكرات على جانب كبير من القوة والوضوح لتصحيح وجهات النظر اللاهوتية فى مشروع القرار الذى أسمته الصحافة العالمية « وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح » . وقد ظل الجدل حول هذه الوثيقة على عنفه فى الرأى العام العالمى لفترة طويلة . على أن الحق انتصر فى النهاية واستجاب للفاتيكان للوجهة الشرقية بأن حوّل المشروع إلى « علاقة المسيحية بمختلف الأديان » . وبهذا التحوّل أعاق استغلال اليهود للحركة الصهيونية .

---

(١) جدير بالذكر أن نعرف أن قداسة الانبايوساب الثانى أرسل وفداً لينوب عنه وعن الكنيسة القبطية إلى مؤتمر سنة ١٩٥٤ ، وفيه قرر المجتمعون تأليف « مجلس الكنائس العالمى » رسمياً . فقبل ذلك كانت الاجتماعات الكنسية الدولية مجرد لقاءات غير رسمية . وكان من يجتمعون فيها يحضرونها بصفتهم الشخصية ــ جـ٦ ص٧٧ــ٧٩ ، قصة الأنبا صموئيل ص٢٢ــ٢٤ ، والكتابان للمؤلفة .

٣٩ ـ موقف الكنيسة من الوضع الوطنى

إن النزعة القومية متأصلة فى أعماق النفس المصرية منذ أقدم العصور : توارثها القبط عن أجدادهم الفراعنة[١] ، وظلّت متأججة فى قلوبهم على مدى تاريخهم ، واشتعال هذه القومية دفع بخصوم باباواتنا الأماجد ، حين كانوا يبهتون أمام قوة حججهم فى الدفاع عن العقيدة الأرثوذكسية إلى أن يتهموهم بأنهم إنما يدافعون عن قوميتهم خلف ستار الدين ! ولم تكن قوميتهم مجرد عاطفة ملتهبة بل كانت عملاً ايجابياً . ولولا ذلك لما وقعوا تحت مقاصل الأباطرة .

كذلك اقترنت قوميتهم بالتضامن مع جيرانهم الذين يؤلفون واياهم منطقة واحدة هى منطقة الشرق الأوسط . وفى العصور الأولى أوفد آباؤنا معلمى الكنيسة للكرازة فى هذه المنطقة أو لنقض ما كان يظهر فيها من البدع بل لقد أقاموا المدارس فى عدة نواحى منها[٢] .

وفى القرن الثانى عشر ، وأثناء معارك السلطان صلاح الدين الأيوبى ضد الصليبيين خاضها القبط تحت لواء سلطانهم المحبوب . وتقديراً لخدماتهم أعطاهم الدار التى أصبحت معروفة باسم « دير السلطان »[٣] .

وفى العصر الحديث حينما إبتليت أثيوبيا بالاحتلال الإيطالى ، صمد المطران الأنبا كيرلس فى وجههم كما أذاع أبنايؤنس التاسع عشر نداءً إلى الأقباط ليسارعوا إلى نجدة إخوتهم[٤] . ثم حين **اعتدت اسرائيل على فلسطين حارب القبط جنباً إلى جنب مع إخوتهم المسلمين ضد هذا البطش الصهيونى . ولما انتهت الحرب بأوجاعها ذاق الفلسطينيون المصرّون على ولائهم لوطنهم الضنك والضيق . فسارع القبط إلى نجدتهم عن طريق رابطة القدس[٥]** .

وعلى مدى التاريخ الكنسى وضح اهتمام القبط ، آباءً وشعباً ، بالمنطقة التى يعيشون فيها واستمراراً لهذا الاهتمام ركّزت الكنيسة على دورها فى أزمة الشرق الأوسط . **فمنذ بداية الاعتداءات الصهيونية المتكررة أصدر البابا كيرلس نداءاته بلا هوادة ضد الدعاية المضلِّلة وعقب الانتهاء من معارك يونية سنة ١٩٦٧ ، أوفد قداسته أنبا صموئيل فى شهر يوليو كمندوب خاص عنه إلى الدول الغربية ليشرح الموقف على حقيقته** ، وليهيب بالكنائس الغربية أن تؤدى واجبها المسيحى الحق فى

---

(١) انظر كتاب « لماذا نسينا » للمؤلفة

(٢) جـ ١ ص ٦٣ و٦٨ و٩٢ و٩٩

(٣) جـ ٢ ص ١٨-١٨٣ و١٩٠-١٩١ ، جـ ٦ ص ١٤٩-١٥٠ و١٦٥ و١٦٦ .

(٤) جـ ٦أ ص ٥١-٥٩ و٦٢-٦٣ ، جـ ٦ ص ١٧١-١٧٣

(٥) جـ ٦ ص ٢٣٣ .

إقرار العدالة والسلام . فزار المندوب البابوى مقرّ مجلس الكنائس العالمى فى جينفا ، ومنه تنقّل بين العواصم الأوربية ثم الولايات المتحدة . **وبنعمة الله نجح فى تصحيح المفاهيم العامة التى شوّهتها الدعاية الصهيونية . ونتج عن هذا النجاح أن سارعت الكنائس إلى تقديم معاوناتها لعائلات منكوبى الحرب وللاجئين والنازحين . ورأى رجل الصلاة تدعيم هذه الجهود العملية . بمساندتها المساندة الروحية الخفية . فأقام القداس الإلهى بالكتدرائية المرقسية بالأزبكية فى صباح ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٦٦ (١٦ هاتور سنة ١٦٨٢ ش) عن أرواح شهداء الخليل بالأردن . وفى الوقت عينه طلب قداسته من أبنائه أن يفتحوا الجمعيات والقاعات لإيواء اللاجئين والنازحين** . وزاد على هذا كله بأن انتدب وفداً أرسله إلى أنبا صموئيل ليقابل البابا الرومانى . وقد صحبهم إلى هذه المقابلة وفد من الكنائس الكاثوليكية بمصر لشرح وجهة نظرهم عن وضع مدينة القدس .

٤٠ ــ كنيسة أتريب وغيرها من الكنائس

كان باتريب كنيسة باذخة باسم السيدة العذراء خرّبها المماليك . ثم عفا الزمن عليها فتغطّت الكنيسة كلها وأصبحت تحت الأرض . على أن الحنين إلى هذه الكنيسة ظل كامناً فى القلوب لأهميتها ولما تغنى به الآباء عنها .

ويبدو أن السيدة العذراء فى حنانها على مصر بتجلّيها العجيب فى كنيستها بالزيتون قد حرّكت قلب د. فؤاد زكى تادرس الصيدلى الذى كان أتريباً أيضاً بعد أن قرأ تاريخ كنيسة أتريب . فاحتدمت روحه فى داخله ورجا من الأنبا كيرلس منحه الإذن بالبحث عن هذه الكنيسة فرحّب قداسته على الفور وشكّل لجنة تحت الرياسة الروحية للأنبا مكسيموس لدراسة الموضوع والبدء فى التنقيب بعد التفاهم مع مصلحة الآثار . وقد عقدت هذه اللجنة أول جلسة لها يوم ٤ أبيب سنة ١٦٨٤ ش (٦٨/٧/١١م) بعد أن كان الأنبا كيرلس قد أرسل خطاباً إلى مصلحة الآثار قبل ذلك بخمسة أيام . ولكن المصلحة لم ترد إلا فى ٢٨ أغسطس ولو أنها وافقت على التنقيب . واستجابةً لهذه الموافقة اتصل بعض الأعضاء بالبعثة البولندية التى كانت قد بدأت بالتنقيب بناءً على اقتراح باهور لبيب رئيس اللجنة . فذهب الأستاذ ميخالوفسكى رئيس البعثة بصحبة ثلاثة من الأعضاء إلى المقر البابوى يوم ٨ بابة سنة ١٦٨٥ ش (٦٨/١٠/١٨) وقابلوا البابا الجليل وأعضاء اللجنة البابوية . وتم الاتفاق على أن يتعاون الفريقان فى التنقيب معاً . وأرسلوا خطاباً بذلك إلى مصلحة الآثار .

وبدأ التنفيذ بالفعل يوم ١٢ طوبة سنة ١٦٨٥ ش (٢٠ / ١ / ٦٩ م) برياسة د . بربارة من الجانب البولندى بحضور الأستاذ جرجى قلدس الأمين المساعد بالمتحف القبطى. وأرسلوا خطاباً بذلك إلى مصلحة الآثار .

وبعد العمل لفترة ، ومع العثور على بعض الأوانى الخزفية ، بل والكشف عن عدد من أكتاف

الأعمدة ، توقف العمل . وأحيط المكان بسور عالٍ كى لا يتعرض له أحد .

وتقع أتريب قرب مشارف بنها .

ولقد شيد ، تحت رعاية الأنباكيرلس عدد وفير من الكنائس فى الأحياء المحرومة وفى تلك التى استحدثت . وأهم ما أقيم من هذه المبانى الكتدرائية المرقسية العظمى التى جرى فيها العمل بهمة ونشاط استعداداً لاستقبال رفات مارمرقس كاروزنا العظيم . كذلك أقيم مبنى الكلية الإكليريكية الذى يقع بحرى الكتدرائية صحيح أن هذه الكلية ليست داراً للعبادة ، ولكنها الدار التى يتهيأ فيها أبناء الكنيسة ليكونوا آباءها والمعلمين الروحيين فيها **وهذه الكلية هى أيضاً درس كبير يعلمنا ترابط الأجيال . فالبابا كيرلس الخامس أنشأ الإكليريكية التى كان مبناها فى حى الشرابية سنة ١٦٠٩ ش (سنة ١٨٩٣م) . وجاء البابا كيرلس السادس فافتتح لها مبنى جديداً على أرض الأنبارويس سنة ١٦٧٧ ش (سنة ١٩٦٦م) ، لتتجمّع فوق هذه الأرض كل المنشآت الحيوية ولتكون مركز إشعاع كنسى روحى قبطى يمتد صيته إلى أقصى المسكونة**[1] .

ولا يفوتنا أن نذكر أن البابا كيرلس السادس قد دعا جمال عبد الناصر ليرسى معه حجر الأساس للكتدرائية المرقسية المنيفة يوم ١٧ أبيب سنة ١٦٨١ ش (٦٥/٧/٢٤م) .

٤١ ــ الهيئة الباباوية لاحتياجات الكنائس

وحدث أن تقدمت بعض الكنائس بالشكوى إلى راعيها الأول من عدم توفّر البخور اللازم . وعلى الفور كّون هيئة باباوية تختص بتوفير كل ما تحتاج إليه الكنائس من البخور والزيت باستيرادها من مصادرها مباشرة ثم بتوزيعها على الكنائس قدر احتياجها . ومن نعمة الله توفّق أعضاء الهيئة فى سعيهم .

ولما نجحوا فى هذا المجال رأوا أن يمتدوا بخدمتهم فوّجهوا اهتمامهم إلى إنتاج الأقمشة الضرورية للملابس الكهنوتية . وبهذا الهدف اتّجهوا إلى مصنع يثقون فى عمّاله وطلبوا إليهم أن ينتجوا نوعاً ممتازاً من هذه الملابس تبعاً لنموذج سلّموه إليهم . وظهرت باكورة هذا الإنتاج فى مارس سنة ١٩٦٩ . وارتداه شمامسة الكتدرائية المرقسية ليلة عيد القيامة ٦ بشنس سنة ١٦٨٥ش (٣ أبريل سنة ١٩٦٩ م) .

---

(١) انظر ما جاء عن أرض الأنبارويس فى « قصة حبيب المصرى » للمؤلفة ص ٢٤٠ــ٢٤٧

٤٢ ـــ الصيت الحسن[١]

ولقد وضح تماماً ما يمتّع به قداسة البابا من الصيت الحسن ـــ بل إنه ما زال يتمتع بهذا الصيت . ومن الأصداء البديعة لهذا الصيت ما رواه القمص سوريال ، وهو : « عندما كنت فى روما سنة ١٩٦٩ لحضور مؤتمر للقانون الكنسى **سعدت بزيارة البابابولس السادس وقلت له : إننى أحمل إليك تحيات البابا كيرلس السادس . فردّ علىّ بقوله : إن كرسى كنيستكم يتبوأه الآن رجل قديس ورجل صلاة . قل له أن يصلى من أجلى** » . ولما عاد أبونا صليب إلى مصر وذكر هذه الكلمات علّق عليها قائلاً : « إن مثل هذا الكلام لا يقوله كاثوليكى إطلاقاً ، فكم بالأحرى لا يقوله الراعى الأول للكاثوليك ! ولكن الرجل استشعر إشعاعات البابا كيرلس المعلنة قداسته إلى حدٍ دفعه إلى الإقرار بها » .

ومن اللائق أن نذكر أن رجل الصلاة ، فى دوكصولوجية الأب البطريريك الواردة فى كتاب الأبصلمودية ، صحح الربع القائل « نلت نعمة موسى وكهنوت هرون ، وأخذت كرامة أبينا بطرس بكر الرسل » بالجملة التالية : « نلت نعمة موسى وكهنوت ملكى صادق ، وأخذت كرامة أبينا مرقس الذى بشّرنا بالإيمان » .

وحينما كان يؤدى شعائر القداس الإلهى أثناء صوم الرسل كان يقول فى صلاة القسمة : « أمّا بطرس وبولس ومرقس الرسل فكان ظل أحدهم يشفى الأمراض ... »

وبمناسبة الحديث عن الصلوات الكنسية - كم يكون جميلاً أن يتفضّل الآباء بأن يسمعوننا القداس المرقسى - الكيرلسى من حين إلى حين تكريماً لكاروزنا الكبير صاحب الفضل فى ما نتمتع به من معرفة رب المجد وما نبتهج به لكوننا أولاد الله متهللين بنعمة حلول روحه القدوس فينا .

٤٣ ـــ من عجائب القيامة

إن الأعداد الوفيرة منا فى هذا العصر تفرح بزيارة الأديرة ، وعلى الأخص تلك القائمة فى وادى النطرون ، لسهولة الوصول إليها . فكم هو جدير بنا كلما نلنا بركة هذه الزيارة أن نشكر الآب السماوى لتهيئته لنا فرصة كان أجدادنا محرومين منها لأسباب عديدة وكم هو جدير بنا أن نشكره لأن هذه المعاقل الروحية باقية إلى الآن على الرغم من أنها تخرّبت خمس مرات - وخمس مرات أعيد بناؤها !

ولم يقتصر التخريب على الأبنية إذ قد مرّ عليها وقت كادت أن تقفر من الرهبان ! فمثلاً كان النسّاك بدير البرموس يُعَدون على الأصابع ثم ازدهرت الحياة ابتداءً من دخول يوحنا الناسخ (البابا

(١) فيلبى ٤: ٨

كيرلس الخامس) ليعيش فيه .

وهذا الذى جرى لدير البرموس جرى ما يشبهه لدير الأبنا مكارى الكبير . ففى سنة ١٩٦٩ لم يبق به غير خمسة رهبان أصغرهم سناً فى السبعين من عمره ! فجلسوا ذات مساء يعاتبون أباهم الروحى قائلين له : « ها أنت ترى أنه لو بقى الأمر على هذا الحال فلن تمضى غير سنوات قليلة يقفر الدير بعدها وتتوقف الحياة فيه . فهل ترضى بأن يحدث هذا للمكان الذى عشت فيه وكنت أباً لكل ساكنى برية شيهيت ؟! » .

ولم يمضِ على هذا العتاب غير أسبوع واحد وإذا بجرس الديرينّ . وكم كانت فرحة الرهبان الشيوخ عظيمة حينما فتحوا الباب وفوجئوا بأبينا متى المسكين ومعه ثمانية رهبان من الشباب يقولون لهم : « لقد جئنا لنعيش تحت رعايتكم ونتسلّم منكم التقاليد الرهبانية . » **وليس من شك فى أن الزوّار الذين يستهدفون بركة الأنبا مكارى الكبير يتيقنون من أن أعجوبة القيامة قد تحققت فى هذا الدير كما تحققت فى دير مارمينا . ولقد شاع آنذاك بين الشعب بأن أبا برية شيهيت قد تحدث فى موضوع ديره إلى البابا كيرلس السادس وأن هذا الحديث هو السبب فى ذهاب هؤلاء الشباب ليحملوا مشعل النسك مضيئاً فيظل الدير عامراً بنعمة الله .**

وفى نوفمبر سنة ١٩٦٩ رأى البابا الوقور أن يمدّ رعايته للذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الواقعة على الشاطىء الغربى فانتدب القمص بيشوى كامل ليذهب إلى لوس انجيلوس لهذا الغرض . ووصلها هذا الكاهن الأمين فى ٢٩ بابة (٨ / ١١) عشية عيد مارمرقس . فكان أول قداس إلهى رفعه فى تلك المدينة فى اليوم الذى تذكر كنيستنا المحبوبة كاروزنا النبيل . ولقد نفخ هذا الكارز المكّرم من روحه الوثّابة على الشعب القبطى هناك فلم يلبث أن صارت له كنيسة باسمه . وليس من شك فى أن مارمرقس مداوم الصلاة فى الفردوس من أجل الكنيسة التى أسسها منذ أن نال اكليل الشهادة . وليس من شك أيضاً فى أن صلواته إحدى القوى المساندة لها والتى جعلت رب المجد يحافظ عليها إلى الآن ـــ وسيحافظ عليها إلى الانقضاء .

والواقع أن أبانا بيشوى كان صياداً ماهراً للنفوس بلغت محبته لربه أنه حين ذهب من لوس أنجيلوس إلى جرزى سيتى لتفقد القبط هناك نجح فى اصطياد ممرضة يهودية ملحدة لفاديه الحبيب . كذلك وزع صورة البابا كيرلس على كل بيت دخله .

وما إن انقضت ثلاثة أسابيع على وصول أبينا بيشوى إلى لوس أنجيلوس ، وفى يوم ٣ ديسمبر على وجه التحديد ، حتى اجتمعت لجنة تحضيرية فى القاهرة عن كنائس أفريقيا للتمهيد إلى عقد مؤتمر الكنائس الأفريقية بالقاهرة أيضاً ـــ وقد انعقد بالفعل فى السنة التالية . ولا داعى لأن يدهش القارىء من أن التلاق الأفريقى هو أيضاً من عجب القيامة فهناك بيوت فى جنوب أفريقيا على

واجهة أبوابها كتابة محفورة باللغة القبطية[1] . وأهلها هم الذين طلبوا الانضمام إلى الكنيسة القبطية قائلين : « إنه ليس من العيب أن نعود إلى أمنا الأصيلة » ولقد باعدت الأحداث السياسية والسيطرة الأجنبية ما بين هؤلاء الأبناء وبين أمهم . فلما تنسّموا عبير الحرية انفتح أمامهم السبيل إلى العودة .

وتتلاقى القيامة مع إيجاد الحياة أو هى بالحرى العودة إلى الحياة . وترابطاً مع هذه العقيدة تتردد فى أسماعنا جملة وردت فى القداس الإلهى عن الكنيسة هى : « هذه الكائنة من أقاصى المسكونة إلى أقاصيها » . فكأنما استشعر الآباء مقدماً الامتداد الكنسى القبطى امتداداً مسكونياً وحقق لهم رب الكنيسة هذا التوقع الروحى فإذا لكنيستنا المحبوبة كنائس « من مشارق الشمس إلى مغاربها ومن الشمال إلى الجنوب » . ومن نعمة الله أن حقق . هذا الامتداد فى عهد رجل الصلاة . ومن نعمته أيضاً إنه شاء أن يثبت كفاية نعمته فى ذاك الذى عاش فى البرية مرتكناً عليه وحده . فحينما تسلّم الناسك المتوحد عصا الرعاية كان شعبه داخل مصر وبعض البلاد المجاورة لها . ولم تنقضِ سنتان حتى وسّع الله حدود مسؤوليته فجعله مؤتمناً على شعب متناثر بين أربع قارات . ومن عمق وعيه بهذه المسئولية المتصاعدة وجّه الأنبا كيرلس السادس بمناسبة الصوم الكبير رسالة إلى المغتربين فى هذه القارات ، استنهض فيها أرواحهم للاهتمام بالروحيات اللازمة لبنيانهم المؤهلة لهم لأن يعيشوا كما يحق بانجيل السيد المسيح ، فيكونوا شهادة حية لفاديهم الحبيب وصورة ناصعة لكنيستهم المجيدة .

ولقد أفرح رب الكنيسة قلب هذا الراعى الأمين بأن مكّن أولاده فى جرزى سيتى (بولاية نيوجرزى) من شراء كنيسة أطلق عليها اسم « كنيسة مارمرقس القبطية الأرثوذكسية » .

٤٤ ــ هوذا ما أحسن وما أحلى أن يسكن الإخوة معا

من أحلى الثمار التى جنتها كنيستنا المصرية المحبوبة باشتراكها فى مجالس الكنائس المختلفة الالتقاء بالكنائس الأرثوذكسية الشرقية اللاخلقيدونية التى كانت أواصر المحبة تربط بينهما فى العصور الأولى . فلما استعادت تواصلها عقدت المؤتمرات معا كما كانت تفعل قديما . وأحد هذه المؤتمرات انعقد فى القاهرة فى الأسبوع المنتهى فى ٢٣ مسرى سنة ١٦٨٦ش (١٩٧٠/٨/٣٠م) . وكان فى واقعة حلقة عمل لدراسة كيفية وضع المناهج المناسبة لها كلها للتربية الكنسية . فاجتمعوا فى القاعة المرقسية (بأرض الأنبا رويس) مع الأنبا أثناسيوس والأنبا شنودة والأنبا صموئيل حيث تدارسوا مع أعضاء الوفود هذا الموضوع الحيوى الهام . واشترك معهم القمص أنطونيوس راعى كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة والقمص ابراهيم عزيز راعى كنيسة الأنبا رويس والقمص مكارى عبد الله

---

(١) جـ ٦ ص٣٤-٣٥ .

راعى كنيسة الملاك ميخائيل بطوسون (بشبرا) . وبدأ الجميع بأن قصدوا إلى الدار البابوية ونالوا بركة الأنبا كيرلس ثم ذهبوا إلى مقرّ اجتماعهم .

كذلك دعا الأنبا شنودة خدام مدارس التربية الكنسية وخادماتها الموجودين بالقاهرة إلى حضور هذه الحلقة مساء الجمعة ٢١ مسرى (٢٨/٨) ووضّح لهم أهمية العناية بمناهج التعليم الكنسى .

٤٥ ــ اللقاء بالمغتربين

وامتدّ اللقاء بالإخوة ليشمل المغتربين . ففى صيف سنة ١٩٧١ جاء عدد كبير منهم لزيارة الوطن العزيز والالتقاء بالأهل والأحبة . وكان مجيئوهم رجع الصدى للمحبة التى أولاهم اياها البابا الوقور . فكان فرصة سانحة لأن يدعوهم أنبا صموئيل إلى الاجتماع بالقاعة المرقسية فى شبه مؤتمر استمر لعدة أيام . وبعد النقاش فى مشكلاتهم وطلباتهم أكد لهم نيافته الرغبة الباباوية ــ ورغبة الآباء معه ــ فى وجوب استمرار صلتهم بكنيستهم الأم وبمصرهم المحبوبة .

وليس من شك فى أن « حبة خردل » أثبتت حيويتّها فبرزت للوجود فى عدد الكنائس القبطية الموجودة الآن فى مختلف البلاد التى كانت إلى عهد قريب لا تعرف عنها شيئا بل لم تسمع عنها إلا فى أوساط الدارسين الباحثين . وكنائسنا فى العالم الغربى الآن لم تعد قاصرة على المغتربين من أبناء الوطن العزيز إذ قد انضوى تحت لوائها عدد غير قليل من أهالى تلك البلاد .

٤٦ ــ ما أبعد أحكامك عن الفحص (رومية ١١:٣٣)

وكثيرا من الأحداث ما يبهت أمامها الإنسان . ومن هذه الأحداث التى بهت أمامها الشعب القبطى بل وأحس بالأسى أيضا أن رجل الصلاة الذى بدا أمامهم عملاقاً حتى من الناحية الجسمية قد أصيب بانسداد فى الشريان التاجى اضطره إلى ملازمة مخدعه طوال خمس سنوات ! وكم من مرة رفع الشعب عينيه نحو السماء متسائلا : « لماذا يارب ؟ » فمع أن رب المجد قد أعلن صراحة بأنه « يمطر على الأشرار والصالحين » إلا أن الناس مازالوا للآن يبهتون حين يهطل المطر على الصالحين . فمن المزامير إلى النبوات ، وعلى طول الأيام ، وقف الناس فى حيرة كلما رأوا بارًا يضام . وأمام هذه الحيرة يرنّ قول المزمور « طوبى للرجل الذى اخترته يارب . رتّب مصاعد فى قلبه فى وادى البكاء »[١] ثم ألم يقل الآب الرحيم لرسول الأمم حين تضرع ثلاث مرات لينال الشفاء من شوكة الجسد : « تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » ؟[٢]

---

(١) مزمور ٨٣ (فى الأجبية)　　(٢) ٢ كورنثوس ١٢ : ٧-٩

...... وكان رجل الله ذات مرة فى مريوط ، فى فترة من فترات هدوء الألم . وذهب لزيارته القمص داود مرقس حبيبه منذ أن عاش فى الطاحونة . وحينما أزمع الكاهن المكّرم على مغادرة الدير ، سأل باباه المحبوب : « عاوز منى حاجة علشان أنا مسافر ؟ » أجابه بوقاره المعهود : « لا أنا كان مسافر بعدك بشويّة » . لقد عبّر كلاهما وقتئذٍ عن قرب رحيلهما عن هذا العالم ؛ عبّرا عنه بهدوء وطمأنينة لأن روح كلٍ منهما كانت تردد قول بولس الرسول : « لى اشتهاء أن أنطلق ... »[1] .

وهذه الشهوة للانطلاق نحو السيد المسيح تحققت يوم ٩ مارس سنة ١٩٧١ ــ أى أن باباويته لم تدم غير إحدى عشرة سنة وعشرة شهور . وفى هذه المدة القصيرة بحساب الأيام كانت طويلة بإنجازاتها الوفيرة ؛ وبالأكثر بالمحبة الغامرة التى تدفقت من قلب رجل الله إلى شعبه فملأت قلوبهم محبة لله وللكنيسة ولقداسته ولبعضهم بعضا . فحقّ عليه القول المأثور : إن ساعة عابرة من الحياة المجيدة لأبعد قيمةً من دهر خمول .

٤٧ ــ وماذا بعد الانطلاق

أ ــ كاهن لملبورن بأستراليا

إن رب الحياة قال بصراحته الإلهية المذهلة : « من آمن بى ولو مات فسيحيا . وكل من كان حيّا وآمن بى فلن يموت إلى الأبد »[2] بينما تترنم كنيستنا المحبوبة فى صلاة التنجيز : « لأنه ليس موت لعبيدك بل هو انتقال » ، **وتزيد على ذلك بقولها فى السنكسار : « تعيّد الكنيسة اليوم بنياحة (فلان) ... » مشيرة بذلك إلى أن موت الصدّيق هو يوم عيد وليس يوم حزن ! ولئن بكى الأحبة فما بكاؤهم إلا للفراغ المخيف الذى احتواهم برحيل حبيبهم ولحرمانهم من وجوده بينهم .**

ولقد استشعر الشعب المكلوم هذا الواقع منذ البداية . ومازال يستشعره إلى الآن .

* * *

فى يوم ٢٧ بشنس سنة ١٦٨٧ش (١٩٧١/٧/٤) احتفلت مدنية ملبورن (باستراليا) براعيها القس فكتور رافائيل . وكانت رسامته قد تمت فى القاهرة . ولكن الأنبا كيرلس لم يلبث أن انتقل من هذا العالم قبل أن يصل الكاهن الذى رسمه إلى مقّر خدمته . ولهذا السبب أبرق القس فكتور إلى شعبه يطلب إلغاء كل الاحتفالات الخاصة باستقباله . ونزولاً على رغبته اكتفى قبط ملبورن باجتماع فى إحدى القاعات الكبرى بالمدينة حضره كل رؤساء الطوائف الدينية كما حضره قنصل مصر الأستاذ سليمان .

---

(١) فيلبى ١ : ٢٣ (٢) يوحنا ١١ : ٢٥-٢٦

واستصحب القمص مينا نعمة الله ، المندوب الباباوى والخادم لكنيسة مارمرقس فى مدينة سيدنى منذ ٢٢ يناير سنة ١٩٦٩ ، الكاهن الجديد من سيدنى إلى ملبورن . وعند دخولهما القاعة تلقاهما الشمامسة بالألحان الكنسية العذبة . كذلك افتتح القمص مينا الحديث فى ذلك المساء ، فرحّب بزميله فى الكهنوت وذكر بأنه نال هذه الكرامة من يد البابا الوقور قبيل رحيله .

ثم قدّم سجلاً مشرفا لخدمات الأنبا كيرلس فى مختلف البقاع ورسامته الكهنة لها ليظلوا على صلتهم بكنيستهم العريقة وبمصرهم التى امتد تاريخها إلى عصور تاهت فى القِدَم . وبعد أن تعاقب عدد من رؤساء الكنائس فى الحديث وقف القس فيكتور وشكرهم لحسن تقديرهم ورجا منهم أن يصلوا من أجله ليمنحه رب الكنيسة النعمة اللازمة لحمل « عبء كهنوته »[1] .

ب ـــ ذكرى تكريس كنيسة مارمينا

ولقد دفعت المحبة بالقمص مينا آبامينا ورهبان دير مارمينا العجايبى إلى أن يبعثوا بتحية الوفاء والتقدير للبابا كيرلس بأن أقاموا القداس الإلهى يوم ٢٥ بشنس سنة ١٦٨٧ش (١٩٧١/٧/٢م) احتفاءً بذكرى تكريس كنيسة الشهيد الشاب الباسل التى شيّدها قداسته . ووضحت يومذاك محبة الناس لراعيهم الأول الذى رحل عنهم بما يقرب من أربعة شهور . فتسارعت الجماهير من مختلف جهات مصر ومن القطر الشقيق (السودان) . **وهؤلاء الجماهير الذين ضاقت بهم الكنيسة لم يحملوا الوفاء والتقدير للبابا العظيم فقط إنما حملوا أيضا تحية الإجلال لذلك العملاق الروحى الذى أعاد الحياة ، روحيا وماديا ، إلى تلك البقعة التى سادها الصمت وطغت عليها الرمال مدى قرون . وبعد هذا الصمت الطويل ارتفعت منارة الكنيسة عاليا يشاهدها الناس عن بعد فتتهلل قلوبهم . وهذا الذى حققه رجل الصلاة صورة مبدعة لإعلان سلطان الله على الموت . فكما أقام لعازر بعد أربعة أيام من موته هكذا أعاد الحياة لدير مارمينا بعد خرابه بعشرة قرون . أفلايمكن استشفاف صلة خفية بين الاسم الذى أطلقه والد البابا عليه ـــ عازر ـــ وبين ما حققه من تجديد لهذه البقعة المقدسة ؟!**

ولقد عبّر المجتمعون عن محبتهم أولاً بحضور الصلوات القدسية ثم بالمرور فى صمت وخشوع أمام الكرسى الباباوى الموضوع عليه صورة باباهم المحبوب .

وبعد مرور سنة على انتقال الأنبا كيرلس السادس ، وتنفيذاً لوصيّته ، نُقل جثمانه الطاهر ليُدفن تحت مذبح الكاتدرائية الضخمة التى كان قد بدأ تشييدها ولكنه لم يعش ليراها كاملة . وحين وصل موكب الجثمان الطاهر إلى محطة بهيج أخذ المطر يهطل بغزارة بعد أن كان قد انقطع لفترة طويلة . فقال ساكنو المدن والقرى إن السماء تعبّر عن مشاركتها حزن الكنيسة على فقدها الراعى

---

(١) عدد ١٨ : ١

الأمين . أما العرب المقيمون بالمنطقة فقالوا إنه أتانا بالخير والبركات شأنه فى ذلك شأنه حينما كان فى وسطنا على الأرض . لأنه فى كل مرة حضر إلى منطقتنا كان حضوره بشيراً بالرخاء .

جـ ـــ رائحة بخور

حينما تقرر نقل جثمانه الطاهر إلى كتدرائية مارمينا بمريوط ، رأى المسئولون وجوب وضع لوحة من الرخام محفوراً عليها اسمه . فأوصوا مصنع « فيلوبولس » للرخام بعملها . وعهد صاحب المصنع إلى العامل محمد السيد خليل إبراهيم (وشهرته محمد النونو) بتنفيذ هذا الطلب . وبدأ العمل بهمه ونشاط . ولكنه وصل إلى نقطة من الحفر أحسّ فيها بالخوف من أن تنكسر اللوحة . ثم فوجىء برائحة بخور زكية تنبعث منها . ولدهشته سارع إلى نداء موظف كبير بالمصنع اسمه أنطون أسعد فهمى وطلب إليه المجىء ليرى اللوحة . فذهب معه لتوّه . **ودهش إذ تأكد من أن البخور منبعث منها فعلا بل ومنتشر من كل جهاتها ! فمجّد الله المانح قديسيه أن ينشروا عبير محبته حتى بعد انتقالهم من الجسد** . وعندها عاود محمد النونو العمل الذى سار بعد ذلك بسهولة مذهلة . فجاءت لوحة الرخام آية من جمال الصناعة المصرية .

وقد كتب كلّ من العامل والموظف إقراراً موقعًا عليه منهما بما حدث . وهذان الإقراران محفوظان بدير مارمينا بمريوط .

٤٨ ـــ مع أبينا سيداروس عبد المسيح

روى لى أبونا سيداروس هذه القصة بنفسه ، ولكن قبل أن أسرد حديثه يهمنى أن أقول إنه قد شاءت الإرادة الإلهية أن يرعى شعب كنيسة مارجرجس بشبين الكوم شاب نشط للغاية هو القمص سيداروس عبد المسيح . ولنشاطه عيّنه نيافة الأنبا بنيامين وكيلا للاكليريكية بتلك المدينة .

وأبونا سيداروس هو الابن الأكبر للقمص عبد المسيح سيداروس الذى رعى شعب كنيسة مارجرجس بالبياضية (ملوى) . ولم يكتف بالرعاية الروحية هناك بل أنشأ مدرسة ألحقها بالكنيسة وتعهدها بإشرافه عليها شخصيا[١] . ومن هنا نرى مدى تعلّقه بالكنيسة مما حدا به إلى أن يرسل ابنه إلى الأكليريكية بالأنبا رويس .

وانهمك الشاب سيداروس فى دراسته إلى حد أنه كان ضمن الأوائل مدى الأربع سنوات التى قضاها فى الأكيريكية . فلما تخرّج منها بعد أربع سنين عاود خدمته كشماس مع أبيه المكّرم ـــ إذ كان قد نال الشماسية قبل دخوله الاكليريكية . ولأنه كان يعود مباشرة إلى البياضية فى كل إجازاته لم تُتح له الفرصة لأن ينال بركة التعرّف على قداسة الأنبا كيرلس .

---

(١) ومن غيرته أيضا أنه اتصل بجمعية السيدات لتربية الطفولة لتمده بالكتب والأدوات المدرسية ، جـ ٦ ص ٧٤-٧٧

وانقضت فترة وهو مازال شماساً . وذات ليلة رأى البابا الوقور فى حلم يسأله : « مش عاوز تبقى كاهن ؟ » أجابه : « عاوز . ولكنى منتظر دعوة الله » . وهنا أمسك قداسة البابا بيده وأخذه إلى كنيسة دون أن يُخبره باسم القديس الذى تحمله ولا بالمدينة الموجودة فيها . ولما دخل الاثنان إلى الداخل سأله رجل الله : « تعجبك الكنيسة دى ؟ » فردّ عليه : « نعم ياأبانا تعجبنى » . فقال له على الفور : « هى دى كنيستك » وأختفى من أمامه .

وبعد أسبوع من هذا الحلم أرسل إليه قداسة البابا شنودة الثالث وسأله : « عندك مانع تترسم على كنيسة مارجرجس بشبين الكوم ؟ أوأنك تفضل البقاء للخدمة فى الكنيسة التى يرعاها أبوك ؟ » أجابه : « اللى تؤمر بيه ياسيدنا » .

ونتيجة لهذا الرد حدد له موعد الرسامة واحتفظ له باسم جده « سيداروس » . وبعد قضاء الأربعين يوما فى الدير[1] قصد إلى مدينة شبين الكوم . وهنا كانت المفاجأة ! فعند دخوله إلى الكنيسة التى سيرعى شعبها وجد بأنها هى الكنيسة بعينها التى أراه اياها الأنبا كيرلس السادس !

٤٩ ــ ثم ماذا ؟

إن المعجزات التى أجراها الله على يدىّ قديسه رجل الجبال البابا كيرلس السادس فى حياته وبعد انتقاله وفيرة للغاية ، وهى مازالت تحدث إلى الآن . ومن نعمة الله أن « أبناء البابا كيرلس السادس » يوالون نشر الكتب التى يسردون فيها أعاجيبه . فنتعلم منها أن الآب السماوى مازال يتعهد كنيسته القبطية المباركة منه بالقديسين . وهو ، له المجد ، مازال يجرى بشفاعتهم آياته الباهرة . إنه يوضح لنا تحقيق وعده الذى لا يمكن أن يسقط بأنهم سيجرون آيات وعجائب . ولكن بما أن الهدف من هذا الكتاب هو تسجيل السيرة العطرة فإن ما ذُكر من الآيات فيه الكفاية . وما على طالبى المزيد إلا أن يطالعوا الكتب الخاصة بها .

على أن هناك آية جديرة بالتسجيل : فقد حدث أخيراً أن سيدة مسلمة من سكان شبرا ، رفضت أن تبوح باسمها ، أصيبت بمرض أدى إلى أن تفقد بصرها . وفى ألمها أخذت تردد : « يارب » . وذات ليلة رأت حلما قصته على ابنها فى اليوم التالى بقولها : « رأيت فى الليلة الماضية شيخا نصرانيا ذا لحية بيضاء ووجه ساطع . وهو يرتدى ثيابا بيضاء أيضا وقال لى : إن شئت استعادة بصرك فاذهبى إلى كنيسة السيدة العذراء بالزيتون ، وقفى أمام صورتها المعلقة على حجاب الهيكل ، وملّسى عليها ثم ملّسى على عينيك . وبإذن الله تستردين بصرك . » ولكن ابنها كان مشغولاً من جهة ومن الجهة الأخرى لم يقتنع بالحلم الذى رأته أمه . فلما تكرر الحلم الليلتين التاليتين نفّذ ابنها رغبتها .

---

(١) يرجع هذا التقليد إلى أن السيد المسيح قضى أربعين يوما فى البرية قبل البدء بكرازته . ويتكرر العدد « أربعين » مراراً على مدى الأسفار الإلهية . فمن الواضح أنه عدد ذو تقدير روحانى خفى فى الكتاب المقدس وعند الفراعنة سواءاً بسواء .

وحينما عملت بما أوصاه إياها « الشيخ النصرانى » عاد إليها بصرها . وفيما هى خارجة من الكنيسة رأت صورة البابا كيرلس السادس المقامة مقابل بابها ، فهتفت لساعتها : « ده الشيخ اللى ظهر لى فى الحلم » .

الخلاصة

لوأننا تأملنا مدة باباوية الأنبا كيرلس السادس لوجدناها قصيرة فى عدد سنيها . ولكن إذا ماتأملنا الإنجازات التى تحققت فيها فى شتى المجالات تصوّرنا أنها طويلة طويلة . فالدرس الذى يشاء رب الكنيسة أن يؤكده لنا من خلال هذا البابا الجليل هو أن الحياة الإنسانية الحقة لا تقاس بالأيام والسنين إنما تقاس بالمحبة والعمل ؛ وأن مطالعة هذه السيرة القدسية ليس لمجرد الزهو والمباهاة ولكنها بالأولى لتسعى بموجبها بأن نعيش كما يحق بالدعوة التى دعينا إليها وللاسم المجيد الذى نحمله .

لذلك نكرر مع جميع محبى البابا كيرلس هذا الشكر تحيةً وإجلالا له :

بابا كيرلس شكراً لك

+ شكراً لك ... باقات محبتك التى تطوقّ بها أعناقنا .

مع كل نداء إلى الله باسمك .

+ شكراً لك ... رحيق حنانك الذى يغمرنا به قلبك الحانى الكبير .

+ شكراً لك ... نفحات روحك التى تثير فينا حمية مقدسة .

فذكرى الصديق للبركة (أمثال ١٠ : ٧)

+ فى كل عام تعطينا خبزاً من ثمر الإيمان

وتقدم أوداً من نور الرجاء

وتشبعنا دسماً من ثمر المحبة

فثمر الصديق شجرة حياة (أمثال ١١ : ٣)

+ فى كل عام تقدم بياناً لربحك .

وموجزاً لتجارتك .

وإعلاناً عن كنوز خزائنك .

+ وحمداً لله فربحك نفوس .

وتجارتك خلاص .

وكنوزك بركات

وأخذت الأكاليل زينة (ابن شيراخ ٣٢)

+ فى كل ذكرى لرحيلك نجدك مقبلاً نحونا .
+ وفى كل ذكرى لنياحك نجلك كأنك ما زلت تتعب لأجلنا .
+ وفى كل ذكرى لسفرك نجدك حالّاً فى وسطنا .

فالصديق أساس مؤبد (أمثال ١٠ : ٢٥)

والمجد لله دائماً .

ومن عجب الله المستمر فى قديسه أن تمت هذه السيرة يوم الخميس ١٢ توت سنة ١٠٧٤ش (١٩٨٧/٩/٤م) . وذلك اليوم تعيّد فيه الكنيسة بتذكار الأعجوبة التى صنعها الله عن طريق خادم أمين ومعلم من كبار معلمى الكنيسة الجامعة وهو القديس باسيليوس أسقف قيصرية الكبادل[1] مؤداها استخلاصه غلاماً من براثن العبودية للشيطان .

وابتهاجاً بهذا التذكار تترنم الكنيسة : « أمسكت بيدى اليمين . وبمشورتك هديتنى وبالمجد قبلتنى . وأنا فخير لى الالتصاق بالله وأن أجعل على الرب اتكالى . لأخبر بكل تسابيحك فى أبواب ابنة صهيون هلليلويا » .

(مزمور ٧٢ : ٢٢ و٢٤ و٢٨)

٥٠ — وبما أن الأنبا كيرلس السادس قد أولى كنائس أفريقيا عناية خاصة نورد الكلمة التالية :

كنيسة الأسكندرية فى أفريقيا

مقدمـــة : كان زاهر رياض ممن تعمقوا دراسة شعوب أفريقيا حتى لقد نال الدكتوراه فيها . وقد علّمها فى بادىء الأمر فى جامعة القاهرة ثم قضى عدم سنوات فى أثيوبيا للتدريس فى أديس أبابا . وانتهز فرصة وجوده هناك للتجّول فى البلاد الإفريقية فعرفها بالخبرة بعد أن كان قد عرفها بالدراسة . وحين عاد إلى وطنه سنة ١٩٥٦ رأى المسئولون عن المعهد العالى للدراسات القبطية الإفادة بمواهبة وعلمه فاختاروه ليكون أستاذ الدراسات الإفريقية بهذا المعهد . وقد وضع الكثير من المؤلفات أهمها عن صلة كنيستنا المحبوبة بأفريقيا[2] .

---

(١) هو واضح القداس الباسيلى الذى تترنّم به كنيستنا المحبوبة غالبية الأيام .

(٢) يؤسفنى أننى لم أتمكن من الحصول على المعلومات الوافية لسيرة هذا البحاثة الكبير

ولقد اختط المسئولون عن المعهد العالى للدراسات القبطية إقامة سلسلة من المحاضرات العامة يلقيها أحد أساتذته أو أستاذ خارجي يدعونه لهذا الغرض . فمثلاً دعوا ذات مرة الأستاذ **د. جورجي صبحي لإلقاء محاضرة عن « المؤثرات الفرعونية فى حياتنا الراهنة »** .

وخلال الموسم الثقافى لسنة ١٩٦٠ ألقى د. زاهر رياض المحاضرة التى نحن بصددها وعنوانها « كنيسة الأسكندرية فى أفريقيا » . ومما قاله فيها : كانت معرفة الأوربيين عامة بافريقيا ، لغاية القرن الحديث ، لا تزيد عن الصلات التجارية وعلى بعض البيوت التى أقامها التجار الإيطاليون فى الأسكندرية لسكناهم كما أقاموا مثيلاتها فى بعض الموانى القائمة على الشاطىء الأفريقى الشمالى .

ثم اكتشف كولومبوس العالم الجديد فأصبحت أفريقيا مجرد موطن للزنوج الذين يستولى عليهم الأوربيون عنوة ويشحنونهم فى سفن الرقيق للعمل فى مزارع الولايات المتحدة (الجنوبية منها) . وحدث أن قامت حرب بين أثيوبيا واليمن التى كانت قد زوّدتها تركيا بالسلاح . فتقدم البرتغاليون لمعاونة الإمبراطور ومكنّوه من الإنتصار . واستناداً إلى هذه المعاونة مهّدوا طريقاً جديداً لتدخّل الأوربيين فى أفريقيا هو طريق التبشير . على أنه من الموجع أن الكنيسة الغربية — فى شاملها — حين أرسلت بعثاتها التبشيرية إلى شرق أفريقيا وغربها أطلقت عليها اسم « القارة المظلمة » وكأن هذه التسمية لم تكن بكافية للتعبير عن احتقارهم لأهلها — بل زادوا على ذلك أن أولئك الذين ذهبوا بحجة نشر كلمة إله السلام قد أشعلوا نار الحروب الأهلية بأن استثاروا الإخوة على بعضهم البعض ! وضاعفوا هذا الشر بأن ساندوا حكوماتهم فى التنكيل بالوطنيين ! إنهم وقفوا إلى جانب تجّار الرقيق ! ويقول د. زاهر رياض بالنص . « وقد حرص الأسقف البرتغالى على أن يجلس على مقعد حجرى عند مدخل ميناء لوندا (على الساحل الشرقى) ليمنح بركته لهؤلاء البؤساء المساكين ! وهم يمرّون أمامه فى زوارقهم ليبدأوا رحلتهم الطويلة الشاقة المضنية إلى أمريكا مقابل سبعة فرنكات عن كل رأس !!! وهكذا أصبح الإفريقيون ، على مرأى ومسمَع الكنيسة الغربية مجرد سلعة تحمل أختامها ونقسّمها إلى طبقات تبعاً لأوزانهم وأجسامهم وطباعهم ! » .

وحينما بدأ الزحف الأوروبى على أفريقيا لاستعمارها اعتمد على عنصرين : السلاح والجمعيات التبشيرية سواء فى ذلك الكاثوليكية والبروتستانتية . ولكن هاتين الجماعتين لم تلبثا أن تصارعا على النفوذ : فانجلترا وشركة شرق أفريقيا البريطانية يؤازرون البرتستانت ، بينما تؤازر فرنسا الجمعيات الكاثوليكية .

وكان ملك موانجا (بأوغندا) قد بدأ يميل إلى المسيحية ويستسيغها . ولكنه ، بازاء هذه الحرب الطاحنة التى جلبت على بلاده الدمار زهد فى اعتناقها وظل على وثنّيته ! وهنا يرنّ فى آذاننا قول

بولس الرسول : « لأن اسم الله يجدَّف عليه بسببكم بين الأمم[1] . ثم طالبه من يسمّون أنفسهم « مبشرين » بالرحيل عن وطنه . ولما رفض حاربوه بالسلاح واضطروه إلى الهرب ! وحينذاك أسقطوه عن عرشه وأقاموا ابنه بدلاً منه مشترطين أن يكون رئيس قواته الحربية كاثوليكياً ومستشاره بروتستانتياً ـــ وبالتالى اقتسم الفريقان البلاد !

على أن بريطانيا لم يرقها هذا الاقتسام فحاربت الكاثوليك وأبعدتهم ثم جعلت من أوغندا مستعمرة خاصة لها سنة ١٩٠٠ م . وهكذا قلب دعاة التبشير الغربيون رسالة ملك السلام إلى قوة باطشة أدّت إلى انهيار هذه الدولة المستقلة وإلى وقوعها تحت سيطرة غاشمة غريبة عنها ! ولهذا السبب عينه لم يتجاوز نجاح البعثتين البروتستانتية والكاثوليكية ، بعد ستين سنة من العمل ، غير عشرة فى المائة من الأوغنديين ، ولقد قال رسول الأمم : « من يزرع بالشحّ فالبشحّ يحصد[2] وعلى هذا النمط نستطيع أن نقول : « من يزرع بالظلم فبالظلم يحصد » .

وامتد الشرر الأوربى إلى كينيا سنة ١٩٠٣ ، وفيها استهدف الحكم البريطانى جعلها مرتعا للرجل الأبيض إلى حد الاستيلاء على الأراضى الخصبة . فتحوّل صاحب الأرض الأفريقى إلى عبد لاينال من أرضه غير لقمة يسدّ بها رمقه . ثم صدر « قانون التاج البريطانى » الذى سمح للحاكم الممثل للامبراطورية الدخيلة منح أية أرضٍ لأيٍ من مواطنيه وبأية شروط يرتضيها ! فاستولى البريطانيون بهذا القانون على كل الأرض الصالحة ولم يتركوا الكينيين غير الأرض الجدباء التى يندر هطول الأمطار عليها . وليت الظلم توقّف عند هذا الحد بل لقد تجاوزه إلى تحريم الوطنين من زراعة القمح والبن والشاى لأنها مصادر الثروة ! وتصاعد هذا الاستبداد بسيادة التفرقة العنصرية فأصبح الوطنى الأصيل غريبا فى بلاده ! وقد عبّر عن هذه المأساة التى هى خيانة صارخة لتعليم السيد المسيح شاعر وطنى قال ماترجمته : « جاء بالانجيل منهم معشر ، قيل عنهم من دعاة الرحمة ، حرمونا جنة ليست لهم ، واستغلّوا أرضنا كالجنة . شغلت رهبانهم عن ربهم ضيعةُ البن وحقلُ الحنطة ! » وهذه هى العدالة البريطانية !

وامتدّ الطغيان إلى حرمان الأهالى من دخول جامعة « ماكيرارى » (بأوغندا) ـــ وهى الجامعة التى استهدف الأفريقيّون من افتتاحها الوصول بأولادهم إلى التعليم العالى . وبالإضافة فقد قبض الحكام على المطارنة والكهنة الأفريقيين الوطنيين وصدرت عليهم أحكام تتراوح ما بين الإلقاء فى معسكرات الاعتقال وبين الإعدام ! ومن عجب أنهم أرادوا أن يبرروا طغيانهم فأذاعوا بأن الحركة المسماة « ماوماو » يأكل أعضاؤها الرجل الأبيض ! وبهذه الأكذوبة برروا لأى أوروبى أن يحمل السلاح وأن يقتل أى أفريقى دون سؤاله عن السبب !!! وأغمض رجال الكنائس الأوروبية عيونهم

---

(١) رومية ٢ : ٢٤

(٢) ٢ كورنثوس ٩ : ٦

عن هذا كله ـــ وكأنهم لا يرون ولايسمعون ! بل إنه حين استنجد مجلس الكنائس الوطنية لشرق أفريقيا بهيئة الأمم المتحدة استنكرت عليه حقه فى هذه الاستغاثة !!!

ولقد حدث فى القرن السابع عشر أن امبراطور أثيوبيا آنذاك سمح بدخول البعثات التبشيرية السويدية والفرنسية فوجّه أعضاء هذه البعثات كل جهودهم إلى اقتناص الأرثوذكسيين بعيداً عن كنيستهم العريقة مغمضين عيونهم عن الوثنيين .

وصوّروا الكنيسة الأثيوبية والقبطية بأنهما رجعّيتان متأخرتان أكل عليهما الدهر وشرب ! فقسموا بهذا التصوير الأسرة الأثيوبية الواحدة إلى قسمين يحتقر منهما الفريق المنحاز للأوروبيين كنيسته وأهله وعشيرته ، بل ويحس بشىء من السخرية نحو وطنه . ويقول د.زاهر رياض : « ولقد شاهدت هذه الحالة بنفسى خلال إقامتى هناك خلال الثلاثينات من هذا القرن . ومن هنا يمكننا أن ندرك سبباً من الأسباب التى أدت إلى انهيار الحكم الوطنى أمام الغزو الايطالى سنة ١٩٣٦ » .

ولما استخلص الامبراطور هيلاسلاسى بلاده من براثن الايطاليين سنة ١٩٤٢ أخذ ينظّم أمورها . ووصل بهذا التنظيم إلى جعل المناطق المسيحية « مناطق مغلقة » أمام المبشرين الغربيين . ولكنه أفسح لهم المجال فى مناطق الوثنين على أن تشرف وزارة التربية والتعليم على مختلف أنشطتهم . ومنح لهذه الوزارة الحق فى ترحيل هذه البعثات وإغلاق أماكن نشاطها متى رأت وجوب هذا المسلك .

ولما كان الله يمهل ولا يهمل فقد صبر على هؤلاء الغزاة الأوربيين ما يزيد على نصف قرن ثم منح الفرصة للافريقيين باسترداد بلادهم المسلوبة . وما إن حققوا استقلالهم السياسى حتى قرنوه باستقلالهم الكنسى . وهذا ما حدث فى آسيا أيضا . فمن المأثور عن غاندى الزعيم الهندى الكبير قوله للانجليز : « لو كنتم مسيحيين حقيقيين لسجدت الهند عند أرجلكم » .

ومارس الهولنديون المأساة عينها فى جنوب أفريقيا حينما اقتحموها فى منتصف القرن الثامن عشر إذ لازمت « الكنيسة الإصلاحية » دخولهم . فقامت هذه الدولة ، منذ اللحظة الأولى ، على التفرقة العنصرية ، وسياستهم هذه معروفة فى العالم بأسره . وقد زادتها شيوعاً دعايات الانجليز تغطية لما يقترفونه فى البلاد التى يحتلّونها . وتجاوز الهولنديون الحدود حين عقدوا مؤتمرهم للكنيسة الإصلاحية الهولندية سنة ١٩٥٦ بأن أصدروا قراراً مؤدّاه : « إن سياسة التفرقة العنصرية ليست سياسية وطنية يمليها عاملا الاقتصاد والسياسة فحسب بل يحتّمها أيضا الدين والأخلاق » !!! فترسّخ فى أذهان الوطنيين هناك ، كما ترسّخ فى أذهان إخوتهم الافريقيين فى مختلف البلاد بأن المسيحيين خانوا عهد مسيحيّتهم . ودفع بهم هذا الاقتناع إلى أن تقوم فى بلادهم « كنائس بيضاء » و « كنائس وطنية » . ثم اتّجهت أنظار الكنائس الوطنية نحو نصير يساندها ، فلم تجد أمامها غير كنيسة الاسكندرية . فهذه الكنيسة لا تعتمد على رجال السياسة والاقتصاد ، ولا تحتقر الافريقيين إذ هى افريقية . إنها

كنيسة عرفت أن تعيش بعيداً عن التدخّل فى الحكم العالمى . إنها عرفت ان رسالتها هى الرساله الروحية الفكرية وحدها . ونتيجة لهذا الاتجاه الكنيسى القبطى تفاهم آباء الكنائس الافريقية مع نيافة الأنبا صموئيل أسقف العلاقات العامة والخدمات الاجتماعية على إنشاء « مجلس كنائس كل افريقيا » سنة ١٩٦٩ ــ وقد تم إنشاؤه بالفعل[١] .

ومصر دولة افريقية ، بل إن كاروزها العظيم مارمرقس مؤسس كنيستها افريقى من القيروان . وقد وعت مصر وكنيستها المسئولية الملقاة عليهما فساهمتا بكل إمكانياتهما فى نشر النور والحضارة حتى أعماق الغابة العذراء[٢] .

ومن أسطع الأدلة على إلتزام كنيسة مصر برسالتها تلك الصلة من المودة التى لم تقم بينها وبين كنيسة اثيوبيا فقط بل قامت بين حكومتيهما كذلك . وجدير بالذكر أن كنيستنا المحبوبة بادرت إلى تأدية رسالتها نحو افريقيا فى العصور السابقة على دخولها المسيحية . فمثلا حين أوفد قداسة البابا كيرلس السادس القمص مكاريوس السريانى (الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف) إلى جنوب افريقيا فى منتصف سنة ١٩٦١ ، وجد كتابات مصرية ، منقوشة نقشا بارزاً فوق أعتاب مداخل بعض البيوت وقال له ساكنوها إنهم توارثوا أباً عن جد بأن المصريين هم الذين نقشوها ولو أنهم لم يحددوا بالضبط فى أى العصور تمّت . على أنها مادامت بالقبطية الصعيدية فهى إذن سابقة على دخول العرب .

وجدير بالذكر أن كنائس افريقيا كلها قد عقدت عدة مؤتمرات فى القاهرة ، وآخر هذه المؤتمرات انعقد فى شهر أغسطس سنة ١٩٨٦ بفندق سونيستا بمدينة نصر (المتاخمة لمصر الجديدة) .

ومن العجب بمكان أنه مع كل ما بذلته كنيسة مصر من جهود بنّاءة فهى جندى مجهول حتى من أبنائها ! وقد علّق القبطولوجى الفرنسى رينودو بقولة « إنها جندى لا يعرفه أولادها » ! على أن الآب السماوى الذى لا يدع نفسه بلا شاهد لا يدع كنيسته بلا شاهد أيضا . فها نحن نرى ونسمع الآن مسارعة العدد الكبير من المثقفين الغربيين إلى التعرّف عليها وإيفائها تقديرها .

فهو ــ له المجد ــ له « ملء الزمان » لكل عمل ذى قيمة .

* * *

---

(١) « قصة الأنبا صموئيل » للمؤلفة ص ٣٦ ، ٤٢

(٢) عن « كنيسة الاسكندرية فى افريقيا » ــ محاضرة ألقاها د. زاهر رياض مساء الأربعاء ٩ مارس سنة ١٩٦٠ ، طبعتها له مطبعة جمعية الإيمان بجزيرة بدران بشبرا فى الشهر عينه . أنظر أيضا « ماهو واجبنا نحو الكرازة فى أفريقيا » حديث أجراه جورج حبيب مع أنبا أثناسيوس مطران بنى سويف والقمصين باخوم المحرق (أنبا غريغوريوس) ويوسف عبده ، نشره فى مجلة الكرازة ، العدد الأول كيهك سنة ١٦٨١ش (يناير سنة ١٩٦٥م) ص ١٥-٢١

٥١ ـــ تمهيد

لقد زخر عهد الأنبا كيرلس السادس بعدد وفير من الآباء القديسين كما زخر بعدد مثيل من العلمانيين . على أن هناك من لم يعاصروه زمنيا فقط ، بل تميّزوا أيضا بطاقة ضخمة من الروحانية فتواصلوا مع باباهم على مستوى عالٍ من الروحيّات . والصور التالية تسجيل لهؤلاء « الأقارب » -بالروح تبعا للتسلسل الزمنى .

مواهب متنوعة

مقدمة : إن العالم يفتقر ، فى عصرنا الحاضر ، إلى أشخاص ذوى نظرة واسعة شاملة لأن التخصص فى أضيق حدوده أصبح السِمة السائدة . فمثلا هناك طب العيون وطب الأسنان وغيرهما من فروع التخصص لعلاج جزء معين من الجسم الإنسانى . وهذا معناه أن الطبيب يلتزم بموضوع معيّن من الدراسات الطبية ــ فهو لا يولى أى موضوع آخر منها شيئا من اهتمامه . ومع أن التخصص يؤدى بالمتمّعن فى تفاصيل مجال دراسته إلى التضلع منها إلا أنه فى الوقت عينه يحدد من نمو الشخصية . لأن الخالق المبدع أودع داخلها وزنات مختلفة . صحيح أنه منح البعض وزنة واحدة ، ولكننا نعرف من مثل الوزنات[1] أنه منح البعض وزنتين والبعض خمس وزنات . ومن كان ذا خمس وزنات سيطالبه ربه بالربح فى خمس . وأمام العطاء والحساب الإلهيَّين ندرك محدودية التخصص الضيق . ولسنا فى حاجة إلى أن نذهب بعيداً لنندهش أمام روّاد الحضارة وقادة الفكر الإنسانى كإمهوتب الذى كان طبيباً وبنى الهرم المدرَّج بسقارة . وإنما يكفى أن نلتفت حولنا فى هذا القرن العشرين لنواجه عمالقة من الأشخاص الذين نجحوا فى ميادين متباينة وأنتجوا فيها إنتاجات لها العجب . وواحد من هؤلاء الذين نبغوا فى علوم مختلفة تماما فى أيامنا هذه هو **د. جورجى صبحى** الذى نتأمل سيرته فى السطور التالية .

تراثه : ينتمى هذا الطبيب إلى عائلة من بلدة الميمون (مركز الواسطى) . والميمون هذه هى البقعة الأولى التى أوى إليها أنبا أنطونى أبو الرهبان حين رنّ فى داخله الصوت الإلهى بأن يترك كل شىء ويحمل صليبه ويتبعه . ومن نعمة الله على هذا القديس الكبير أن الميمون مازالت عامرة وبها كنيسة تحمل اسمه الكريم . فدكتور صبحى إذن سليل عائلة عاشت أجيالها فى جو مشبَّع بالروحيات .

على أن الطفل جورجى وُلد بالقاهرة سنة ١٨٨٤م (سنة ١٦٠٠ش)[2] . ثم فقد أمه وبالتالى فقد حنان الأمومة بعد أسبوع واحد من ولادته . وكان أبوه ، صبحى مسيحة ، على صداقة وثيقة مع د. هاربور مؤسس مستشفى هرمل بمصر العتيقة . وقد شاء الآب السماوى ، فى رعايته العجيبة أن يكون لهذا الطبيب ولد من سن جورجى . وأمام حيرة صبحى مسيحة عرض عليه صديقه أن

---

(١) متى ٢٥ : ١٥-٢٨

(٢) يؤسفنى أن كاتب سيرته لم يحدد اليوم من تلك السنة

يجعل من وليده أخا لابنه . وهكذا تربّى فى بيت د.هاربور لغاية التاسعة من عمره .

ومرّ بالمرحلة الابتدائية من التعليم ثم دخل المدرسة التوفيقية الثانوية (بشبرا) وحصل فيها على الثانوية العامة ـــ وكان ترتيبه الأول فى مصر كلها مع أنه لم يكن قد تخطّى السادسة عشرة من عمره . وتقدم إلى كلية الطب فتردد المدير فى قبوله لصغر سنه . ولكنه ، إذ توسّم فيه توقّد الذهن الواضح فى سطوع عينيه ، قبله . ومع أن الدراسة كانت آنذاك لا تزيد على أربع سنوات فقد برع عدد من المصريين فيها براعة جعلت لهم صيتا حسنا فى أوروبا والولايات المتحدة . وهكذا نال جورجى صبحى بكالوريوس الطب وعمره عشرون عاما ! **وهو كان فيما بعد ضمن الأطباء المصريين الذين احترم العالم الغربى مكانتهم العلمية . فكأن الآب السماوى شاء أن يعوّضه عن فقد أمه بمزيد من المقدرات . ولا عجب ، فهو له المجد ، قد قال : « هل تنسى الأم رضيعها فلا ترحم ابن بطنها ؟ حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك »[1] . وأم جورجى لم تنسه وانما تركته تلبيةً لنداء ربها ـــ فكم بالحرى يذكره الآب السماوى الحنون ؟!**

عمله : وحال تخرّجه اشتغل طبيب امتياز بالقصر العينى ، فمديراً لمستشفى الحميّات ، ثم عمل فى كلية الطب . ولحساسيّته الطبية المرهفة أوفده عميد الكلية للدراسة فى لندن سنة ١٩٠٩ . إنه كان ينطبق عليه قول الكهنة الأطباء عند الفراعنة وهو أن الطبيب له عينان كبقية الناس ، ولكن يجب أن يكون له عشرة عيون : واحدة عند طرف كل أصبع من أصابعه ، ترى أبعد مما تراه العينان ، ثم عين فى قلبه يجب أن تكون أعمق غوراً فى رؤيتها من الاثنتى عشرة الأخريات . فلما أتم دراسته فى الخارج وعاد إلى مصره الحبيبة عُيّن أستاذاً مساعداً للأمراض الباطنية وفقاً لتخصصه ، فأستاذا بعد ذلك . وتدرّج إلى أن أصبح رئيساً لقسم الأمراض الباطنية بكلية الطب من سنة ١٩٤٠ ـــ سنة ١٩٥٢ .

ومع تفوّقه فى الطب ، ومع عمله المتواصل فى الكلية وفى عيادته الخاصة ، لم تستطع نفسه الوثّابة أن تقف عند هذا الحد . فبدأ بإجراء بحوث فى ميدانه أولا وكان علم دراسة الأجناس قد اجتذبه ، فاندفع بقوة هذه الجاذبية إلى فحص ثلاثة آلاف جثة ومومياء من مختلف عصور التاريخ المصرى . ثم انهمك فى تعمقّ الأمراض الطُفيلية والحميات ، وضع بعده المؤلفات التالية : « مفردات ابن الغافقى » فى خمسة أجزاء تولّت الكلية طبعها . كذلك تولّت طبع كتابه عن « الذخيرة فى الطب » ـــ وكلّ من هذين المؤلَفينْ بالعربية وبالانجليزية . ثم وضع كتابا عن « مرض الأميبا » تكرر طبعه مراراً .

---

(١) أشعياء ٤٩:١٣

تاريخ الطب فتاريخ مصر : ولقد دفعته فحوصه للمومياَت إلى الرغبة فى التزوّد من تاريخ الطب . فلم يدرسه دراسة وافية فقط بل كان هو الذى أدخل دراسته ضمن مناهج الكلية . كذلك ألقى الكثير من المحاضرات فى هذا الموضوع نُشرت كلها سنة ١٩٤٩ .

وتدرّج الولع بتاريخ الطب إلى الولع بالتاريخ المصرى فى حد ذاته . وأبرز من قوّى فيه هذه الرغبة أنبا مكارى أسقف الخرطوم الذى كان الانجليز قد اضطروه إلى مغادرتها . فأقام بدير أبى سيفين بمصر العتيقة . وهذا الأسقف الجليل هو الذى علم د.جورجى صبحى اللغة القبطية . وهنا أيضا نجد دليلا على وعى آبائنا بتراثهم وعلى رغبتهم فى نشر هذا التراث بين أبنائهم . فحقّ لنا أن نهتف مع الشاعر الفرزدق قوله :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم   إذا جمعتنا ياجرير[1] المجامع

ولقد عمل جورجى صبحى بتوجيهات الأنبا مكارى وتعمّق دراسة اللغة المصرية فى صورها المتتالية وهى : الهيروغليفى . الهيراطيقى . الديموطيقى . القبطى . وبلغ به التفوّق فيها حداً جعل أولى الأمر يعيّنونه لتدريس اللهجة الديموطيقية فى كلية الآداب بجامعة القاهرة . وجدير بنا أن نعرف أنه كان ضمن خمسة علماء برزوا فيها فى العالم بأسره !

وفى سنة ١٩٣٤ أسس مريت بطرس غالى جمعية الآثار القبطية فكان جورجى صبحى ضمن مؤسسيها . وكان حماسه بالغاً جعل منه عضواً فعّالا فى هذه الجمعية .

ذلك أنه كان أنه أنشطة الجمعية إصدار مجلة علمية باسمها تتساوى مع مثيلاتها الأوربيات والأمريكيات . وكانت تحتوى على مقالات بالعربية والقبطية والانجليزية والألمانية تتعلق بالتراث المصرى فى مختلف مجالاته . فنشر د.جورجى صبحى بهذه المجلة المقالات التالية :
١ ـــ عن « انتساب القبط لقدماء المصريين » (العدد الأول الصادر سنة ١٩٣٥) ؛ ٢ ـــ « أستمرار حياة مصر القديمة » (العدد الثالث سنة ١٩٣٧) ؛ ٣ ـــ « متنوعات » (العدد الخامس سنة ١٩٣٩) ؛ ٤ ـــ « مكاتبات » (العدد السادس سنة ١٩٤٠) ؛ ٥ ـــ « التعليم فى مصر فى العصر القبطى وبين الأقباط » (العدد التاسع سنة ١٩٤٣) ؛ ٦ ـــ « ملخصّ لحياة القبطولوجى الانجليزى كروم » (العدد العاشر سنة ١٩٤٤ . وهذه المقالات كلها بالانجليزية لأن مجلة جمعية الآثار القبطية كانت تُصدَّر إلى جميع الهيئات العلمية فى العالم الخارجى .

وليس ذلك فحسب بل **لقد طلبت إليه جامعة القاهرة أن يضع كتاباً فى أجرومية اللغة المصرية » بتشجيع الملك فؤاد** . فوضع كتاباً ضخماً أشبه بموسوعة ضمنّه الهيروغليفية والديموطيقية والقبطية إلى جانب العربية . وحالما أتّمه طبعته له الجامعة وجعلت منه المرجع لطلاّبها فى هذه المجالات .

---

(١) كان جرير شاعراً معاصراً للفرزدق ـــ وكلاهما متنافسان .

وغلاف الكتاب صورة لحقيقته إذ يحمل عنوانه بالعربية والقبطية والهيروغليفية . **ولقد منحه الملك فؤاد رتبة البكوية تقديراً له على هذا الإنتاج العظيم .**

ولا يغيب عن بال القارىء أنه ظل يعمل فى عيادته كل مساء . وكانت هذه العيادة تموج بالمرضى لدقّته المتناهية فى فحصهم . ولعنايته الشديدة بهم كان يتابعهم شخصيا كما كان يرفّه عنهم بدعاباته ونكاته . ولا نبالغ إن قلنا إنه كان المرجع للأطباء أنفسهم متى أعياهم علمهم[1] .

ومن هذا كله نرى أنه برز فى مجالات مختلفة من الطب كما برز فى دراساته وأبحاثه عن مصر ابتداءً من عهدها الفرعونى وامتداداً إلى العصر الذى عاش فيه .

وكأن هذه الأعمال كلها لم تكن كافية فتطّوع للعمل فى المستشفى القبطى وللتدريس فى الأكليريكية والمعهد العالى للدراسات القبطية بالانتظام عينه الذى كان يؤدى به عمله الأساسى .
صورة لفظية : وبما أننى قد سعدت بمعرفته شخصياً كأستاذ وطبيب وصديق **فالولاء يقتضى برسم صورة لهذا العملاق المصرى الذى أنبتته مصرنا العريقة اعترافاً ببركة الله المستديمة عليها . كان أسمر اللون بتلك السمرة المصرية الجذّابة ؛ ذا ابتسامة حلوة عريضة نادراً ما تفارق شفتيه . ولاعتزازه بطابعه المصرى الصميم كان يقول لكل من يتعامل معه : « واحنا مالناش غير الدم واللون ! » كذلك كان ذا جبهة عالية وعينين برّاقتين وحاجبين كثيفين .**

وكان حاضر البديهة يلقى النوادر والنكات بتلقائية فورية فيرفّه بها عن تعبه وعن تعب طلبته ومرضاه وخلاّنه . لهذا كانت كثيراً ماترن فى أرجاء فصوله ضحكات المرح .

وفوق هذا كله كان ألوفا ودوداً[2] طيب القلب يحسّ من يتعامل معه بحنانه ورقة مشاعره حتى لكأنه جمع بين صلابة الرجل وحنان المرأة .

وبعد هذه الحياة الدافقة بالإنجازات ناداه ربه سنة ١٩٦٤[3] .

وتناغماً مع هذه الحياة الدافقة وترابطاً مع التراث المصرى الذى ولع به ، نورد هنا بعض ماقاله أمير الشعراء أحمد شوقى على لسان الكاهن الطبيب أنوبيس فى روايته الممتعة « مصرع كليوباترة » ــ قال :

---

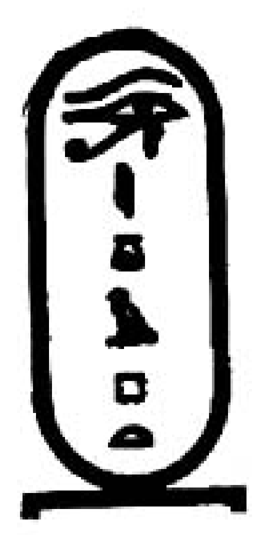
(١) عن مقال لمريت بطرس غالى نشره فى مجلة جمعية الآثار القبطية ، العدد التاسع عشر ، سنة ١٩٦٧ ــ سنة ١٩٦٨ ، ص ١-٢

(٢) فمثلا كان يُساهم باشتراك شهرى فى جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة ، فكان يصمم على أن أذهب لأحصل على اشتراكه بدلاً من المحصّل . وكان ذهابى لتأديه هذه الخدمة فرصة لى لسؤاله عن بعض ماأهدف إلى جمعه من المعلومات .

(٣) يؤسفنى أن كاتب المقال لم يحدد يوم انتقاله بل اكتفى بذكر السنة .

... ولو ذاقوا هوى العلم كما ذقت فنـــوا فيـــه

ثم يناجى أنوبيس الأفاعى التى جمعها لإجراء التجارب عليها قائلا :



هلمّ لكنّ بنات التـــلال وجنّ الخرائب من صالحجر

يد العلم وهى حديديـة حوتكنّ من جنبات الحفر

وجاءت بكنّ إلى حجـرتى أسارىَ القوارير رهن الصرر

ومافتنتـى بجلـودٍ لكـــنّ مــرقّشةٍ كإهــاب النَمِــر ؛

ولكن أزاول علم السمـوم وعلم السموم جليل الخطر

لقد كان لى فى معاناتـــه تجاريب أنفقت فيها العُمُــر

إلى أن نجحت . نعم قد نجحت وعاقبــة الصابريـن الظَفَـــر

فكم قد شفيتْ بطبى اللديغ وأيقظت من نزعة المحتَضَر

صنعت من السم ترياقـه وقد يختفى النفع تحت الضرر

٥٢ ــ غيرة بيتك أكلتنى(١)

القمص داود مرقس

مقدمة : إن القمص ميخائيل داود راعى كنيسة السيدة العذراء بروض الفرج هو وعائلته من أصفى الناس مودةً ووفاءً : إنهم صورة للبساطة المسيحية والمحبة الخالصة التى يتميّز بها تلاميذ ذاك الذى هو المحبة .

وقد بدأ تعارفنا سنة ١٩٤٠ حين تأسست جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة (٢) إذ كان من الرعيل الاكليريكى الأول الذى ساهم بنصيبه فى تنشئة الأطفال بمدرسة السيدة العذراء بالشرابية تنشئة أرثوذكسية صميمة . ولم تملأ هذه الأرثوذكسية على الأطفال قلوبهم عن طريق الدراسة فحسب ، بل كانوا يعبّرون عنها أيضا بالتمثيليّات التى يقدّمونها فى حفل اختتام السنة الدراسية . ولقد أتقنوا أدوار الكاهن وشعبه ، والشهيد وصموده ، وأمثال السيد المسيح ، إتقاناً جعل الأنبا ثيئوفيلس مطران القدس ، حين حضر حفل العام الدراسى لسنة ١٩٤٥ ، أن يمنح الجمعية خمسائة جنيه مصرى(٣) تقديراً منه لهذه الجهود . وهذا كله كان بفضل ميخائيل داود كمعلّمٍ أولاً ثم كناظر لهذه المدرسة .

ولقد تفضّل فلخّص لى سيرة أبيه القمص داود مرقس فيما يلى :

---

(١) مزمور ٦٩ :٩ ، يوحنا ٢ :١٧

(٢) راجع جـ ١ من هذا الكتاب ص ٧٣-٧٧ ، وجـ ٦ ص٢٧-٢٩

(٣) وتساوى الآن أضعاف أضعافها .

البداية : إن داود من مواليد الصوامعة غرب فى سبتمبر سنة ١٨٩٢م (١٦٠٨ش) . وهو سليل عائلة نال عدد من رجالها كرامة الكهنوت : فأبوه القمص مرقس حناوى ، وأخوه القمص يسطس ، ولهم ابن عم هو الراهب القمص شنودة الصوامعى البرموسى[1] .

ومرقس حناوى كان قد بدأ حياته العملية بالتدرّب على المحاماة . وترافع فعلاً فى عدد من القضايا الصغيرة توطئةً لقيد اسمه فى سجلّ المحامين . على أن أباه حناوى مرجان ، أحد الموظفين بمحافظة سوهاج ، كان يمتدّ ببصره إلى فوق ، فأراد لابنه كرامة الكهنوت . ومن المؤكد أن هذه الرغبة الأبوية كانت بإرشاد من الروح القدس — لأن القمص مرقس حينما وصل إلى هذه المكانة نجح فى أن يعيد أهالى بلدة بناويط (بمركز المراغة) بأسرهم من الكثلكة إلى أمهم الرؤوم كنيسة مصر القبطية الأرثوذكسية . ولأن القمص مرقس حناوى كان بهذا الاشتعال الأرثوذكسى فقد تفاهم مع الصوامعيين واشتروا قطعة من الأرض وسط الشق (أو الحى) الذى تقطنه أسرة حناوى . وبالفعل تمّ بناء كنيسة باسم رئيس الملائكة ميخائيل كان القمص مرقس أول « ملاك »[1] يقول القديس يوحنا الرسول عن الكاهن إنه « ملاك » الكنيسة ؛ رؤيا الأصحاحان الثانى والثالث . وكانت عيناه ترتفعان نحو السماويات تلقائيا : إنه الأول لنسلٍ من الكهنة مملوئين نعمة وبركة؛ وهو لم يكتفِ بخدمة شعبه فى الصوامعة بل تجوّل للخدمة فى القرى المجاورة كالبطاخ وبنجة وشندويل والغريزات . وإذ وجده مطران أبو تيج على هذا التفانى أقامه وكيلا للمطرانية . وبما أن الآب السماوى يكرم الذين يكرمونه فقد منحه أن يرى ملائكةً محلّقين فوق قبة المذبح . ومن بهاء الرؤيا اختُطف بالروح اختطافاً واضحا رآه الحاضرون فى الكنيسة . إذن فمن الطبيعى لكاهن بهذه القامة الروحية أن يتمنّى الكهنوت لأولاده . فأرسل بكره إلى الاكيريكية ، وبعده بسنوات أرسل إليها ابنه الثانى .

الدراسة : واضح إذن أن داود مرقس نشأ نشأة أرثوذكسية صميمة . وبدأ دراسته « بالكتّاب » تبعاً للعادة الشائعة آنذاك ، ومنها انتقل إلى المرحلة الابتدائية . ولأنه حفظ الصلوات الكنسية بقلبٍ متفتّح فقد رُسم شماساً خلال هذه الفترة . وما إن أتمّها حتى أرسله أبوه القمص مرقس حناوى الى الاكيريكية حيث قضى أربع سنوات كان الأول على دفعته على مداها . ولقد شغف بتاريخ كنيسته وبلغتها القبطية فسهر على دراستهما إلى جانب دراسة طقوسها المصرية الصميمة . ووضح شغفه بالتاريخ فى كل أحاديثه إذ كان ينتقى منه كل ما هو مناسب فى عظاته وأحاديثه . أما عن تفوقّه فى اللغة القبطية فقد برز فى أنه قرأ ذات يوم الانجيل قبطيا من القطمارس العربى مباشرة بترجمة فورية إذ لم يجد النسخة القبطية يومذاك !

---

(١) تفضّل هذا الراهب البرموسى فنسخ لى كتاب بستان الرهبان فى جزئين وكتاب البطاركة فى جزئين أيضا ، وغلّف كلاً من هذه الأجزاء الأربعة بغلاف سميك من الجلد .

ولحرصه المتفانى على ما سلّمه لنا الآباء[1] أجاد الصلاة بالقداسات الثلاثة : الكيرلسى والغريغورى والباسيلى قبطيا وعربيا ــ وكان يؤدى الشعائر القدسية بواحد منها تبعاً للمناسبة . ولأنه كان يفضّل الصلاة باللغة القبطية فقد كان يصرّ على تلاوة بعض أجزاء القداس الإلهى بها باستمرار . أما الأجبية فكان يصليها بالقبطية فى صلواته الخاصة ، كما كان يعمل بالتوجيه الإلهى القائل « الذين يبكّرون إلىّ يجدوننى »[2]

ومن نعمة الله على الشماس داود مرقس أنه درس فى الاكليريكية تحت رعاية مديرها معلم الأجيال الأرشيدياكون حبيب جرجس . ولما انتهى من الدراسة رُسم كاهنا على كنيسة رئيس جند السمائيين الملاك ميخائيل بالصوامعة غرب . وحدث أن احتاج شعب كنيسة مارجرجس بأم درمان (بالسودان) إلى راعٍ سنة ١٩١٨م . فاختاره حبيب جرجس لهذه الرعاية . وقضى القس داود مرقس عشر سنوات بالقطر الشقيق توثّقت خلالها الصداقة بينه وبين شعبه حتى لقد ظل يكاتبهم إلى آخر حياته .

التدخل الغاصب : وفى سنة ١٩٢٧ شاء الأسقف الانجليزى للشرق الأوسط أن يقحم السياسة على الكنيسة القبطية . فأذاع رغبته فى أن يوحّد بين كنيسته وكنيستنا المصرية المحبوبة . واستهدافاً إلى تحقيق رغبته دعا الأنبا مكارى أسقف الخرطوم ، والقمص يوحنا سلامة وكيل المطرانية ، والقس داود مرقس وعدداً من كبار الأقباط[3] . ولا داعى إلى القول بأن هناك من راقته هذه الفكرة . ولكن الآب السماوى الساهر دوما على كنيسته أقام لها من يذود عن كيانها المستقلّ فى شخصىّ الأنبا مكارى والقس داود مرقس . **ونتيجة للنقاش الذى دار يومذاك صدر قرار برفض ما عرضه الأسقف الانجليزى . فأرادت السياسة الانجليزية أن تثأر لهذا الفشل بأن أصدر الحاكم الانجليزى أمره بأن يغادر السودان الأسقف الجليل والقس النبيل لحرصهما على تراث كنيستهما . فعاد كلاهما إلى مصر مرفوعىّ الرأس .**

ولقد أبدى البابا الوقور الأنبا كيرلس الخامس تقديره للقس داود مرقس فأقامه قمصا حال وصوله إلى القاهرة . ثم أقامه راعيا لكنيسة الملاك ميخائيل بآخر مصر العتيقة المعروفة « بالملاك القبلى » .

محنة قاسية : ووسط خدمة القمص داود الدائبة ورعايته الساهرة انقضّت عليه صاعقة عنيفة هى

---

(١) من نعمة الله أنى حضرته وهو يقيم شعائر المعمودية المقدسة لإحدى حفيداته ، فصلّى (تمهيديا) على رأس الأم ثم على رأس الطفلة ، وبعدها صلّى على المياه ، وأخيراً غطس الطفلة فى جرن المعمودية .

(٢) أمثال ١٧:٨ (٣) راجع جـ ٦ من هذا الكتاب ص ١٩-٢٠ ، ٢٦-٢٩ ، ٣٨-٣٩

انتقال زوجته إلى الفردوس . وكانت هذه السيدة على وعى عميق بمسئولية الكاهن ومسئولية زوجته ، فعاشت « معنيا نظيره » منذ أن تمّ إكليهما المبارك . وساندته فى مختلَف مهامّه التعليمية والاجتماعية فى السودان . وحينما أصبح مسئولاً عن شعب كنيسة رئيس جند السمائيين صارت رئيسة للجنة سيدات هذه الكنيسة . وخلال رياستها وتعاونها مع الأعضاء ساهمن مساهمة فعّالة فى بناء مدرسة ملحقة بهذه الكنيسة مازالت موجودة إلى الآن ضمن الأرض المملوكة للباباوية (علماً بأنها كانت أماً لثلاثة بنين وبنتين هم : القمص ميخائيل وأخويه يوحنا ومرقس وأختيه مارى وصوفى) .

ولما وصلوا بجثمانها الطاهر إلى الكنيسة وبدأت الصلوات أصرّ على التشارك فيها قائلا : « مادامت هذه الصلوات للتعزية فلماذا لا أصليها ؟ » وبالفعل صلّى عليها أوشية الراقدين بصوت هادىء رصين . وممن اشتركوا فى هذه الشعائر الجنائزية الراهب القمص مينا البرموسى المتوحّد (البابا كيرلس السادس فيما بعد) .

قصة طريفة : ولقد شاء الآب السماوى أن يتلاقى القمص داود بالراهب مينا المتوحد لأول مرة لقاءً له قيمته التاريخية . فقد حدث أن رئيس دير السيدة العذراء — برموس طرد سبعة رهبان من الدير بينهم القمص شنودة الذى سبق ذكره بأنه ابن عم القمص داود . وبما أن هناك من يحلو لهم الصيد فى الماء العكر ، فقد ذهب بعض منهم إلى البابا يؤنس التاسع عشر (وكان أصلاً من دير البرموس) ، ووشوا إليه بأن القمص داود مرقس يأوى الرهبان المطرودين فى بيته ، بل ويسمح لهم أيضا بالصلاة فى كنيسته . فاستدعاه البابا الجليل وأمره بطردهم . أجابه : « ياسيدى — ليس من الممكن أن أطرد أولادك من بيت أبيك » . واحتدم الشيخ المهيب غضبا ونطق بألفاظ الحرم ! على أن الكاهن الصبور لازم الهدوء وقال : « طول عمرك إنسان محب للكهنوت ولم يحدث أن أصدرت حرماً خاطئا — فلماذا تحرمنى ؟! إننى لا أستطيع أن أطرد أبناءك إلى الشارع » . وتردد صدى هذه الكلمات داخل القلب الأبوى فأجاب على الفور : « محالل . مبارك . وخذ هذا المبلغ للرهبان » . وظل يمدهم بالمال إلى أن عادوا لديرهم[1] . وخلال هذا الحادث بدأت صداقة القمص داود مرقس بالراهب المتوحد القمص مينا البرموسى وظلت مدى حياتهما .

وكان القمص داود قد أرسل ميخائيل ، ابنه البكر ، إلى الاكليريكية . فلما تخرج سأله أبونا مينا المتوحد : « ألا ترغب فى رسامة ابنك كاهنا ؟ » أجابه لفوره : « أنت ستكون بطريركا ، وأنت الذى سترسمه » . وقد تحقق هذا القول .

بابا مرقسى جديد : ثم حدث أن نُصّب الأنبا يوساب الثانى البابا الاسكندرى المائة والرابع عشر فى ١٦ مايو سنة ١٩٤٦[2] . فذهب عدد من الكهنة لتهنئته وأعلنوا له بأنهم أعطوه أصواتهم فى

---

(١) فى هذا الموقف يتجلّى تواضع البابا الجليل وصفاء قلبه كما تتجلى شجاعة القمص الصبور ودالة البنوة التى خاطب بها باباه .

(٢) راجع سيرته فى جـ ٦ من هذا الكتاب ص ٧-٩٨

الانتخاب ! ولكن القمص داود مرقس قال له بصراحته العجيبة : « أنا لم أنتخبك ياسيدى بل أعطيت صوتى للراهب داود المقارى » . وهنا يجب أن نعرف أن البابا الجليل لم يغضب بل ولم يعاتب . واكتفى بأن قال باتّزان : « مبارك أنت صريح وصادق دائماً » .

ولا نلتقى بهذه الرحابة البابوية فى هذا الموقف فقط ، فهناك حادث يليق بنا أن نتّمعنه بتدقيق وتبصّر . ويتلخص فى أن زوجة ضابط كبير ممن اشتركوا فى ثورة سنة ١٩٥٢ ذهبت للتناول فى كنيسة القديسة الشهيدة بربارة بمصر العتيقة . وكان أبونا داود مرقس يؤدى الشعائر القدسية هناك . وكانت زوجة الضابط المذكور تلبس ثوباً غير لائق بالكنيسة إطلاقاً ، كما كان وجهها مزيّنا بالمساحيق بطريقة صارخة ! فرفض أبونا أن يعطيها السر المقدس . وعرف الضابط لساعته . فلم يحتشم أمام سر الأسرار وقال لأبينا بصوت مسموع : « ألا تعرف من أنا ؟! أنا فلان وأعمل بمكتب قائد الثورة » . فلم يجبه الكاهن الوقور بكلمة . ولما انتهت الصلوات سأله الضابط : « لماذا لم تردّ علىّ ؟ » أجابه : « لأنى كنت أمام ملك الملوك ورب الأرباب ، خالقك وخالق رئيس مجلس قيادة الثورة » . **على أن الضابط لم يتّعظ بهذه الإجابة ، فذهب بعد أيام هو وزوجته وشكا الكاهن الحريص للأنبا يوساب . قال قداسة البابا : « إن أبانا داود طقسى للغاية وهو أيضا مؤدب للغاية . فهل ذهبت زوجتك بمثل هذه الملابس وهذا التبرج ؟ » وبدلاً من الإجابة قال الضابط : « وفيها إيه ؟! » واستكمل البابا الجليل : « إن الحق كله مع أبينا داود . ألست على وعى بأننا نتناول الجسد المقدس والدم الزكى اللذين لمن ارتضى أن يعلقوه على الصليب محبةً فينا ؟ ألا تسمع كلمات القداس الإلهى أن الشيروبيم والسيرافيم والملائكة يغطون وجوهم من بهاء عظمته ؟ ولو أن زوجتك تيسر لها أن تزور ملكا أرضيا فهل كانت ستقابله بمثل هذه الملابس ؟ أو ماكان المسئولون عن البروتوكول فى القصر يمنعونها من الدخول ؟ فهل نحترم ملكاً أرضياً أكثر مما نحترم ربنا وإلهنا ومخلصنا له المجد ؟ ألم يترامَ إلى أسماعك أن البارزات فى مجتمعنا القبطى ، فى العصور المختلفة ، لم يكتفين بملابس الحشمة فقط بل كن يخلعن مجوهراتهن أيضا ويذهبن إلى بيت الله فى احتشام وتواضع ؟ إن القمص داود على يقين بجلال السر الأقدس فلم يكن ممكنا له أن يقدّم سر الأسرار لزوجتك وهى على هذا الشكل »** .

وأمام هذه الغيرة البابوية على قدسية السر صمت الضابط وزوجته . أليس جديراً بنا أن نتأمل بدورنا هذا الدرس بدقة وهدوء فنراعيه بالكرامة اللائقة به ؟ ويستتبع هذا الدرس درسٌ آخر هو أن تراعى كل أم ملابس طفلتها لأن من شبّ على شىء شاب عليه . وما ينطبق على مراعاة كرامة الكنيسة ينطبق على مراعاة كرامة الأديرة تماما .

البابا كيرلس السادس : ومرّت الأيام . ووصل الراهب المتوحد إلى السدة المرقسية يوم ١٠ مايو سنة ١٩٥٩ (٢ بشنس سنة ١٦٧٥ش) . وقد أثبتت الأيام مدى الاستقرار الروحى الذى يملأ

قلوب الشعب حين يتولّى راهب (بل متوحد) كرسى الكاروز العظيم مارمرقس البشير . ومع وصوله إلى هذه الكرامة العظمى فقد احتفظ بصداقته المتينة لأبينا داود إلى حد أنه كان من الشائع أنه اتخذه أباً لاعترافه(١) . وهو الذى قام بالفعل برسامة ميخائيل داود قمصا بالاسم عينه على كنيسة السيدة العذراء بروض الفرج (بالقاهرة) .

انتقال القمص داود إلى الأخدار السماوية : وكان بالدار البابوية مكتب للخدمة الاجتماعية وفقا للتقاليد القبطية العريقة . وقد ظل هذا المكتب تحت رياسة ميخائيل داود إلى أن نال كرامة الكهنوت . ورتّب المسئولون عن هذا المكتب رحلة إلى دير مارمينا يوم ٥ مايو سنة ١٩٧٠م (برمودة سنة ١٦٨٦ش) تحت رياسة رئيسهم السابق . فصمم القمص داود مرقس على أن يصحب الزائرين للدير يومذاك . وحاول بعض أحبائه ، وعلى رأسهم ابنه القمص ميخائيل ، أن يمنعوه بحجة أن الرحلة طويلة وشاقّة . فقال لابنه : « إن لم أذهب معك ستندم طول حياتك » .

وفى الدير اختلى بقداسة البابا كيرلس لفترة طويلة . وقبل أن يتهيأ للعودة قابل البابا الوقور مرة ثانية ومعه ابنه القمص ميخائيل الذى سمع الحديث التالى : قال القمص الرصين لباباه : « **أنا مسافر عايز منى حاجة ؟** » **أجابه صاحب القداسة :** « **وأنا مسافر بعدك بشوية . صلى لى** » .

وواضح من هذه الجملة أن الله قد كشف للقمص داود عن موعد انتقاله ، فمهّد لهذه الرحلة المباركة لأولاده . فقد حدث أن ذهب القمص ميخائيل لزيارة أبيه يوم ثلاثاء البسخة السابق على نياحته ، فقال له أبوه : « إخوتى وحبايبى سيعيّدون للسيد المسيح وأنا هنا » . ثم قام وسلّم له صدرية سوداء للجمعة العظيمة ، فقال له : « لا يابابا إلبسها أنت يوم الجمعة الكبيرة » . أجابه : « لن تلزمنى بعد الآن » . ولما تركها ابنه عند خروجه ناداه من أعلا سلّم الدار وأعطاها له وهو يقول . « هى لك فخذها » .

وفى أثناء عودتهم من دير مارمينا طلب أن ينزل إلى استراحة مديرية التحرير مستصحباً ابنه القمص ميخائيل . ولما نزل لم يأكل شيئا ولم يشرب شيئا لأنه استهدف الاختلاء بابنه ليقول له : « أنا سأترك لكم أشياء مادية قليلة . وزعها على إخوتك بالتساوى بين البنين والبنات » . قال له ابنه : « ربنا يطوّل فى عمرك ووزع أنت » . أجابه : « لا أنت الذى ستوزع » .

ولم يكن به أى مرض ، بل إنه قصد إلى زيارة القس مينا الجاولى شريكه فى رعاية شعب كنيسة السيدة العذراء بالفجالة بعد عودته من الرحلة ليستفسر عن صحته إذ كان متوعّكا . كذلك أوصى بتوصيل مبلغ من المال فى اليوم التالى لقريب مريض . وحينما حاول أولاده أن يستمهلوه أصرّ على

(١) هنا يجب أن نذكر أن القانون الكنسى الأصيل ، لكونه لا يعتبر إنسانا معصوما ولو كان أثناسيوس الرسولى ، يقرر أن البابا نفسه يجب أن يكون له أبو اعتراف .

أن يصل هذا المبلغ إلى قريبهم الملازم الفراش يوم ٦ مايو سنة ١٩٧٠ .

ثم ترك أرضنا هذه فى رحلته المباركة إلى الأبدية فجر الخميس (خميس العهد) الموافق ٧ مايو سنة ١٩٧٠ (٢٩ برمودة سنة ١٦٨٦ش) عن ثمانى وسبعين عاماً ، قضى ثلاثة وخمسين منها فى خدمة المذبح المقدس — فى يقظة وسهر وفى رعاية حانية . وكل الذين عرفوه وجدوا فيه نموذجاً حيّا للكاهن الذى تحققت فيه كلمات بولس الرسول : « لى الحياة هى المسيح »[1]

و« الشوية » التى ذكرها قداسة البابا كيرلس السادس مدتها عشرة شهور وثلاثة أيام .

٥٣ — القمص بسطس مرقس

هو الابن الثانى للقمص مرقس حناوى الذى لمحبته فى الملك المسيح لم يكتفِ بتقديم بكره لخدمة المذبح المقدس بل قدم ابنه الثانى أيضاً للخدمة عينها . وقد ولد ابنه فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٠٣ (بابة سنة ١٦١٩ ش) فدعاه بسطس (ومعناه نصيف) . فلما انتهى من دراسته بمختلف مراحلها دخل الإكليريكية متتبّعا خطوات أخيه . فلما نال دبلومها وعاد إلى بلده رأى الصوامعيون أن يزكّوه كاهناً على كنيسة الملاك ميخائيل التى كان أبوه أحد مشيّديها — فتمّت رسامته سنة ١٩٣٥ م (سنة ١٦٥١ ش) . وكان قد خدم بضع سنوات فى سمنود التابعة لإيبارشية المنصورة . وخلال خدمته ، وتحت رعاية مطرانها الجليل الأنبا ثيموثيؤس[2] جدد كنيسة الشهيد أبانوب[3] . **ولقد منحه الآب السماوى أن يرى هذا الشهيد بعينيه فى سماء كنيسته** . وبعد فترة من الخدمة تمّ التفاهم بين الأنبا تيموثيئوس والأنبا ياكوبوس مطران القدس[4] على انتداب القمص بسطس للخدمة بالقنطرة (شرق) ، وهى تابعة للكرسى الأورشليمى .

ثم عاد إلى الصوامعة . وما كاد يستقّر بها حتى داهمه انتقال زوجته الفضلى إلى الفردوس . فعاش بقية حياته فى شبه عزلة وفى تبتّل وصَلوات وأصوام وأسهار ، وفى رضى صموت وفى شكر بلا انقطاع .

---

(١) غلاطية ٢٠:٢ ، عن ملّخص كتبه القمص ميخائيل داود يوم ٢٩ مايو سنة ١٩٨٧م الموافق ٢١ بشنس سنة ١٧٠٣ش ، ويلاحظ أنه يوم تذكار السيدة العذراء ككلبوم ٢١ من الشهر القبطى .

(٢) كان الأنبا ثيموثيئوس وقوراً مهيباً ، ذا وجه يسطع بالنور السماوى وعينين بّراقتين ، ولحية تذكّر كل من يراها بقول المرنّم : « مثل اللحية لحية هرون المنازلة على جيب قميصه » (مزمور ١٣٢ فى صلاة النوم بالأجنبية) وفى الانتخابات التى فاز فيها أنبا مكاريوس الثالث كان راهباً أنطونيا مرشّحاً للكرسى البابوى .

(٣) نال هذا البطل الباسل أكليل الشهادة وعمره اثنى عشرة سنة .

(٤) راجع ما جاء عنه فى جـ ٦ ف ١٢٥ « عمل مكلّف » ، ص ١٤٧-١٥٦

وفى أثناء خدمته بكنيسة الملاك ميخائيل ، وهبه الآب الرحيم أن يُختطَف بالروح ، وكان ذلك أثناء صلوات البسخة المقدسة : فرأى ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر[1] ولقد شهد جميع الحاضرين فى الكنيسة هذا الاختطاف المذهل .

ولقد عرف بالروح موعد انتقاله فتوقّعه بفرح هاتفاً : « لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ، ذلك أفضل »[2] . وفى ٢٣ مارس سنة ١٩٦٧ م (١٤ برمهات سنة ١٦٨٣ ش) استودع روحه الطاهرة فى يدى الآب السماوى عن أربع وستين سنة قضى ما يقرب من ثلاثين منها فى الخدمة وفى العمل البنّاء . ولما سمع الأنبامرقس مطران طهطا وطما وأبو تيج الخبر بكى عليه . ثم حضر بنفسه إلى الصوامعه وأدّى شعائر التجنيز وقال بعدها كلمة مليئة بالإعزاز اختتمها بقوله : « لقد خسرته الكنيسة المجاهدة وربحته الكنيسة المنتصرة ، فحياته كلها كانت صلاة . ومن هنا نتيقّن من أنه يصلى الآن أمام عرش النعمة مع الأربعة والعشرين قسيساً من أجل الكنيسة قاطبةً ومن أجل شعبه الصوامعى على وجه الخصوص »[3] .

٥٤ ــ القمص ميخائيل إبراهيم

مقدمة : ما أعجب ما هتف به أشعياء النبى عن رعاية الله ومراحمه ! وما أجمل أن نرى تحقيق هذه الهتافات فى أيامنا وأمام عيوننا ! نراها ساطعةً فى كنيستنا المحبوبة فى شاملها كما وضحت فى تجلّى السيدة العذراء مرتين خلال عشرين سنة ، ونراها فى القديسين الذين زيّنوا عصرنا : إنهم يثبتون لنا إثباتاً قاطعاً سهر الآب السماوى على كنيسته المصرية . ومن بدائع هتافات أشعياء قوله : « لتشدُ الجبال بالترنّم لأن الرب قد عزّى شعبه » ، « هوذا على كفّى نقشتك ... »[4] ، ثم يبيّن فرج طالبى الرب قائلاً : « يترنّمون معاً لأنهم يبصرون عينا لعين » أشعياء ٥٢ : ٨

عجب الرعاية ــ ومع ما فى تجلّى السيدة العذراء من روعة ملأت القلوب نشوة إلا أنه حدث يروح ويغدو ، لذلك ضاعفه رب الكنيسة بمن أرسل من قديسين معاصرين . ومن أقوى هؤلاء القديسين أثراً فى النفوس والقلوب والقمص ميخائيل إبراهيم . وبما أن قداسة البابا شنودة الثالث ، أطال الله عمره ، قد وضع كتاباً يتضمن سيرته العجيبة فيكفى هنا تسجيل تعليق ورد عنه من أحد أولاده الأوفياء رفض أن يذكر اسمه ، قال :

---

(١) ١ كورنثوس ٢:٩

(٢) فيلبى ١ : ٢٣

(٣) عن نشرة فى صفحة واحدة أصدرتها كنيسة الملاك ميخائيل بالصوامعة (غرب) فى يوم الأربعين لذكراه .

(٤) أشعياء ٤٩ : ١٣ و ١٦

« اهتزت الأرض أسى » ولوعة لفقدها بركة عظيمة وركنا هاما . بينما تهللت السماء فرحاً ورنّم جمهور المفديين باستقبالهم قديس القرن العشرين » .

« لست أذكر كثيراً عن نشأته وتربيته الأولى ، وأسرته ولكنى عرفته كاهناً . أباً وقوراً قديساً .
« إذا رفع يديه للصلاة ترى ملاكاً من نور يسبّح مجاهداً يصارع مع الله ويغلب ، ويختلف معك
« الأمر كثيراً : هل أنت فى السماء أم أن الأرض تحوّلت إلى عرش تسبيح ومجد وبهاء!! » « تسمع عظته البسيطة فى كلماتها ، البعيدة عن الأساليب الجوفاء والتجويد اللغوى لكنها تنفذ إلى قلبك لأنها نابعة فعلاً من قلبٍ مفعم حباً : قلب هو هيكل طاهر للروح القدس .
« تتقدم إليه معترفاً بزلاتك وخطاياك ونجاساتك فتنال حلاً وبرئاً وسلاماً ، بل وسعادة القديسين . وتجد قلباً مفتوحاً وصدراً متّسعاً يسمع منك ويحنو عليك يربت على كتفك بأبُوة لا يُعبَّر عنها .

« تحدثه . فيُفتضَح كبرياؤك وتصغر نفسك أمام حكمة الروح المتكلم بلسانه .
« تراه فيخشع قلبك إجلالاً ووقاراً وهيبة ..
« وتسمع منه كل يوم الكثير والكثير ...
« تألم مجرَّباً وكان يعزّى من يطلب منه العزاء . ولسان حاله يقول : أما أنا فذاهب إليهم وهم لا يعودون بعد ..

ولست أنسى كلماته العجيبة حقاً يوم قيل له إن أحد اللصوص سرق سجّاد الكنيسة والكل يتهامسون ماذا نصنع بالسارق ؟ وكيف نؤدبه ؟ أما هو ففى بساطة وحكمة ، فى محبة ووداعة جمّة قال : دعوه يمضى . لا تؤذوه ولا تتعرّضوا له . إنسان محتاج إلى شيء فأخذه من بيت أبيه . دعوه هو وأباه أحراراً فيما لهم !»

وتعوزنا كتب لنسطّر عجائب قديسنا الذى احتفلت به الكنيسة المنتصرة فى السماء بين أحضان القديسين .

ورقد أبونا القديس العظيم القمص ميخائيل إبراهيم فى الرب . بشيخوخة صالحة بعد أن خدم مذبح الرب باجتهاد وإخلاص وأمانة .

فلينيحَ الله نفسه . ويقبل سؤالاته وصلواته عنا . وينفعنا ببركته المقدسة أمين »[1] .

وحياة القمص ميخائيل إبراهيم تتطابق مع قول المرنّم : « طوبى للرجل الذى نصرته من عندك يارب وتب مصاعد فى قلبه فى وادى البكاء[2] . ونسمع خلف هذا التطويب حكمة كاهن فرعونى فى كلماته : « من كان ذا قلب وثيق بالله وقت التجربة فلن تعصف به »[3] . كما ترنّ مع هذه

(١) عن نشرة « الرجاء » الصادرة فى باريس لشهر أبريل سنة ١٩٧٢

(٢) مزمور ٨٣ (فى الأجبية) .

(٣) « لماذا نسينا » للمؤلفة .

الحكمة صلاة فرعونية ذات روعة خاصة يهتف رافعها : « ياالله الواحد — لئن تساقطت النجوم فى ليلة صيف فإن نواميسك الراسخة تسيّر الأجرام السماوية فى دورانها الذى لا يهدأ . يا الله الروح الصافى مالىء الكل الساكن فىّ ، معطينى الإدراك بالذعر من الكذب ، اظهر ذاتك فىّ بوصفك النور حين أفكر والرحمة حين أعمل والصدق حين أتكلم — دائماً الصدق »[1] .

٥٥ — راع مرهف الوعى
القمص قلاديوس جرجس يوسف

مقدمة : من نعمة الله على كنيسته المصرية أنه لا يدعها بلا شاهد : إنه يمنحها قديسين عميقى الروحانية فى كل وقت . وهذه النعمة الإلهية ، بتجلّيها فى القديسين ، تعلن لنا جهاراً بأن عمل الله خلال روحه القدوس مستمر منذ أن حلّ يوم العنصرة إلى الآن (وعلى مدى الدهور) . **وإنما يجب أن ندرك أن حلوله المقدس داخل النفس البشرية الإنسانية وعمله فيها يتمّ فى خفية باطنية** . فقد حلّ لأول مرة فى زوبعة وألسنة نار ليعلن إتمام وعد السيد المسيح لتلاميذه بأنه لن يتركهم يتامى ، وبوصيّته لهم بأن يظلوا فى أورشليم إلى أن يلبسوا قوة من الأعالى . **فهو له المجد لا يقبل الاستعراضية ولا يعمل إلا لهدفه الأعظم الذى هو أن يصل الإنسان إليه — فى هذا العالم — بالإيمان لا بالعيان** إذ نسمعه يقول فى عتاب المحبة : « لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب » ثم يستكمل : « طوبى للذين آمنوا ولم يروا[2] .

وإيماننا به وبوصاياه يتضمّن بالضرورة إيماننا بالعمل الباطنى الذى يشعله الروح القدس فى هدوء انبثاق الشمس ساعة إشراقها . وعلى هذا الأساس نرى فى وقتنا الحاضر عدداً من أصفياء الله يبرهنون لنا بحياتهم أنهم يعيشون السيد المسيح حقيقةً وسط صخب العالم وتيّاراته .

فلنرفع إليه شكرنا وتسبيحنا ضارعين إليه أن يمنحنا النظر فى نهاية سيرتهم والتمثل بهم . وأمامنا الآن سيرة شيخ روحانى عرف روح الرعاية الحقة ومارسها بشجاعة ووفاء .

نشأته : فى ٢٥ مايو سنة ١٨٩٦م (سنة ١٦١٢ش) تفتّحت عينا هذا القديس ببلدة باقور (مركز أبو تيج)[3] . ونستطيع أن نستنتج أنه بدأ دراسته فى الكتّاب شأنه فى ذلك شأن كل بنى القبط قبل أن تحل المدارس الابتدائية محلها . وليس من شك فى أنه كان ذا نزعة روحية أصيلة لأنه ماكاد يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى دخل الاكليريكية التى تخرّج فيها سنة ١٩١٥م (سنة ١٦٣١ش) .

---

(١) عن بردية إيبرز المحفوظة بمكتبة المتحف البريطانى .

(٢) يوحنا ٢٠ : ٢٦-٢٩ .

(٣) يؤسفنى أن كاتب المقال المتضمن سيرته لم يذكر اسمه العلمانى ولم يُشِر إلى أبويه بأية إشارة . وهو فى الوقت عينه لم يوقّع باسمه فلم أتمكن من الرجوع إليه .

رسامته : وفى السنة عينها رسمه الأنبا كيرلس الخامس قمصا على كنيسة السيدة العذراء ببابلون الدَرج (بآخر مصر العتيقة) ، ورسم فى الوقت عينه القمص جرجس بسطوروس كاهنا على كنيسة أبى سرجة (القديسيْن سرجيوس وواخس) . وقد تمّت رسامتهما يوم ٢٦ سبتمبر سنة ١٩١٥م (١٦ توت سنة ١٦٣١ش) بكنيسة السيدة العذراء الشهيرة بالمعلقة .

وجدير بنا أن نعرف أن الكنيسة التى رُسم لها أبونا قلاديوس هى من أقدم الكنائس بمصرنا المحبوبة . ولكن لأن موقعها وسط البيوت فى آخر مصر العتيقة لم تَنَل الاهتمام اللائق بها الذى نالته الكنائس الأخرى فى المنطقة المعروفة بحصن بابلون . وترجع تسميتها (بالدرج) إلى أن الداخل إليها ينزل عدة درجات عن سطح الأرض . وهى صغيرة الحجم نسبيا . **على أن من يقصد إليها يشعر حالما يدخلها بجو من الرهبة والقدسية : رهبة المكان الذى ترددت فيه أنفاس القديسين وارتفعت منه الابتهالات مدى أجيال طويلة** . ولم تشوش صفاء قدسيته وسكونه كثرة توافد السائحين . وهذه الكنيسة ملاصقة لكنيسة زاملتها منذ تشييدها هى كنيسة الشهيديْن أباكير ويوحنا .

ومتى عرفنا أن جد أبينا قلاديوس ــ القمص يوسف جرجس ــ كان قد سبقه فى كونه « ملاك » هذه الكنيسة بعينها ، وأن عمه كان الأنبا أبرآم أسقف البلينا[1] أدركنا **أنه سليل عائلة سرت القداسة مع الدم فى شرايينها** .

والأنبا أبرآم بلغ ذورة القداسة التى بلغها سميّه أسقف الفيوم . وكان قد قضى سنى رهبنته فى دير الأنبا مكارى الكبير ببرية شيهيت . ثم رأى فيه البابا الوقور كيرلس الخامس السِمات الروحية التى تؤهله للكرامة الأسقفية ــ فأقامه راعياً لشعب البلينا .

كهنوته : ولقد شاء الآب السماوى أن يمدّ فى عمر القمص قلاديوس فمكّنه من أن يعاصر ستة من الباباوت المرقسيين هم : الأنبا كيرلس الخامس ، الأنبا يؤنس التاسع عشر ، الأنبا مكاريوس الثالث ، الأنبا يوساب الثانى ، الأنبا كيرلس السادس ، الأنبا شنودة الثالث أطال الله حياته . فهو بهذه العطية الإلهية خدم الكنيسة خمساً وستين سنة .

وفى الفترة ما بين سنة ١٩٣٦ ــ سنة ١٩٤٢ كانت الحرب العالمية الثانية تطحن شباب عدد وفير من البلاد الأوربية . وكان الانجليز مازالوا ذوى سلطة فى مصرنا الحبيبة ، فأمروا بإخلاء المناطق الصحرَاوية المتاخمة لبعض البلاد . وكان القمص مينا المتوحّد (الأنبا كيرلس السادس) يعيش آنذاك فى طاحونة مما تركه المماليك فى جبل المقطم عند مشارف مصر العتيقة ، فأمروه بإخلائها . وتحت

---

(١) هو الأسقف الجليل الذى أقام الصلوات الشعائرية التى جعلت من وديع سعيد الراهب القس داود المقارى الذى وردت سيرته فى جـ ٦ من هذا الكتاب ص ١٠١ - ١١٠ .

ضغط هذا الحكم التعسّفى غادر مقّره المختار ونزل إلى منطقة كنيسة الملاك القبلى **ولكن ما أعجب عمل رب الكنيسة إنه جعل من ظلم الإنسان فرصة مواتية لِيُظهر من خلالها مواهب قديسه الراهب المتوحّد الذى ترك العالم ليعيش معه فى خلوة المحبة** . فبدأ الناس يتعرفون على القمص مينا .

وفى الفترة الأولى لنزوله من الجبل استضافه القمص قلاديوس مايقرب من ثلاث سنوات . ولم يدعه يفارقه إلا بعد ان بنى الناسك المتوحد كنيسة مارمينا فى المنطقة عينها .

عظمة الأبوة الروحية ــ لقد علّم الأنبا باخوم ، أبو الشركة ، بأن المكان لا قيمة له فى النمو الروحى ، فقال لرهبانه : « أنظروا أين كان يهوذا وأين انتهى ، وأين كان لص اليمين وأين انتهى » . **ولقد وَضُحت حقيقة هذا التعلم بصورة قاطعة فى سيرة القمص قلاديوس . فهو كان كاهنا لكنيسة صغيرة بعيدة منزوية ، ومع ذلك فقد اتخذه عدد غير قليل من الأساقفة ومن الكهنة أبا روحيا يعترفون عليه ويستشيرونه فى مختلف أمورهم . كذلك رعى عدداً كبيراً من الرهبان المقيمين حاليا بالأديرة ــ فلم تَعُقْه المسافات ولم يؤخره الضعف الجسمى . ثم إنه كان يقصد إلى بيت مدارس الأحد (٧٠ شارع روض الفرج) ليستمع فى صبر عجيب إلى اعترافات الخدّام والأطفال هناك . وظل على رعايته الحانية حتى فى شيخوخته وفى مرضه** . ولفرط تواضعه ومحبته كانت كنيسته تضيق بالمصلين الآتين إليها من أطراف القاهرة ومن الأقاليم . فحقّ عليهم القول المأثور : « مصر والصعيد ما تبعدش على حبيب » . **لأن أبانا أقلاديوس كان ذا شخصية مغناطيسية . إنه حمل سر السيد المسيح فى داخله ، وبهذا السر الخفى اجتذب النفوس ودفعها إلى المسارعة نحوه مستهينة بالمسافات والمشقّات . وهو بقداسته أثبت عمليا أن عمق الأبوّة الروحية الباطنية ينادى أعماق القلوب فتستجيب له بمحبة وفرح تلقائى .**

وحدث فى سنة ١٩٦٥ أنه أصيب بشلل أقعده عن الخدمة لخمسة شهور ، ظهرت له فى نهايتها السيدة العذراء وأمرته بالنزول إلى الكنيسة (إذ كان يقطن شقة فى أعلاها) ليعاود رفع صلواته فيها . ففى اليوم التالى قام معافى ونفّذ أمر السيدة والدة الإله شاكراً إياها ورافعاً السبح والتمجيد إلى رب الكنيسة الذى أهّله ليعاود خدمته ورعايته .

ثم فى يونيو سنة ١٩٧٩ عاوده المرض . وعلى الرغم من ذلك فقد أدّى صلوات عيد الميلاد المجيد سنة ١٩٨٠ . وداوم على إقامة الصلوات لغاية يوم الجمعة ١٠ أكتوبر من السنة عينها . وكان الأنبا باسيليوس مطران القدس قد أرسل إليه قربانه مستفسراً عن صحته . فتلقّفها واتخذها « حَمَلاً » ، وفى نهاية الصلوات منح الشعب البركة .

وما كاد يصرف الشعب حتى حملوه إلى فراشه وهو فى غيبوبة . **ولكى ندرك مدى تأصّل الصلوات فى أعماقه جدير بنا أن نعرف أنه كان يردد القداس الإلهى حتى فى غيبوبته . فإذا**

ما أدركنا هذا الواقع المذهل أدركنا معه أنه ما من قلم فى إمكانه تقديم صورة وافية لشخصيته . فلقد أودع الله أصفياءه سراً هو سرّه ــ أى أن القديس كتاب مخطوط بأصبع الله . فأين هو الإنسان الذى له أصبع فى مقدوره احتواء ما يكتبه الله ؟!

وفى الساعة السابعة من مساء الثلاثاء ٤ بابه سنة ١٦٩٧ش (١٤ أكتوبر سنة ١٩٨٠م) ، استودع روحه الطاهرة فى يدىّ السيدة العذراء يحيط بها جمهور من الملائكة . فقد كان يدعوها باستمرار مردداً : « وعند مفارقة نفسى من جسدى إحضر عندى ... »[1]. ومن عجب الله فى قديسه أن انجيل القداس يوم نياحته كان : « أنا هو الراعى الصالح ... » . [2]

وتتلخّص حياة أبينا قلاديوس فى أنه كان مثال السهر فى الصلاة والطقس والتعليم الأرثوذكسى الصميم من غير تزمّت وبرحابه صدر . فكان صورة حيّة مقروءة من جميع الناس تمجيد اسم الرب القدوس[3] .

وخير ما نختتم به هذه الحياة الخاشعة الباذلة صلاة مرفوعة إلى السيدة العذراء جاء فيها : أيتها الأم الفريدة : أم الكاهن الأعظم ــ أنت جالسة فى أعلا السموات عن يمين الملك ، ومع تمتّعك المستديم فى المجد الأسنى فأنت لاتكفّين عن النظر إلى الأرض حيث نصارع نحن مع أجناد الشر . وقلبك يهتز حنانا علينا ، ويداك مبسوطتان نحونا كى تغدق علينا نعمة السعى المتواصل . وبأمومتك الرئيفة أشعلى فى قلوبنا التوبة والتواضع . إشفعى فينا باذات الشفاعات . فأنت الشفيع الأكرم عند ابنك يامريم[4] .

٥٦ ــ عود على بدء

إنه من خلال تتبعنا لسيرة القديس الكبير البابا كيرلس السادس ، تم لسيِّرَ « الأقارب » بالروح تيقّنا أنه ليس فى مقدور إنسان أن يفى قديسا حقّه مهما جاهد فى سبيل ذلك . على أن ملحوظة قدس أبينا متى المسكين قد استثارت فى عمقى الرغبة إلى المزيد من الكتابة عن بابانا الجليل الذى أفرحنا رب الكنيسة برعايته لنا . وتجاوبت المراحم الإلهية . اللامدركة فأرشدتنى إلى المعلومات

---

(١) القطعة الثالثة من صلاة الغروب (فى الأجبية) .

(٢) يوحنا ١٠ : ١-١٠ .

(٣) مجلة مدارس الأحد ، نوفمبر ــ ديسمبر سنة ١٩٨٠ ، ص ٢٦-٢٨ .

(٤) « تطلعات نحو السيدة العذراء » للمؤلفة ص ٣٤ .

التالية[١] :

أ ــ **الاكليريكية** : وأول ما يتبادر إلى الذهن مدى **عنايته بالاكليريكية لأنه كان مقتنعاً بأنها ليست مدرسة ولا معهداً إنما هى مركز إشعاع** : إنها النبع الذى يستقى منه الآباء وبدورهم يسقون أولادهم التعاليم الأرثوذكسية الصميمة . وبهذا اليقين ذهب ذات مساء إلى أرض الأنبا رويس[٢] مستصحباً عدداً من الكهنة والشمامسة ومهندساً[٣] ؛ وتبعهم جمهور من الشعب . فخطط المهندس فى الركن الشرقى البحرى من الأرض ما سيكون الترتيب الهندسى للكلية الاكليريكية . ثم صلى قداسته الصلوات المناسبة إلى جانب التسبحة وصلاة الغروب . وبعدها صلى على إبريق ملىء بالماء رشّه على كل أركان هذا التخطيط وكان ذلك صيف سنة ١٩٦٢م (سنة ١٦٧٨ش) . وكأنه كان وقتذاك يردد فى أعماقه : « مادام هناك رجال جاهدوا وتعبوا وصلوا وابتهلوا وصمموا على أن تبقى الشعلة متّقدة ، وماداموا أحياء فينا تسرى دماؤهم فى شراييننا فلن يمكننا أن نتخلّى ولا أن نضعف ــ بل بالحرى ننظر إلى نهاية إيمانهم ونتمثل بهم » .

وهكذا شيّد البابا كيرلس الخامس مبنى الكلية الاكليريكية بالشرابية سنة ١٨٩٣م (سنة ١٦٠٩ش) ، ثم جاء البابا كيرلس السادس وشيّد لها صرحاً جديداً فوق أرض الأنبا رويس . وبعدها بستة سنوات ارتفعت منارة الكاتدرائية المرقسية عاليةً نحو السماء قبلى هذه الاكليريكية التى تحمل اسم مشيّدها العظيم .

على أنه ، قبل بناء الاكليريكية ، ومن السنة الأولى لباباويته المضيئة نهج على الاحتفاء بيوم الاكليريكية : فكان يستقبل مديرها ومعلميها فى بداية العام الدراسى ليمنحهم بركته الرسولية وتوجيهاته الأبوية . ثم إنه حين كان المسئولون عن الكلية يحتفلون بذكرى تأسيسها أو بيوبيل لها ــ كان يبارك هذه الاحتفالات والقائمين بها ويشجعهم ويعضّدهم .

وخير معبّر عن تقديره للاكليريكيين الكلمة التالية الموجّهة إليهم : « **إن آباءكم المصريين القدماء هم أول من آمن بوجوب تثقيف رجال الدين وإعدادهم لرسالتهم الجليلة فى مدرسة خاصة بهم ؛ وأقدم هذه المدارس مدرسة « أون »**[٤] . ولم تقتصر دراستهم على العلوم الدينية بل شملت أيضا الفلسفة الروحانية والطب والتحنيط والحساب والفلك والهندسة والموسيقى » .

---

(١) أرجو من محبّى قداسته أن يستكملوا نقصى نشر ما يعرفونه عنه.

(٢) راجع ما جاء عن هذه الأرض فى: «قصة حبيب المصرى»، للمؤلفة، ص ٢٣٨ – ٢٤١، و حـ ٣ من هذا الكتاب.

(٣) يؤسفنى عدم توصلى إلى معرفة اسمه.

(٤) هى «عين شمس» حاليا. ولأن المصريين كانوا يتطلعون نحوها كما كان اليهود يتطلعون بعد ذلك إلى أورشليم، فإن الفُرس (الإيرانيين) حينما غزوا مصر، دكوا المدينة كلها دكًا سوّاها بالأرض ! انظر ما جاء عن التعاليم الفرعونية الروحية فى: «لماذا نسينا» و «وقائع أعجب من الخيال»، للمؤلفة، نشرتهما مكتبة المحبة.

« واذكروا أيضا أن آباءكم هم الذين أنشاوا المدرسة الاسكندرية وساروا فيها على خطة سابقيهم فى مواضيع الدراسة . ثم حين استبد الحكم البيزنطى وأغلق هذه المدرسة العظمى **حمل الرهبان الشعلة من بعدهم . فقضوا الليالى يكتبون على ضوء شمعة خافتة كادت أن تفقدهم بصرهم لينيروا العالم بنور المعرفة الخارجة من جوف الصحراء الجرداء**[1] » .

« **فسيروا يا أولادى فى طريق العلم المقترن بالعمق الدينى لتسطع بكم الكنيسة ويتمجد** ، ، **فيكم** » . ولهذاالتقدير كان يحرص قداستة على اختيار خريجيها للكهنوت إذ كان أول سؤال نقيه عن المرشَّح لهذه الكرامة هو عمّا إذا كان قد أتمّ دراسته فى الاكليريكية .

(ب) ويكون الجميع متعلمين من الله لم تقلّ عناية البابا الكبير بالمعهد العالى للدراسات القبطية عن عنايته بالكلية الإكليريكية . وهنا يجدر التفطّن إلى هذه العناية الكيرلسية بمعاهد العلم : لقد كان راهباً ، بل متوحّداً ، أوصله رب الكنيسة إلى قيادتها ، فكان رُبّاناً ماهراً مستلهماً الروح القدس فى كل تصرفاته . إذن فليست الشهادات الجامعية ولا الاختبارات الاجتماعية « مع أهميتها » ، بالمطلب الأول للرياسة الروحية . لقد تعلّم الأنبا كيرلس السادس فى المدرسة التى تعلّم فيها الرسل الأطهار لذلك سلك مسلكهم : مصلياً طالباً الإلهام من الروح القدس ، ثم معلماً ومرشداً وهادياً لشعب السيد المسيح . ولا ننسى أنه ، خلال السنوات الخمس والتى قضاها بدير البرموس ، كان يكتب بيده مجلة « ميناء الخلاص » ، ثم عاود إصدارها حين عاش بكنيسة مارمينا التى ابتناها فى آخر مصر العتيقة . وفى هذا الولع بالكتابة وبالكتب تشابه الكيرلسان الخامس والسادس .

ولعناية قداسته بالمعهد العالى للدراسات القبطية كان يستقبل هيئة التدريس به عند افتتاح كل عام دراسى ليمنحهم بركته الرسولية وتوجهاته الأبوية . وقد سبق القول أن قداسته قد أناب عنه أبنايؤنس مطران الخرطوم ليفتتح المعرض الأول للكتاب القبطى الذى دعت إليه جمعية الإيمان وأقيم بالمعهد فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٦٠ (١٦ بابة سنة ١٦٧٦ ش) . وبعد الصلاة وتبادل الكلمات التى عبّروا فيها عند فرحتهم الكبرى بالمعهد وعن رجائهم بمضاعفة الجهود الفكرية وذلك بتشجيع كل من يكتبون فى مختلف المجالات فى مجتمعنا المصرى عامةً ، أعرب د. سليمان نسيم عن أمله فى إنشاء دار للطبع والنشر تابعة للباباوية وبالفعل حقق البابا الوقور هذا الرجاء بإقامة مبنى خاص للمطبعة التى كانت أهدتها إليه كنيسة فيينا . على أن الأجل لم يطل به ليراها تشتغل فحقق قداسة البابا شنودة الثالث (أمدّ الله فى عمره) هذه الرغبة الأبوية ، ومذاك تشتغل المطبعة بزيادة مطّردة .

---

(١) أوردت هذه الجملة الأخيرة السيدة عفاف سلامة عوض فى رسالة لها عن الأنبا شنودة رئيس المتوحدين . وهذه السيدة هى حفيدة القمص سلامة الذى استُشهد مع البابا كيرلس الرابع .

وفى هذا الصدد يتشابه الكيرلسان الرابع والسادس : فالانبا كيرلس الرابع[1] استحضر مطبعة من النمسا وتهلل لوصولها ، ولكنه انتقل إلى الاخدار السماوية قبل أن يرى ثمرة تشغيلها . وهذا هو بالضبط ما حدث للانبا كيرلس السادس فقد وصلت المطبعة ، وأقيمت لها دار خاصة ، ولكن الآب السماوى شاء أن ينقل هذا القديس العظيم إلى فردوسه قبل بداية العمل بها . **وفى هذا يتحقق القول المأثور : إن الله يدفن أصفياءه ولكنه يستكمل عملهم خلال غيرهم ــ وهكذا يتتابع الركب**[2] .

٥٧ ــ مؤتمر الكنائس الأرثوذكسية القديمة غير الخلقدونية والكنائس المعروفة بالأرثوذكسة الخلقيدونية

إن كل من طالع تاريخ الكنيسة القبطية يعرف أن الكنيسة ــ ككل ظلّت « واحدة وحيدة » منذ نشأتها وإلى عام سنة ٤٥١ م ــ إذ كانت تجمعها العقيدة الواحدة . ولكن فى تلك السنة انعقد المجمع المعروف بمجمع خلقيدون ، وفيه تكتّلت إمبراطورة القسطنطينية وامبراطورها مع لاون أسقف رومية . ولقد وصلوا بهذا التكتّل إلى شقّ الكنيسة شِقيّن : الشِق الخليقدونى المتضّمن لكنيستىّ القسطنطينية وروميه وتوابعهما ، والشِق اللا خلقيدونى ــ ويجمع كل الكنائس الأفرو ــ أسيوية . ولقد قال هارناك اللاهوتى الألمانى البروتستانتى عن هذا المجمع بأن الكنيسة دفعت ثمناً فادحاً نتيجة للتكتل القسطنطينى الرومانى[3] .

وبعد انفصال دام خمسة عشر قرناً رأى المسئولون أن يعقدوا مؤتمراً للمحادثات والمشاورات معاً ، وحددوا موعده من ١٦ - ٢١ أغسطس سنة ١٩٧٠ بمدينة جنيفا بسويسرا وما إن وصلت الدعوة إلى البابا كيرلس حتى انتدب الانبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى والتعليم العالى لينوب عنه شخصياً وليمثّل الكنيسة القبطية فى الوقت عينه .

ويقول المندوب الباباوى إن هذا المؤتمر هو الثالث للمحادثات غير الرسمية بين الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة غير الخلقيدونية وبين الكنائس الشرقية الأرثوذكسية المعروفة بالخلقيدونية . فالمؤتمر الأول انعقد فى مدينة أروس بالدنيمرك سنة ١٩٦٤ ، بينما انعقد الثانى فى مدينة بريستول بانجلترا سنة ١٩٦٧ . أما المؤتمر الذى حضره أنبا غريغوريوس فقد اجتمع فيه مندوبون من أربع عشرة كنيسة شرقية لا خلقيدونية وعدد مماثل من مختلَف الدول الأوربية والأمريكية ــ ولو أن الأعضاء الممثّلين للكنائس غير الخلقيدونية كانوا عشرين فى حين أن المندوبين الخلقيدونيين كانوا عشرة فقط .

---

(١) راجع سيرته فى جـ ٤ من هذا الكتاب ص ٣٠٣-٣٤١

(٢) راجع ماورد عن هذه المطبعة فى قصة الأنبا صموئيل (للمؤلفة) ص ٦٧

(٣) راجع تفاصيل ما جرى فى هذا المجمع فى جـ ٢ ، من هذا الكتاب الفصل الأول ص ١٣-٧٩ .

ولقد تحدث الأعضاء عن المشاكل اللاهوتية والتاريخية والكنسية من غير تهوين ولا افتعال ولا تجاهل للحقائق المريرة . ثم تناقشوا بعد ذلك فى إمكانية التفاهم ومدى التغلب على أسباب الخلاف . ومع أن نتيجة هذه المباحثات ملأت القلوب تفاؤلاً ، إلا أن الصعوبات ما زالت تسد الطريق .

والملخص لنتائج المؤتمر هو أنه على الرغم من الانفصال الذى حدث منذ القرن الخامس ، فالفريقان ، مع ذلك ، متفقان على جوهر العقيدة الأرثوذكسية فيما يختصّ بلاهوت السيد المسيح للشروح اللاهوتية الإيمانية التى قدمها البابا كيرلس الأول عامود الدين[١] ، بطل مجمع أفسس المسكونى الثالث . وكلهم يتّخذونه أباً ومعلماً للإيمان يلتقون عنده وإليه يحتكمون وإن كانوا يختلفون فى التعبير عنه فى المصطلحات التى يستخدمونها لشرح هذا الإيمان الواحد .

وقد وضح لأعضاء المؤتمر أن التفاهم مع الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية لا يقوم على مجرد الاتفاق فى جوهر العقيدة بل يشمل أيضاً تزاورهم واطلاعهم على طقوس بعضهم البعض .

وفى ختام مباحثاتهم أعلن جميع المندوبين بأنهم سيداومون على الصلاة ليواصل الروح القدس عمله فيهم : فيقرّب بين القلوب ويصفّى النفوس ليكتشفوا وحدتهم فى جسد السيد المسيح . واختتموا هذا الإعلان بقولهم : « ولنا ملء الرجاء فى الرب أن يمنحنا الوحدة التامة حتى يمكننا يوماً ما أن نجتمع معاً على مائدته لتناول سر الأفخارستيا سوياً ــ فهذه هى أمنيّتنا الحقيقية[٢] .

٥٨ ــ مؤتمر الأديان الحية

إن إطلاق تسمية الأديان الحية على أديان معيّنة دون غيرها هو تجنّ على الواقع . لأن أى دين يتعلّق به معتنقوه ويشغفون بممارسته دين حى بالنسبة لهم . وقد يكون معتنقى دين سماوى متكاسلين عنه متخاذلين فى ممارسته ، فهو والحالة هذه ، وعلى الرغم من مصدره السماوى دين غير حى بالنسبة لهم . فالدين ليس نظريات فلسفية أو علمية يكفى الإنسان أن يتأملها سلبياً ، إنما الدين هو حياة وبالدين المسيحى بالنسبة للغيورين من معتنقيه هو تواصل مباشر مع السيد المسيح .

على أن مجلس الكنائس العالمى رأى أن يدعو إلى مؤتمر فى بيروت (بلبنان) من ١٦ــ١٥ مارس سنة ١٩٧٠ أطلق عليه اسم « مؤتمر الأديان الحية » وبالنظرة المسكونية الوسيعة التى للبابا كيرلس السادس انتدب أنبا غريغوريوس نائباً عنه وممثلاً للكنيسة القبطية فى آن واحد ليحضر هذا المؤتمر .

---

(١) راجع سيرته فى جـ ١ من هذا الكتاب ص ٣٨٧-٤٣١

(٢) مجلة مدارس الأحد العددان التاسع والعاشر ، هاتور ــ كيهك سنة ١٦٨٧ ش (نوفمبر ــ ديسمبر سنة ١٩٧٠) ، ص ٥-١٢ .

فلما عاد الأسقف الجليل إلى مصره الحبيبة ، رفع تقريراً مفصلاً إلى البابا الوقور الذى أوفده .
وهاكم ملّخص لهذا التقرير : وجهت الدعوة إلى خمسة وثلاثين عالماً من المتخصصين البارزين فى المسيحية والإسلام والهندوسية والبوذية . والواضح من هذه الدعوة أنها لم تقتصر على الأديان السماوية ، بل وإن دينا سماوياً (هو اليهودى) لم يدخل فى نطاق الدعوة ، لأن مندوبى الكنيسة القبطية كانوا يصرّون على عدم حضور مؤتمر يدخل الإسرائيليون ضمن أعضائه . وهذا الموقف هو بعينه موقف كل مندوبى الشرق الأوسط مسيحيين ومسلمين .

ولقد مثل الأعضاء المتخصصون مصر ولبنان والجزائر وإيران والهند وسيلان وأندونيسيا وتايلان وسنغافورة واليابان ، والفاتيكان ، وإيطاليا وفرنسا وانجلترا وألمانيا والولايات المتحدة وكندا ويلاحظ أن البلاد الشرقية أكثر عدداً من الغربية وأن الفاتيكان معتبَر دولة قائمة بذاتها .

وقد وجهّ المسئولون عن عقد هذا المؤتمر دعوة رسمية خاصة إلى قداسة البابا كيرلس السادس ودعوة مماثلة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر . وقد مثّل الأعضاء المسيحيون الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانية . وكذلك ناب المسلمون عن مختلف المذاهب . وبالمثل الهندوسيون والبوذيون .

الهدف من المؤتمر – إقامة الحوار بين معتنقى الديانات المختلفة لإيجاد جو من التآلف والتفاهم بدلاً من الأحقاد والضغائن ، وبخاصة لأن الشيوعية والإلحادية والوجودية وما شاكلها هى خصم لجميع الأديان على السواء . وليس من شك فى أنه متى تقارب المؤمنون بالديانات المختلفة سيسود السلام . لأن الدين فى جوهره ، على اختلاف أنواعه ، ينادى بالألفة بين الناس . ولكنهم اتخذوا منه تكئة للتحارب والتعارك حتى بين المؤمنين بدين واحداً .

ولقد اتّسم الحوار بروح سامية متزنة خالية من أية كلمة جارحة أو مهينة . بل إن كل الحاضرين احترموا بعضهم البعض ، وأصغوا إلى وجهات النظر المتباينة فى هدوء على الرغم مما فى مثل هذا الحوار من شدة ووضوح . وكانوا يجتمعون من الثامنة صباحاً إلى العاشرة مساء بالإضافة إلى ما كان يقوم به الواحد منهم من عمل خاص فى غرفته .

ونتيجة لهذه الأيام العشرة توثّقت المحبة بينهم فخرجوا أصدقاء متآلفين[1] .

---

(١) مجلة مدارس أحد العددان الثالث والرابع ، برمهات — برمودة سنة ١٦٨٦ (مارس — أبريل سنة ١٩٧٠) ص ١٩–٢٣

٥٩ ــ حوار أرثوذكسى كاثوليكى

ومن أبرز الظواهر فى هذه الفترة الحوار فيما بين اللاهوتيين الأرثوذكسى الشرقيين غير الخلقيدونيين وبين الكاثوليك (وهم خلقيدونيون) . وأول مؤتمر انعقد لهذا الحوار كان فى ڤيينا (عاصمة النمسا) من ٧ ــ ١٢ سبتمبر سنة ١٩٧١ بناءً على دعوة من رئيس كنيستها الكاردينال كوينج ، وللمرة الثالثة انتدب البابا الوقور الأنبا غريغوريوس لحضوره . فبعد انقضاء ١٥٢٠ سنة عن الانفصال تلاقى مندوبون عن الكنائس التى باعدت بينها الخلافات على أساس إيمانهم بالسيد المسيح الواحد ، فأعلنوا بالإجماع أن سرّ السيد المسيح لا منطوق به وغير مفحوص : فهو ليس مؤسس المسيحية فقط ، ولا هو مانح الكنيسة أن تحمل رسالته وحسب ، بل هو الله الحى وجوهر النعمة داخل كنيسته أيضاً . ومهما حاول العقل البشرى أن يسبر غور سر السيد المسيح فلن يصل إلى هدفه فى هذا العالم . لهذا وجب أن لا نكفّ مطلقاً عن الالتقاء ببعضنا البعض لعلنا نصل إلى وعى أعمق بفادينا الحبيب . ولن يمكننا أن نتواصل إلا بالمحبة والصبر واليقظة الروحية .

وإذا ما رجعنا إلى البابا كيرلس عامود الدين نجده يؤكد لنا ثلاثة تعاليم : ١ ــ إنه بوحدة اللاهوت والناسوت فى السيد المسيح يظل الاثنان واقعاً حقيقياً ديناميكياً ، ٢ ــ فى هذه الوحدة ليس هناك اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ، ٣ ــ إن الطبيعتيْن : اللاهوتية والناسوتية ــ لا انفكاك فى وحدتهما إلى حد أن الواحدة لا كيان لها بغير الأخرى ــ لذلك فمريم العذراء هى « الثيئوتوكس » والدة الإله . فذاك الذى هو الله الكامل قبل كل الدهور هو بعينه الإنسان الكامل الذى تأنس لأجل خلاصنا .

وبعد هذا الاتفاق الجماعى ، قال **الأستاذ د. ويلهلم دى ڤرايز الكاثوليكى الجزويتى** : « إن الأسباب لفشل مجمع خلقيدون ترجع أولاً إلى كيفية تصرّف غالبية أعضائه . ففيه لم يقم أى حوار ، ولم تَدُرْ أية مناقشة بين الأعضاء المتخاصمين . فمن الظاهر بدا أن الموضوع المراد مناقشته لم يكن واضحاً تماماً . أما فى الواقع فكان الهدف المرغوب فيه محدداً سابقاً . كذلك أراد الامبراطور أن يحافظ على شكلية حرية النقاش . وحتى من خلال هذه الشكلية وضحت المقاومة لتعليم لاون بعنف فى الجلسة الخامسة . ومارس مندوبو الامبراطور سلطانهم فضغطوا بكل قوتهم للسيطرة على هذه المقاومة . ووضح أيضاً أن عددا وفيراً من الآباء وجدوا التعاليم النسطورية صريحة فى طومس لاون .

ويجب أن نعترف أن مجمع خلقيدون خيّب الآمال التى كانت معقودة عليه . فهو لم يفشل فقط فى إقرار السلام بل لقد تسببَ أيضاً فى إحداث الفُرقة فى صفوف الكنيسة الواحدة . ومن المؤسف أن هذه الفُرقة التى أحدثها ما زالت باقية إلى الآن[١] .

(١) من المفرح أن هذا البّحاثة الذى ينتمى إلى كنيسة خلقيدونية يقول ما قالته كنيستنا المحبوبة وأخواتها الشرقيات عن هذا المجمع منذ أكثر من خمسة عشر قرناً .

ثم تحدّث الأسقف تيران نيرسويان (أسقف الأرمن الأرثوذكس بنيويورك) ، ومما قاله : « إننا حينما نردد قانون الإيمان النيقاوى نرفع ولاءنا ضمنا للآباء الذين وضعوه . وحينما نرى كنائسنا مزدانة بالأيقونات وغيرها من وسائل الفن لبنياننا الروحي فإننا نوافق ضمنا على أعمال أولئك الذين ذادوا عنها . وحينما نترنّم بتماجيد السيدة العذراء نرى فيها والدة الإله الشفيعة المؤتمنة علينا . وحينما نؤكد فى شعائر قداسنا الإلهى ، وفى أسرارنا المقدسة لاهوت السيد المسيح المتحد بنا سوته نراه إنساناً مثلنا ما خلا الخطيئة ونراه فى الوقت عينه الأقنوم الثانى للثالوث الأقدس ، وبالتالى نعبّر عن عقيدتنا بتعاليم أولئك الذين نقضوا البدعتيّن النسطورية والأوطاخية ... وليست هناك أية ابتكارات علمية مهما كانت مذهلة ، وليست هناك أية مهارة عقلية بمستطعة أن تُسكِت صرخة القلب تلهّفاً على الخلاص .. ولقد قال السيد المسيح ، أنا هو الباب والطريق والحياة ... الباب للخلاص وللحيوة الأبدية حيث ينسجم الإنسان ضمن النسيج الإلهى ، ضمن سر السيد المسيح ، فيتحد بالله . فالسيد المسيح هو الدليل الوحيد على الله إنه الدليل على الله الممتد لى أبعد من الله : « لأنكم بدونى لا تستطيعون شيئاً » ، فإن كنا لا نستطيع شيئاً فلن نستطيع أن نعرف شيئاً . ثم إنه علّمنا : « أنا والآب واحد » ــ والمسيحيون يجب أن يقتنعوا كل الاقتناع بقوله هذا كما فعلت الكنيسة على مدى الأجيال . ففى السيد المسيح يتمازج الأبدى بالزمنّى ، ويترابط المحدود باللا محدود ، فنصل إلى الصمت الوقور للقلب .

وبعده ألقى الأب الأستاذ جَوَرجى بالإكليريكية كوثايام(1) الأرثوذكسية كلمة ، وهذا بعض ما قاله :

« إن التقليد هو الذهن والذاكرة للكنيسة . ولأنها منظّمة إلهية إنسانية فالكنيسة لديها موارد تفوق الإنسانية تغترف بها التعاليم وتحافظ عليها وتجعلها حية . والروح القدس يكوّن التقليد ويجعله حياً نامياً .. والتقليد يكوّن عقلى ويعلّمه ، ويدربنى على تفهم الأسفار الإلهية ... والألفاظ الإنسانية تتعثر فى محاولتها استنفاذ سر التجسّد ، وتقصر عن احتواء اللاهوت ــ الناسوت الواحد الذى تأنس مرة وإلى الأبد . فمن الحكمة إذن أن نتواضع .

وأخيراً تحدث أنبا غريغوريوس المندوب الباباوى الممثّل للكنيسة والقبطية فقال :
١ ــ ليس هناك نص صريح ولا ضمنّى يعطى الأولوية لبطرس الرسول ، ٢ ــ إن اعترافه بأن

---

(1) هى تابعة للكنيسة الأرثوذكسية التى أسسها توما الرسول فى مقاطعة كيرلا فى الجنوب من الهند تجاه جزيرة سيلان .

يسوع المسيح ابن الله الحى قد شاركه فيه غيره[١] ، فهو كان يعبّر عن إيمان كل الرسل ، وهو كان يسبق الآخرين فى الكلام لكونه أكبرهم سناً — لأن عادة مراعاة المتقدمين فى السن كانت متّبعة بدقة بين اليهود آنذاك نراها واضحة حينما جرى هو ويوحنا إلى القبر فسبقه يوحنا فى الوصول ولكنه لم يدخل احتراماً لسنّ بطرس . والسلطة المعطاة له : سلطة مفاتيح الملكوت قد أعطيت للرسل جميعاً بالتساوى بغير تفرقة[٢] . وهذا السؤال المثلّث : « أتحبنى » — هو لإعطائه فرصة استعادة ولاءه الذى فقده بالإنكار الثلاثى وبالتالى لتقوية إيمان إخوته فى مراحم الله[٣] .

ولنتأمل معاً النقاط التالية : (أ) إن بطرس بوصفه إنساناً لا يمكن أن يكون صخرة ، فالصخرة هى السيد المسيح[٤] . (ب) إن الصخرة ثابتة غير مزعزعة ، وإيمان بطرس كان متزعزعاً وضح فى إنكاره كما وضح فى تردده لقبول الأمم قبل ختانهم[٥] . (جـ) وكلمة « بطرس » معناها حجرة ، وهو نفسه يقول عن المؤمنين « إنكم كحجارة حيه[٦] » . **وفى هذا الصدد يقول القديس أغسطينوس : « إن الرب لم يقل له أنت « بترا » بل أنت « بتروس » ، لأن « البترا هى السيد المسيح الذى اعترف به بطرس »** . وربنا يسوع المسيح قد رسّخ مساواة تامة بين تلاميذه بقوله : « إذا أراد أحد أن يكون أولاً فيكون آخر الكل وخادماً الكل[٧] ولما حلّ الروح القدوس على التلاميذ امتلأوا جميعاً بمواهبه من غير تمييز . **ولا توجد فى العهد الجديد إشارة واحدة تلمح إلى أن القديس بطرس شغل مركز وصى على العرش ، ولا كونه المندوب الوحيد عن يسوع المسيح** . كذلك نقرأ أن الرسل أرسلوا بطرس ويوحنا من أورشليم ليضعا أيديهما على السامريين الذين آمنوا بالسيد المسيح رباً . **فبطرس مرسَل (مع غيره) من الرسل الآخرين وليس هو بالمرسِل بوصفه الرئيس الأعلى**[٨] . وفيلبس ، وهو واحد من الشمامسة السبعة الذين أقامهم الرسل ، حين طلب إليه الخصى الحبشى أن يعمده ، اكتفى بسؤاله عن إيمانه . فلما أجابه : « أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله » ، عمّده لفوره دون الرجوع إلى بطرس[٩] .

---

(١) متى ١٤ : ٣٣ و ٢٧ : ٥٤ ، مرقس ١ : ١٠ ، يوحنا ١ : ١-٤ و ٩-١٠ و ١٤-١٥ ، المولود أعمى — يوحنا ٩ أعمال ٨ : ٣٧ و ٩ : ٢ ، رومية ١ : ٤ ، وحتى الشياطين كانت تعترف بهذه الحقيقة لوقا ٤ : ٤١-٤٢

(٢) متى ١٨ : ١٨ ، يوحنا ٢٠ : ٢٢-٢٣ ، أعمال ١٣ : ٩-١٢ و ١٥ : ٢٣-٣٠ ، ١ كورنثوس ٥ : ٣٠-٥

(٣) لوقا ٢٢ : ٣١-٣٢ ، يوحنا ٢١ : ١٥-١٧

(٤) صموئيل ٢ : ٢ و ٢ صموئيل ٢٢-٢٣ ، مزمور ١٨ : ٣١ ، ١ كورنثوس ١٠ : ٤ — ولمعرفة غيرها من الآيات الشاهدة على هذه الحقيقة انظر جـ ١ من هذا الكتاب ص ٤٧٧

(٥) ذكر البشيرون الأربعة هذا الإنكار : متى ٢٦ : ٣٤ و ٦٩-٧٤ ، مرقس ١٤ : ٦٨-٧١ ، لوقا ٢٢ : ٥٧-٦٠ ، يوحنا ١٣ : ٣٨ ، تردده غلاطية ٢ : ١١ و ١٣

(٦) بطرس ٢ : ٥

(٧) متى ١٨ : ١-٤ و٢٠ : ٢٦-٢٧ و٨-٢ ، مرقس ٩ : ٣٤-٣٥ ، لوقا ٩ : ٤٦-٤٨

(٨) أعمال ٨ : ١٤-١٨

(٩) أعمال ٨ : ٣٦-٣٧

والقديس بطرس نفسه في رسالتيه يكتفي بأن يقول عن نفسه : « رسول يسوع المسيح » ، « ووصيتنا نحن الرسل » ، بل يذهب إلى أبعد من هذا بقوله : « أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم ...» وهو في الوقت عينه يتحدث عن السيد المسيح أنه « حجر الزاوية »[١] . وهذا هو بالضبط ما قاله بولس الرسول : « ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية »[٢] . وهو يضع نفسه على قدم المساواة التامة مع القديس بطرس إذ أعلن : « فإن الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل فىّ أيضاً للأمم » ، وأنه قاومه مواجهة[٣] . فلو أن السيد المسيح أقام بطرس مندوباً أعلى عنه فهل يمكن للقديس بولس أن يتحدث عنه بهذه الحدّة ؟

أما الرآئى فى جزيرة بطمس فيتحدّث عن المدينة السماوية بأنها مُقامة على اثنى عشر أساس ، يحمل كلّ منها اسم رسول[٤] .

وبتمعّن العهد الجديد كله لا نجد به آية واحدة تدلّ على أن القديس بطرس كانت له أية صلة بالكنيسة المسيحية فى رومية . ولكننا نجد الأدلة الوفيرة فى سفر أعمال الرسل وفي الرسائل عن صلة القديس بولس برومية وبأهلها : وعندما وصل رسول الأمم إلى رومية واستقبله اليهود فيها لا يُذكر أن القديس بطرس كان منهم — بل وليست هناك أية إشارةَ خلال السنتين اللتين قضاهما القديس بولس بتلك العاصمة[٥] . وكذلك حينما كتب القديس بولس رسالته إلى أهل رومية لم يُشِر إطلاقاً إلى القديس بطرس ولم يذكره ضمن الذين بعث إليهم سلامه بالاسم[٦] . بل إنه لا توجد فى هذه الرسالة أية إشارة إليه علنية ولا ضمنية . وهو قد أعلن صراحة أنه حرص على أن لا يبشّر حيث بشّر غيره[٧] . وإنه لمن الصعب أن تتصوّر أن رومية وصلتها البشارة قبل سنة ٥٧ م . والقديس كليمنضس الرومانى تحدّث فى رسالته إلى الكورنثيين بإسهاب تفصيلّى عن القديس بولس ، ولم يُشِر لا علناً ولا ضمناً إلى مركز معيّن شغله القديس بطرس فيما يتعلق بكنيسة رومية . وجدير بالذكر أن لينُس الذى ورد اسمه فى كشف أحبار رومية الثانى بينهم كان تلميذاً للقديس بولس ومرسوماً من يده ، وهو مذكور بين من سلّم عليهم رسول الأمم[٨] .

---

(١) ٢ بطرس ٣ : ٢ ، ١ بطرس ٥ : ١ و٢ : ٦ ، أعمال ٤ : ١١

(٢) أفس ٢ : ٢٠

(٣) غلاطية ٢ : ٨ و ١١-١٤

(٤) رؤيا ٢١ : ١٤

(٥) أعمال ٢٨ : ١٤-١٦ و ٣٠-٣١ ، انظر أيضاً أعمال ١٩ : ٢١ و ٢٣ : ١١

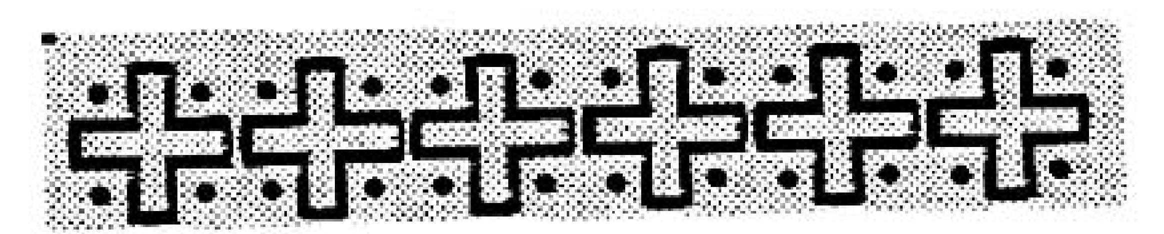
(٦) رومية ١ : ٧ و ١٦ : ١-١٦

(٧) رومية ١٥ : ٢٠ ، ٢كورنثوس ١ : ١٣-١٦
٢ تيموثيئوس ٤ : ٢١

ونسأل : هل لأسقف رومية أولوية أو امتياز على كل أساقفة العالم ؟ إن مثل هذا القول تعوزه الأدلة الروحية والدينية واللاهوتية . **وهل المسيحية ، وهى دين روحى ، تقرر أولوّيات روحية على أساس غير روحى ؟. وإذا كان موضوع الأولوية فى الخلافة الرسولية يرجع إلى المكان ـــ فلماذا لا تكون لأسقف أورشليم هذه المكانة المتميّزة على أساقفة العالم أجمع ؟** أليس هو أسقف المدينة المقدسة التى علّم فيها الراعى الصالح كما أنه فيها أيضاً عُلّق على الصليب لافتدائنا ؟

ويقال إن الكنيسة الجامعة الرسولية يجب أن يكون لها راعٍ واحد ليسوسها : وإن هذا الراعى هو الرئيس الأعلى والرمز لوحدتها والوكيل للسيد المسيح . **ومع ذلك فبولس الرسول يتحدث عن الوكلاء**[1] . **وليس عن وكيل واحد ، وهذا ما يقول به بطرس الرسول أيضاً**[2] . ولقد رأى الرسل كلهم أن سلطة المجامع تعلو على سلطتهم كأفراد : تعلو على سلطة كل واحد منهم سواءً بسواء ، وأن قرار مجمعهم صادر عن الروح القدس ذاته وبالتالى فهو قرار إلهى .. ولقد جاء فى المزمور : « الله كائن فى مجمع الله . فى وسط الآلهة يقضى[3] . وهذا اليقين هو الذى حدا بالرسل ، حين اختلفوا فى موضوع ختان الأمم قبل معموديّتهم ، أن يعقدوا مجمعاً . وفى قرارهم المجمعى أعلنوا « وقد رأى الروح القدس ونحن »[4] . وكان القديس بطرس مجرد عضو فى هذا المجمع الرسولى العظيم الذى رأسه يعقوب الرسول . **ومن هذا كله نرى أنه ، فى العصر الرسولى ، لم يكن للقديس بطرس أى امتياز يرفعه فوق إخوته الرسل**[5] .

ونرى من هذا الحديث أن الحرية كانت مكفولة : فالجميع أصغوا إلى كلمة الأنبا غريغوريوس بهدوء ومن غير مقاطعة . فرب الكنيسة المصرية ، فى سهره عليها ، شاء أن يتيح لها الفرصة لأن تعلن الحق الذى يشهد به الكتاب المقدس والذى حافظت عليه بكل حرص ، بل إنه شاء أن يتيحها لها فى عهد البابا العظيم فى تواضعه كيرلس السادس . والسيدة العذراء تعلّمنا أن القدير يرفع المتواضعين ، وهو له المجد لم يرفع مينا المتوحد ليجلسه رئيساً على شعبه فحسب ، بل أعطاه أيضاً روحاً مسكونية وقلباً وسيعاً وشفافية روحية عجيبة : إنه منحه أن يجمع بين صفات البابا كيرلس عامود الدين وبين روح الأنبا أنطونى كوكب البرية .



---

(١) ١كورنثوس ٤ : ١ (٢) ١ بطرس ٤ : ١٠ (٣) مزمور ٨٢ : ١ (٤) أعمال ١٥ : ٢٨

(٥) عن الملحق لعدد/١ « الدين والثقافة » الصادرة فى فيينا فى ديسمبر سنة ١٩٧٢ ، والملحق لعدد/٢ للمجلة عينها الصادرة فى سبتمبر سنة ١٩٧٣ ـــ نشرتها الهيئة المسكونية ـــ برو ـــ أورينتى » .

٦٠ ـــ ومن الروعة بمكان أن أحد شبابنا الغيورين[١] كتب يستحثنى على تدوين التاريخ العظيم لكنيستنا القبطية فى عصر البابا كيرلس السادس فقال : « تلك الأيام المجيدة التى عشناها بكل أعماقها ، وأحسسنا فيها بالشبع الحقيقى ، وامتلأت قلوبنا محبة لبعضنا البعض تعاطفاً مع بابانا الوقور . بل ولابد لى من أن أقول كلمة حق بشجاعة كاملة : لأنها كانت مرحلة هامة لنختزن فيها مبادىء عريقة لكنيستنا المحبوبة » .

هذه الأعماق

والواقع أن الكثيرين قد سعدوا بأن عاشوا الكنيسة بكل أعماقها . وهم ما زالوا يختزنون مبادئها العريقة ، إنهم يعلنون هذا الاختزان فى استمرار تذكرهم لما فعله البابا الوقور (بل وما زال يفعله)، لأن عجائب الله فى قديسيه سواءً كانوا على هذه الأرض أم فى فردوسه .

ومن أحلى الذكريات تلك التى اختزنتها واحدة من بناته ، وتتلخّص فيما يلى :

« فى إحدى زيارتى للقاهرة نفذت نقودى . فطلبت سلفة مقدارها ثلاث جنيهات من قريبة لى أقيم عندها » .

ثم توجّهت لزيارة الأنبا كيرلس كى أنال بركته قبل عودتى إلى الأسكندرية (حيث أعيش) . وما إن قبّلت يده حتى بادرنى بالقول : « إنت فلوسك خلصت . معلش معلش » . ودخل قلايته وأحضر لى ثلاثة جنيهات ! ثم قال لى : « خدى دول علشان ما عندكيش فلوس » . وأحسست بالخجل وقلت بصوت خافت : « مفيش داعى . أنا معايا فلوس . أنا لسه واخده من مارى » . وتعاطف معى بابتسامته الحلوة وقال : « هو معقول يبقى أبوك عايش وتاخدى من غيره ؟! روحى رجّعى الفلوس اللى أخذيتها » .

والحق إنى امتلأت دهشة أمام شفافيته العجيبة ورعايته الأبوية الحانية .

وفى مرة أخرى ذهبت كعادتى لأنال بركته . فنظر إلىّ نظرة قوية[٢] ثم قال لى الكثير من أمور حياتى وأحوالى وطباعى فى البيت حتى لكأنه يعيش فى بيتنا . لأن كل ما رواه كان حقيقة واقعة ! ولشدة خجلى تلجّم لسانى . وبعد لحظات استعدت رباطة جأشى وسألت قداسته : « عرفت ده كله إزاى يا سيدنا ؟! » .

فنظر إلىّ نظرته القوية مرة أخرى . ورجع إلى الخلف فى جلسته . وأسند رأسه على مسند كرسية . وساعتئذٍ أضاء وجهه بنور ساطع ، وتغيّرت هيئته إلى أجمل وقال لى : « إن الله أعطانى هذه الموهبة لخدمة شعبه ، فمنحنى أن أعرف ما فى أعماق النفس البشرية ، بل وعرّفنى بالكثير

---

(١) هو د. مينا بديع عبد الملك الأستاذ المساعد للرياضيات بقسم العلوم الرياضية والطبيعية ، بكلية الهندسة بالاسكندرية .

(٢) لى بنت عمة كثيراً ما سألتنى : « بتقدرى تبصّى فى عينيه ؟ بيقولوا إنها خارقة » ـــ هى خارقة ولكنها عطوفة .

من أمور العالم غير المرئى » .

وأحسست أنى ضئيلة جداً أمام عملاق الروحيات »(١) .

٦١ ــ من طرائف البابا الجليل

لقد أشار د. مينا بديع عبد الملك إلى أن الأنبا كيرلس السادس قد جمع ما بين صفات البابا كيرلس الكبير وبين روح الأنبا أنطونى . وقد تمعّنا تشابهه بالأول فى مختلف تصرفاته فيما يختص بمصر وبما هو خارج مصر . **ففى أيامه استعادت كنيستنا المصرية المحبوبة مكانتها فى العالم الخارجى بين الكنائس وبين الدول** كما كانت فى عهد البابا كيرلس الكبير وهنا نلقى بأبصارنا على مشابهته لكوكب البرية :

والشبه الذى يتبادر إلى الذهن على الفور هو أن كليهما عشق الحياة فى البرية ليخلو إلى ربه وحده . ومع أن هذه الحياة التى ما زال العالم ينذهل أمامها قد جمعتهما ، كما جمعت الكثيرين غيرهم ، **إلا أن هناك سمة مختفية عن النظرة العابرة لا يتفطنها إلا المتأملون . هذه السمة هى روح المرح الذى تميّز بها كلّ من هذين العملاقين الروحييْن .**

ونرى هذه السمة فى القصة التالية :

مما يروى عن أبى الرهبان أن صياداً للوحوش مرّ عليه ذات يوم فسمعه يسامر رهبانه ببعض النكات . فأعلن دهشته للقديس العظيم . قال له رجل الله : « أخرج قوسك من جرابك » فلما أطاعه قال له : « شد الوتر » فشدّه فكرر الطلب ثانية . وأطاعه الصياد . فلما كرر طلبه للمرة الثالثة أجابه الصياد : « لا أستطيع لأنى لو فعلت هذا لانقطع الوتر » . وعندها قال له أبو الرهبان : « هكذا نحن . إن لم نتسامر ونتندّر أحياناً ينقطع وترنا الروحى » . فاعتذر له الصياد .

وهذه الحكمة المصرية لدى آباء الصحراء قد لفتت أنظار جميع من تعاملوا معهم إذ قد وجدوا الفرح ساطعاً على وجوههم على الرغم من تقشّفاتهم وأسهارهم .

ولقد اتّسم البابا كيرلس السادس ، مع كل وقاره وجلاله ، بهذه السمة عينها التى عرفها فيه أحباؤه .

وعلى سبيل المثال : فى الأسكندرية هيئة اسمها « جماعة الإصلاح القبطى » لها نشاط ثقافى واجتماعى إلى جانب نشاطها الروحى . دعتنى هذه الجماعة ذات مرة لإلقاء محاضرة عن العلّامة

---

(١) عن السيدة ايزيس حرم المرحوم عبده بقطر ، جـ١٠ من كتب معجزات البابا كيرلس السادس ، ص٣٢-٣٣

المصرى الكبير أوريجانوس[١] . فلما لبيّت الدعوة أعلنوا عنها فى « الاجتماعيّات » . بجريدة الأهرام . وكانت لعائلتنا آنذاك صديق شديد التزمّت غضب علىّ حين قرأ الخبر . ولفوره حادثنا تليفونياً . وحين علم أنى فى طريقى إلى الاسكندرية قال : « طيب . أنا حاشتكيها للبابا كيرلس ! » . وحين علمت ، عند عودتى ، بما حدث أردت أن أستكشف الأمر . فذهبت لمقابلة الأنبا غريغوريوس الذى ما إن رآنى حتى قال بابتسامته الهادئة : « فلان اشتكاكى لقداسة البابا » ثم أشار علىّ بمقابلة البابا الوقور شخصياً . فذهبت فى اليوم التالى مباشرة وبعد أن قبلّت يده ابتسم ابتسامته الحلوة وقال : « حضرتك كنت بتلقى محاضرة عن أوريجانوس ؟! » أجبته : « ماتزعلش يا سيدنا المرة اللى جاية أتكلم عن البابا أثناسيوس الرسولى » فتحولّت ابتسامته إلى ضحكة رقيقة وهو يقول : « روحى الله يباركك » . ومنحنى بركته الرسولية لساعته .

بل إن هناك ما هو أكثر دلالةً على روح الفكاهة عنده . ذلك أنه اعتاد كلما رآنى أن يقول لى : « مالك قصيّرة كده عاملة زى البلية ! » أجبته ذات مرة « ربنا خلقنى كده . أعمل إيه ؟ » — « روحى البسى لك جزمة بكعب عالى بدل الزحّافة اللى انت لابساها دى ! » وغنى عن القول أن ضحك كل من سمع هذه النصيحة من فم رجل الله الذى شاركهم هو أيضاً الضحك !

٦٢ — للتمعّن

والواقع أننا كلما ازددنا تمعنّاً فى سيرة البابا كيرلس السادس ، وفى فترة البهاء التى عشناها تحت رعايته ، ازددنا إدراكاً بأننا لن نستطيع أن تحتويها مهما بذلنا فى هذا السبيل ، وازددنا إدراكاً فى الوقت عينه لقول البشير عن رب المجد إنه « كان ينمو فى القامة .. »[٢] فلقد تفهمّنا من خلال حياة البابا الوقور بأن السيد المسيح ما زال ينمو على الأرض . إنه ينمو بامتداد كنيسته ونموّها . إنه ينمو خلال الأجيال وفى مختلف القارات . إنه ينمو على الأخص داخل كل نفسٍ ساعيه إلى الكمال : ينمو داخل كل النفوس : هذه النفوس الوفيرة التى هى واحدة فيه على الرغم من كثرتها وتباينها وحتى على الرغم من تباعدها ينمو داخل كل هذه النفوس التى تستهدف التسلق نحو مرتفعات القداسة المتزايدة فى شاهقيّتها باستمرار : وكلما ارتفعت ازدادت وعياً بأن المشوار يطول .

فالحياة المسيحية بكليّتها معناها الوحيد هى المسيح النامى داخل عمق الشخصية وداخل الجماعة الكنسية . ينمو ليجعل الفرد والجماعة يحملون ملامح السيد المسيح ويضيئون بنوره العجيب .

---

(١) يتألف اسمه من مقطعين : « أور وهو الإله هورس ، و« جنيس » أى جنس . وهذه التسمية تعلن لنا أصالة مصريّته إذ هو « من جنس الإله هورس » .

(٢) لوقا ٢ : ٥٢

ولقد رأينا هذا النمو فى حياة البابا كيرلس السادس . فعرفنا أنه ، مع قداسته ، ينمو يوماً بعد يوم فى هذه القداسة ، ويزداد ليلة بعد ليلة تقارباً من روح ربه .

وبحياته هذه ، وفى صمت وتخشّع ، علّمنا أن الضرورة موضوعة علينا لأن نسعى لأن نعيش فى تناغم مع الملامح المقدسة التى لقادينا الحبيب .

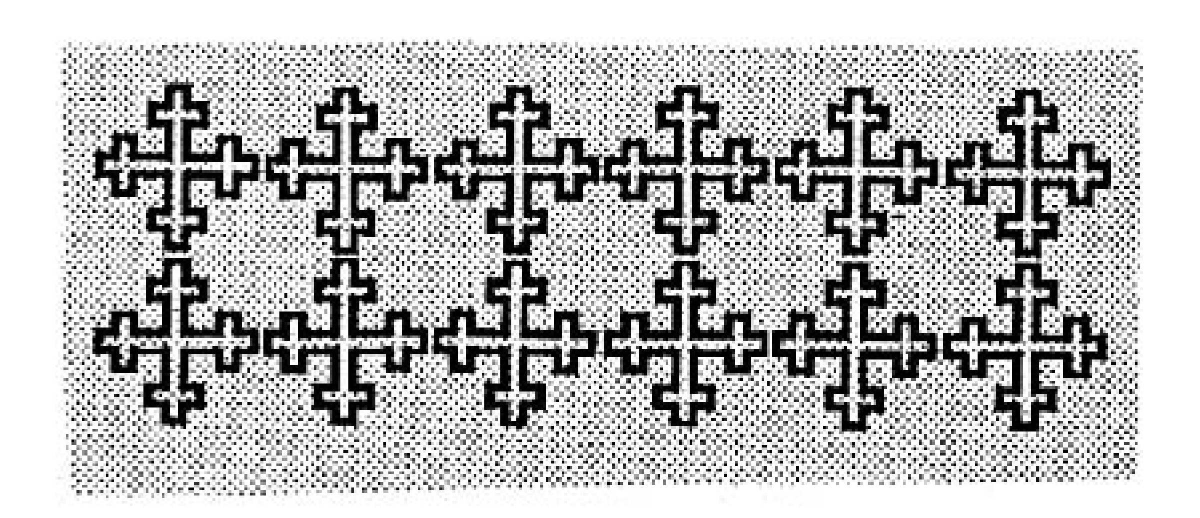
وأحلى ما نختتم به سيرة البابا الوقور الذى نعتذر إليه عن قصورنا هو أن نورد ما علّمنا إياه الأنبا كيرلس الكبير[1] عما أسبغه الله علينا من نعمة التبنّى ، قال : « **يا لسعادة الإنسان ! فهذا هو الله يأتى إلينا بنفسه**، يأتى إلينا ويعاشرنا ويتودد إلينا ، ويلبس أضعف ما فينا وهو جسدنا .

لقد انعكس الوضع تماماً فلم نعد مهددين بالخروج من حضرته أبداً وبأى حال من الأحوال . لقد أتى إلينا راضياً أن يحمل ثقل بشريتنا فيه ، اتحد بلحمنا وعظامنا فصار منا وصرنا منه ، يحيا فينا ونحن نحى فيها ، لا نستطيع أن نخرج إذ قد وُلدنا منه وصرنا من لحمه وعظامه وارثين فيه ومعه .

وهو لا يستطيع أن يتخلى عنا فقد رفع بشريتنا معه إلى السماء وسكب روحه القدوس فينا — فى داخل قلوبنا — لكى لا نحيا بأرواحنا فيما بعد بل نحيا بروحه ، بل بالحرى بينما هو يحيا فينا على هذه الأرض يجلس بجسدنا عن يمين العظمة فى الأعالى شفيعاً وضامناً لخلاصنا إلى الأبد .

إذن فحياة الإنسان مع الله قد تحوّلت فصارت فى واقعها حياة الله مع الإنسان .

وهذا هو الضمان العجيب الذى ضمنه لنا السيد المسيح بتجسده » .



(١) يظهر أن كيرلس الكبير (الأول) قد أودع داخل اسمه قبساً من شعاعه لأن الخمسة باباوات الذين حملوا الاسم من بعده كان لهم أثر بعيد فى الكنيسة القبطية خاصة وفى الكنيسة الجامعة عامة .

تعهد

انا الموقع ادناه الراهب القس مينا البراموسى اقر بأنى سآخذ احدى طواحين الهواء الخاربة بجوار قباب السبع بنات فى جهة جبل موسى ابو على بصفة مأوى للتعبد فيها منفرداً وذلك بعد استئذان حضرة مدير دار الآثار العربية بالنيابة على ان اقوم بدفع نصف قرش صاغ شهرى بصفة رسم ايجار اسمى لهذا المكان الذى يبقى دائماً ملكاً للحكومة ولها الحق فى ان تسترجعه [illegible] فى اى وقت كان دون سابق انذار وهذا التعهد حرر من صورتين بصفة عقد عرفى بينى وبين حضرة مدير دار الآثار العربية بالنيابة

القس المتأجر
القس مينا البراموسى

مدير دار الآثار العربية بالنيابة
حسين راشد

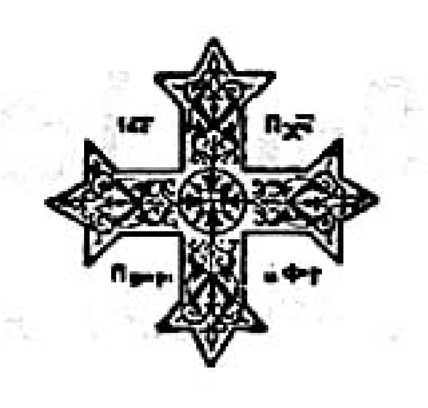
تحريراً فى ٢٠ يونيو ١٩٢٦

شهد بذلك
زكى عبده المهندس
باشمهندس [illegible]

شهد بذلك
[illegible]
بدار الآثار العربية

MUSEE ARABE
دار الآثار العربية

ـــ صورة العقد الذى أبرم بين الراهب مينا البراموسى (يرى توقيعه أقصى اليسار) ومدير دار الآثار العربية بالنيابة الأستاذ حسين راشد . وكان أحد شاهدى العقد المقاول زكي عبده المهندس . وينص العقد فى السطر الرابع على أن تكون قيمة الايجار نصف قرش فى الشهر !



الرسالة الراعوية الباباويـة

للأنبا كيرلس السادس

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

يوم حفل السيامة
الأحد ١٠ مايو ١٩٥٩ ، الموافق ٢ بشنس ١٦٧٥ ش
بالكاتدرائية المرقسية بالقاهرة (بالأزبكية)

Cⲁⲛ Ⲑⲉⲱ `ⲓⲥⲭⲣⲟⲥ

باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين

لن يأخذ أ. د هذه الكرامة لنفسه لكن من يدعوه الله نظير ما دعا هارون[١] .
(عب ٥ : ٤)

إخوتنا الاحباء الآباء المطارنة والأساقفة ،
وأبناؤنا الأعزاء الكهنة والشمامسة وكل الشعب بأنحاء الكرازة المرقسية ،

لتكثر لكم جميعاً النعمة والبركة والسلام من الله أبينا وربنا ومخلصنا يسوع المسيح . أشكر إلهى الصالح رب المجد ، الذى دعانى واختار ضعفى لهذه الخدمة المقدسة ، لا عن استحقاق ، بل بمقتضى نعمته لرعاية شعبه المبارك ، ولخدمة غايتها مجده تعالى ، وإعداد الأفراد والشعوب لميراث الحياة الأبدية .

أيها الأحباء .. إننى أشعر فى قرارة نفسى بثقل المسئولية التى وُضعت على عاتقى ، وبالأمانة المقدسة التى رُبطت فى عنقى ، وبالوزنات التى سُلمت إلىّ من رب الكنيسة – تلك الوزنات علىّ أن استثمرها لتزداد وتربح . ولكن أنا ما أنا ، بل هى نعمة الله التى ستعمل فينا وبنا . ولابد من أن الذى دعانى سيعيننى على خدمة الكرازة الرسولية . وأمامى وعده المبارك « أنا أسير قدامك والهضاب أمهّد . أكسر مصاريع النحاس ، ومغاليق الحديد أقصف »[٢] .

إنى كلى ثقة فى مراحم إلهنا الذى يقول لكنيسته « لُحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك ، بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة ، وباحسان أبدى أرحمك . قال وليُّك الرب »[٣] .

ما أحوج البشر إلى خدمة الروح فى عصر سادت فيه المادية والكفر والالحاد والاتجاهات الفكرية المنحرفة . ما أحوج الناس إلى أن يروا المسيح فى حياتنا ويشتمّوا رائحته الزكية فينا . إن على الكنيسة واجباً خطيراً فى هذه الآونة التى يجتازها العالم اليوم . عليها أن تدّعم الإيمان فى القلوب ، وتنشر

---

(١) النص القبطى — (٢) أش ٤٥ : ٢ — (٣) أش ٥٤ : ٧

الفضيلة ، وتُدخل السلام والطمأنينة إلى كل نفس متعبة ، ليتوافر الاستقرار ، وتكثر السعادة . لأن رسالة السيد المسيح هى توفير الحياة الفضلى للناس « أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل »(١) . الحياة الطاهرة النقية الهادئة المطمئنة الفاعلة التى تكوّن المواطن الصالح المنتج ، والعضو العامل بالكنيسة ، الذى يعرف أن يكون أميناً دائماً لله وللوطن وللمجتمع الإنسانى العالمى ، متعاوناً مع الجميع بروح التعاون والإخاء والإيثار .

إنى معتمد على معونة الله ومحبتكم جميعاً التى أعتز بها مستلهماً روح الآباء القديسين والباباوات البطاركة السالفين خلفاء القديس مرقس الرسول ، الذين جاهدوا الجهاد الحسن وأكملوا السعي وحفظوا الإيمان ، وسلموا إلينا الوديعة المقدسة .

لَكَمْ أتمنى أن أفتح لكم قلبى لتبصروا المحبة العميقة التى نحو الجميع ، وهى المحبة النابعة من قلب مخلصنا الذى أحبنا وافتدانا بدمه . فأطلب إلى الجميع أن يداوموا على رفع الصلوات من أجل سلامة الكنيسة ومن أجل ضعفى ، ومن أجل كل الخدام والعاملين . « يا ذاكرى الرب لا تسكتوا ولا تدعوه يسكت حتى يثبّت ، ويجعل (كنيسته) تسبيحة فى الأرض »(٢) .

وإذا كانت رسالتنا عظيمة وخطيرة بهذا المقدار ، فالأمر يتطلب تضافر القوى والجهود حتى نتمم جميعاً سعينا(٣) . إنى واثق أن إخوتنا المطارنة والأساقفة وأبناءنا المباركين الكهنة والشمامسة وأعضاء المجالس الملية العامة والفرعية ومختلف الهيئات والجمعيات العاملة ، وسائر الخدام فى كرم الرب ، سيعملون متضامنين متعاونين معنا فى محبة وإخلاص وبذل وإنكار للذات ، بقيادة ونعمة رئيس الرعاة الأعظم . ولنختفِ نحن لكى يظهر هو بمجده المبارك .

والرب أسأل أن يعطينا جميعاً الروح الواحد والقلب الواحد والفكر الواحد ، لنعمل برأى واحد ومشورة واحدة هى مشورة الروح القدس الذى قاد الكنيسة فى كل تاريخها الطويل المجيد ، ولنا هدف مقدس واحد هو مجد الله وخدمة الحق والمثل العليا .

« وإنى لست أحتسب لشىء ولا نفسى ثمينة عندى حتى أتمم بفرح سعيى والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع »(٤) . عالماً أن فرحى ومسرتى وإكليل افتخارى هو أنتم . فمسرتى فى نجاحكم ، وابتهاجى فى ثبات إيمانكم وقوة رجائكم وازدياد محبتكم .

وإله كل محبة وسلام يرعى شعب الجمهورية العربية المتحدة ويحفظ حياة السيد الرئيس جمال

---

(١) يو ١٠ : ١٠ (٢) أش ٦٢ : ٧ (٣) أع ٢٠ : ٢٤
(٤) أع ٢٠:٢٤

عبد الناصر ، رئيس الجمهورية ويؤيد بالحكمة والسداد جهاده.وكفاحه من أجل السلام وحرية الشعوب .

كما نتوجه بأصدق التحية وبركاتنا الرسولية إلى الأخ الحبيب الأرثوذكسى المبارك حضرة صاحب الجلالة الامبراطور هيلاسلاسى الأول امبراطور أثيوبيا ، وإلى جلالة الامبراطورة والأمراء وأخوتنا المطران الأنبا باسيليوس وجميع الأساقفة والكهنة الشمامسة ، وشعبنا الأثيوبى العزيز .

ونتوجه بالشكر أيضاً إلى الله أن يحفظ شعوب الكرازة المرقسية ، ويوفق بالسداد حكوماتها فى قارتى أفريقيا وآسيا ، من أجل سيادة مباىء المحبة والسلام فى العالم بأسره .

ولعظمته تعالى الشكر والمجد والكرامة دائماً إلى الأبد آمين

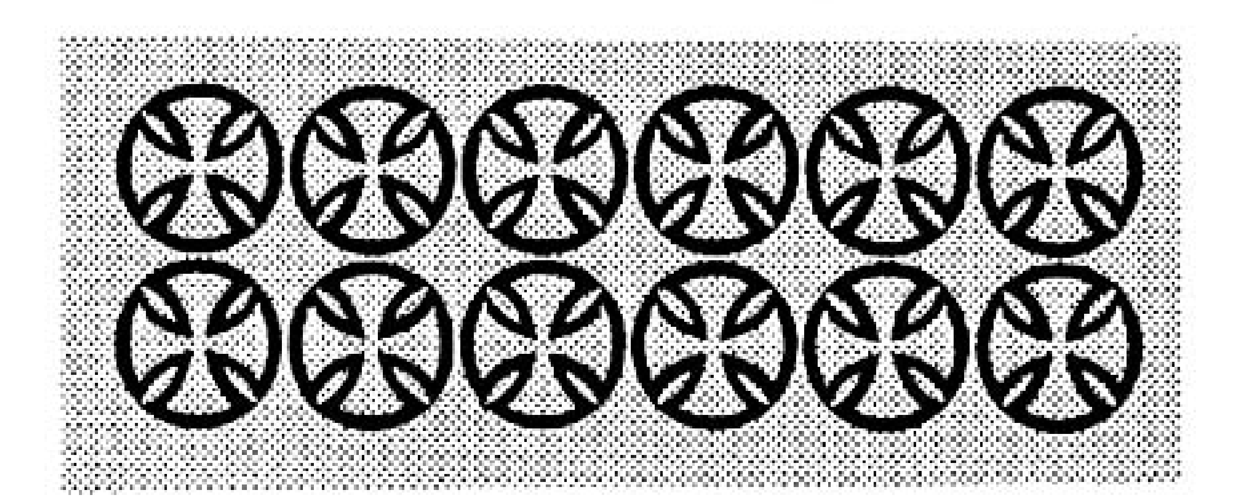
كيرلس السادس

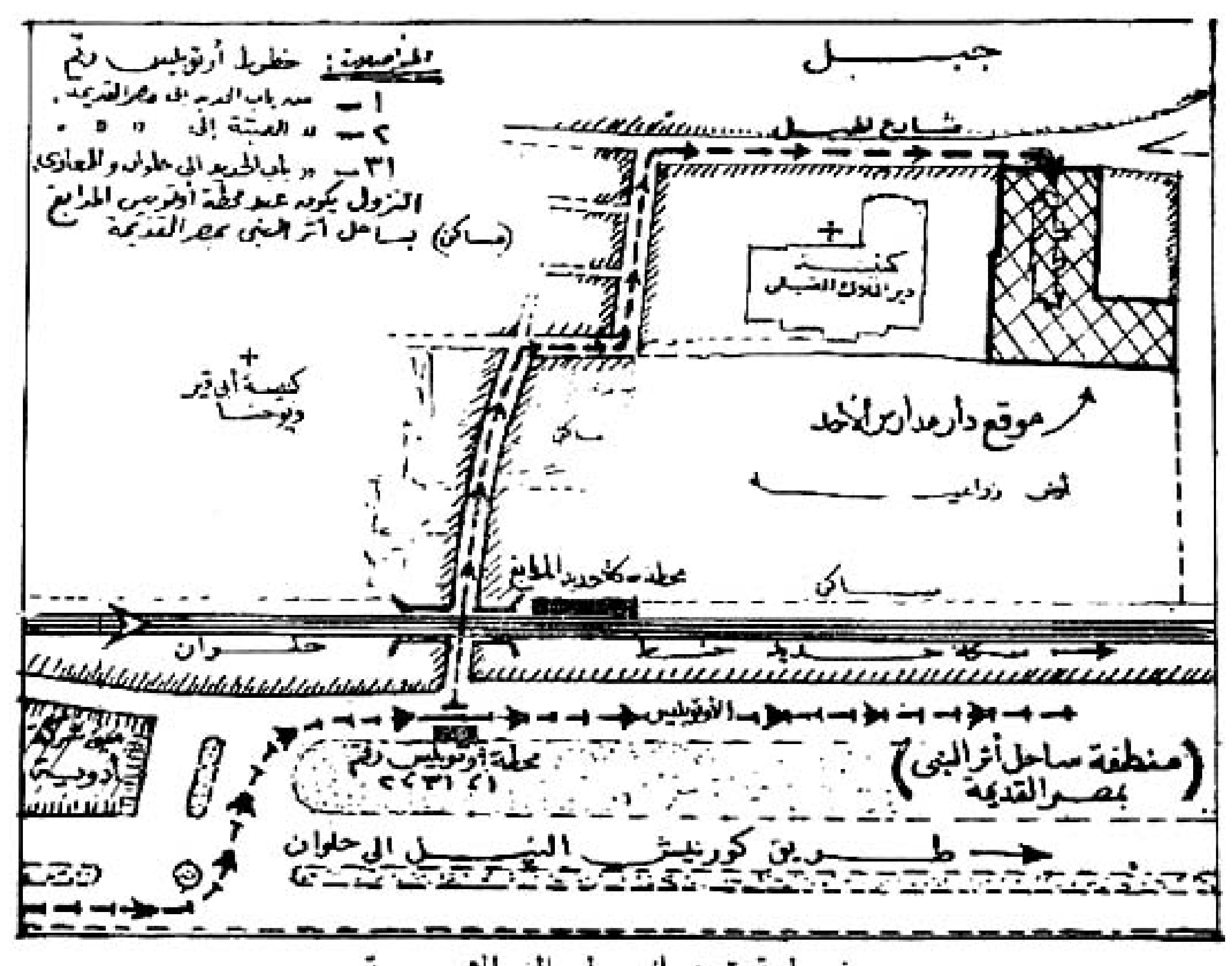
بنعمة الله بابا الاسكندرية

وبطريرك الكرازة المرقسية

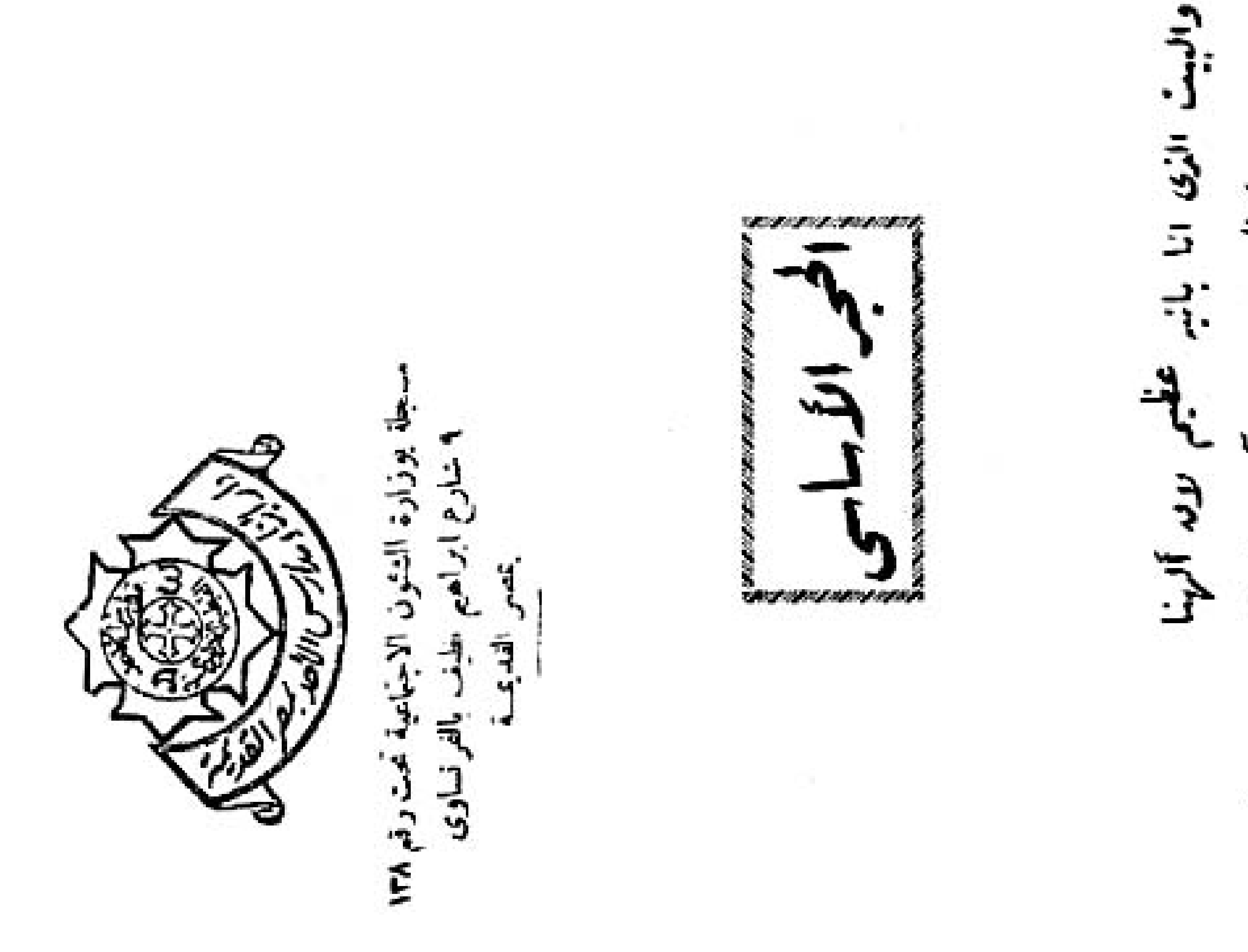
١٠ مايو ١٩٥٩ ، ٢ بشنس ١٦٧٥

(الأحد الأول من الخمسين المقدسة)





خريطة تبين الوصول إلى المؤسسة .



السيد ....

سيتفضل قداسة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية بوضع الحجر الأساسي لمؤسسة دار أبناء مدارس الأحد بمصر القديمة .

عبناها بجوار كنيسة الملاك القبلي بشارع الجبل في تمام الساعة الخامسة بعد ظهر يوم الأحد المبارك ٤ برمهات الموافق ١٣ مارس ١٩٦٠

ويسر الدار اشتراككم معها في هذا العمل المبارك من أجل هؤلاء الأيتام .

ونرجو عدم التخلف لنوال البركة الرسولية والفرح معنا في عمل الرب .

الدعوة شخصية .

برنامج الحفل

١— يا ملك السلام — « شمامسة الدار » .

٢— صلاة الشكر من فم قداسة البابا البطريرك .

٣— كلمة الدار الاستاذ فوزى مسعد أمين الدار .

٤— لحن أيها الرب إله القوات « شمامسة الدار »

٥— المرأة في خدمة الكنيسة الآنسة ايريس حبيب المصرى

٦— خين افران « شمامسة الدار »

٧— خدمة الأيتام يلقيها الدكتور وهيب عطاالله (انبا غريغوريوس) .

٨— صلاة ختامية .

تتشرف

جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة

جمعية الشابات المسيحية بالقاهرة

بدعوتكم لحضور حفل افتتاح

أسبوع الصلاة العالمى

لجمعيات الشبان والشابات المسيحية

يقوم بالصلاة

قداسة الأنبا كيرلس السادس

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

فى الساعة السابعة من مساء يوم الأحد ٨ نوفمبر سنة ١٩٥٩

بالكتدرائية المرقسية

دعوة خاصة للأعضاء وأسرهم

ΠΙΜΑ ΝΠΑΤΡΙΑΡΧΗϹ ΝΡΕΜΝΧΗΜΙ

ΝΟΡΘΟΔΟΞΟϹ



بطريركية الأقباط الأرثوذكس

يسرها دعوة السيد [illegible]

لحضور القداس الإلهى الذى يقام برئاسة صاحب القداسة البابا

الأنبا كيرلس السادس

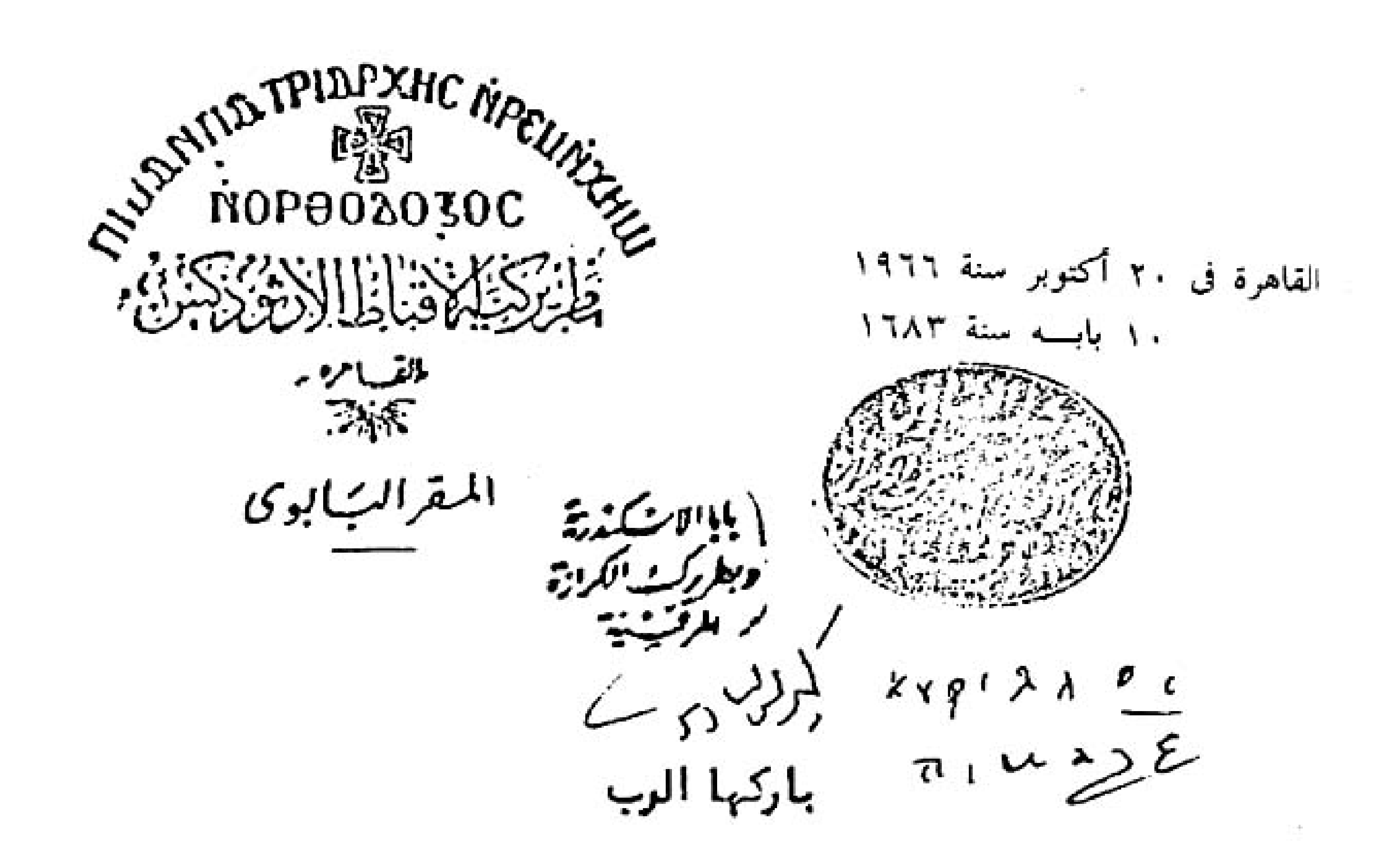
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

ويحضره صاحب الجلالة امبراطور اثيوبيا

هيلاسلاسى الأول

وذلك بالكاتدرائية المرقسية بالقاهرة فى الساعة السابعة والنصف من صباح الأحد الموافق ١٦ اكتوبر سنة ١٩٦٦ - ٦ بابه سنة ١٦٨٣

الدعوة شخصية والحضور قبل الموعد بنصف ساعة



القاهرة فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٦٦
١٠ بابـه سنة ١٦٨٣

الابنة المباركة الآنسة ايريس حبيب المصرى
بعد منحك البركات وإمدادك بصالح الدعاء

لما تعرفه فى بنوّتك من الهمة المتوقدة والرأى الناضج وما تتحلين به من وفاء وإخلاص للكنيسة وشعبها وما تهتمين إليه دائماً لخير الشابات القبطيات الأرثوذكسيات ومستقبلهن الزاهر أدبياً واجتماعياً وعلمياً والحفاظ على تقاليد الكنيسة وتعاليمها الأرثوذكسية ليكنّ مثلاً طيباً وأنموذجاً صالحاً بين شابات الوطن العزيز ليرى الجميع أعمالهن الصالحة فيمجدوا الله تعالى بسببهن . لذلك رأينا أن تكونى (رائدة الشابات القبطيات) تجتمعين بهن فى اجتماعات خاصة فى القاعتين الملحقتين بكنيستى الشهيدين العظيمين مارمرقس ومارجرجس بمصر الجديدة ، وفى القاعة المرقسية وفى القاعات الأخرى الملحقة بالكنائس القبطية وذلك فى أوقات وأيام تحددينها يعلن عنها فى الجرائد . فتوجهين إلى الشابات المباركات فى محاضرات ودروس منتظمة أسبوعية ليتثقفن دينياً واجتماعياً وأدبياً ليزددن تعلقاً وحباً لكنيستهن القبطية ووطنهن المحبوب .

ولاشك فى أنك ستكونين عند حسن ظننا فى القيام بهذه المهمة العظيمة التى أُلقيت على عاتقك واثقين أنه سيصلنا من آن لآخر عن نشاطك ما يطّمنا ويؤكد لنا جهودك الصادقة فى هذا الميدان المبارك .

والله تعالى قادر أن يساعدك ويوفقك ويبارك جهودك لخير الكنيسة وشاباتها المباركات ونعمة الرب تشملك ويده تحفظك ولعظمته تعالى الشكر دائماً ،،،

الخطاب
الذى ألقاه الوفد المنتدب من قبل
صاحب القداسة البابا كيرلس السادس
بابا الاسكندرية

فى حضرة

صاحب القداسة البابا بولس السادس
بابا روما

بمناسبة نقل رفات القديس مرقس الرسول
من البندقية إلى القاهرة
يوم السبت ٢٢ يونية ١٩٦٨
١٥ بؤونة ١٦٨٤

يا صاحب القداسة

باحترام ننقل إلى قداستكم تحيات الأخوّة وأطيب التمنيات من صاحب القداسة أبينا البابا كيرلس السادس .

يا صاحب القداسة

إسمح لنا فى هذه اللحظة التاريخية أن نقول إننا سعداء جداً أن نأتى لزيارة قداستكم فى مدينة القاتيكان فى هذه المناسبة الهامة ولنتسلم الرفات المقدسة للقديس مرقس الرسول والإنجيلى ، وهو أول أسقف وأول باباوات الاسكندرية ، ثم نعود إلى بلادنا ، وإلى كنيستنا ، إلى صاحب القداسة البابا كيرلس السادس وإلى مطارنتنا وأساقفتنا وكهنتنا وشمامستنا وشعبنا المتدين الذين ينظرون بفارغ الصبر عودتنا السعيدة بهذا الكنز الثمين الذى يفوق فى قيمته كل الكنوز والثروة والأرضية .

يا صاحب القداسة

ليس هناك لسان بشرى ، مهما كان فصيحاً يمكنه أن يعبر بدقة وأمانة عن مشاعرنا الحقيقية وأفكارنا فى هذه الأيام . فمنذ الوقت الذى علمنا فيه أن قداستكم قد استجبتم لدعوة قداسة البابا كيرلس السادس بأن تهدوا رفات القديس مرقس إلى كنيسته وإلى مكانه ونحن نشعر بسعادة غامرة ، فى ذكريات سعيدة وتوقّعات مجيدة حتى اليوم الذى تحدد فيه مجيئنا هنا لنتسلم بفخر رفات بطريركنا الأول . فمشاعر أكليروسنا وشعبنا قد بلغت أوجها . وليست هى مشاعر أبناء الكرازة المرقسية

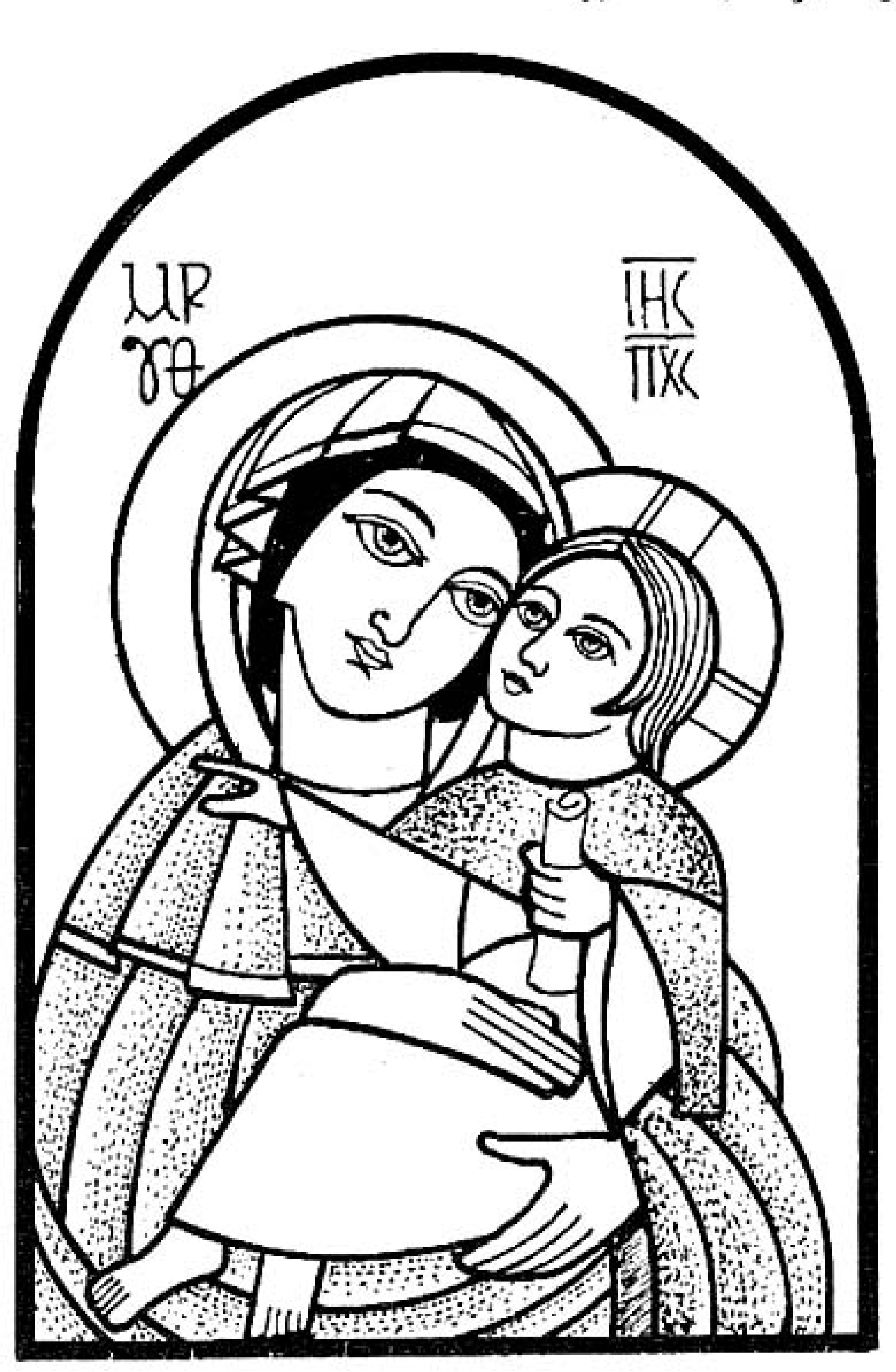
وحدهم لكنها أيضاً مشاعر جميع المواطنين على اختلاف مذاهبهم وأديانهم . وحكومتنا الطيبة تعاون الكنيسة معاونة كاملة بالنسبة لهذا الحدث الكبير الذى يحس بأهميته جميع المصريين والأثيوبيين .

إن عودة رفات مار مرقس بعد أحد عشر قرناً أى منذ القرن التاسع إلى كنيسة الاسكندرية وقاعدة الكرازة المرقسية هو حقاً حدث هام .

يا صاحب القداسة

نحن لا نعرف كيف نشكر قداستكم ، وإننا نقدّر كل التقدير ما بذلتموه من جهد فى هذا السبيل . وإننا نعتبر الهدية الثمينة التى تقدمونها الآن لكنيستنا الاسكندرية رمزاً للمحبة ودعامةً لتجديد وتوثيق لعلاقات الأخوة والتعاون بين كنيستينا .

فليمنح الله قداستكم جزيل الصحة والقوة لقيادة شعوب الكنيسة التى تحت رعايتكم فى سلام وبر ونجاح ، لسنين كثيرة آتية ــ آمين .



المراجــع

١ ــ إختباراتى الخاصة

٢ ــ د. حكيم أمين د. يوسف منصور : « عشر سنوات مجيدة فى تاريخ الكنيسة »

٣ ــ حنا يوسف عطا .
(شقيق قداسة البابا)
القس رافائيل أبّا مينا
الشماس رافائيل صبحى
مذكراتى عن حياة البابا كيرلس السادس جـ١

٤ ــ القس روفائيل أبّا مينا : مذكراتى عن حياة البابا كيرلس السادس ، جـ٢ .

٥ ــ أحد عشر مجلّداً من سلسلة « معجزات البابا كيرلس السادس » .

٦ ــ زاهر رياض : « كنيسة الأسكندرية فى أفريقيا » ، مطبعة الإيمان بشبرا ، مارس سنة ١٩٦٠ .

٧ ــ د. جورج حبيب : « ما هو واجبنا نحو الكرازة فى أفريقيا ؟ » ، استفتاء الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف ، والقمص باخوم المحرقى (أنبا غريغوريوس) والقس يوسف عبده راعى كنيسة السيدة العذراء بالزمالك ، نُشر فى مجلة الكرازة العدد الأول .
كيهك سنة ١٦٨١ ش (يناير سنة ١٩٦٥ م) .

٨ ــ أحمد شوقى أمير الشعراء : « مصرع كليوباترة » .

للمؤلفة:
٩ ــ قصة الكنيسة القبطية من جـ١ ــ جـ٦ .
١٠ ــ قصة حبيب المصرى
١١ ــ قصة الأنبا صموئيل
١٢ ــ تطلعات نحو السيدة العذراء
١٣ ــ أم الفرح وبناتها
١٤ ــ لماذا نسينا
١٥ ــ العجب الذى هو شاول ــ بولس

١٦ ــ مجلة جمعية الآثار القبطية ، العدد التاسع عشر ، سنة ١٩٦٧ ــ سنة ١٩٦٨ .

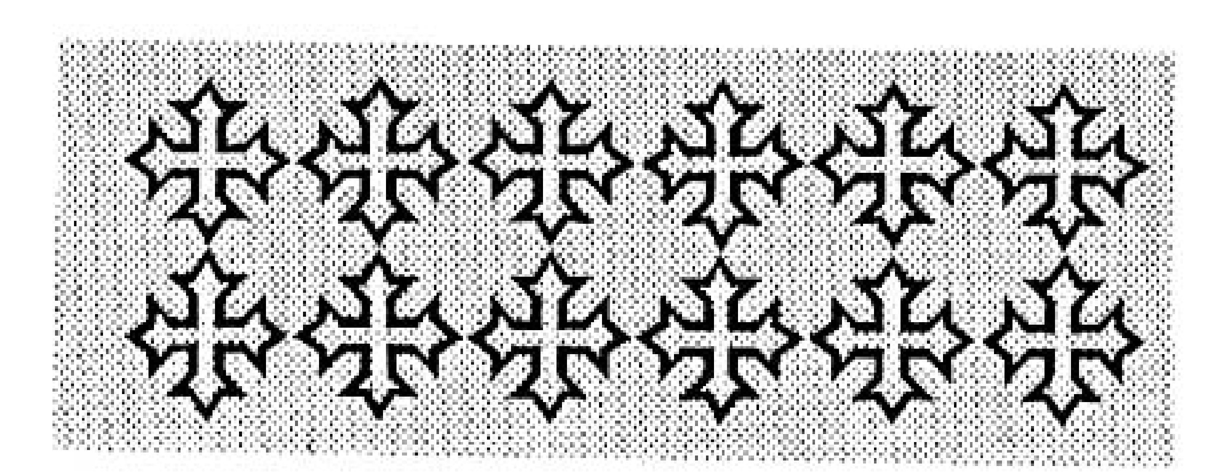
١٧ ــ مجلة مدارس الأحد ــ برمهات برمودة سنة ١٦٨٦ ش (مارس أبريل سنة ١٩٧٠ م) .
هاتور كيهك سنة ١٦٨٧ ش (نوفمبر ديسمبر سنة ١٩٧٠ م) .
هاتور كيهك سنة ١٦٩٦ ش (نوفمبر ديسمبر سنة ١٩٨٠ م) .

١٨ ــ مجلة مارجرجس ــ بابة هاتور سنة ١٦٧٩ ش (أكتوبر نوفمبر سنة ١٩٦٢ م) .
١٩ ــ رسالة المحبة (عدد خاص) برمودة سنة ١٦٨٤ ش (يوليو سنة ١٩٦٨ م) .
٢٠ ــ نشرة « الراعى الصالح » للمجلس الكنسى للكهنة الأقباط الأرثوذكس بايبارشية طهطا وطما وأبو تيج ، عدد عن عيد القيامة سنة ١٩٥٩ .
٢١ ــ نشرة « الرجاء » الصادرة فى باريس ، أبريل سنة ١٩٧٥ .
٢٢ ــ ملخص كتبه القمص ميخائيل داود يوم ٢١ بشنس سنة ١٧٠٣ ش (٢٩ مايو سنة ١٩٨٧) .
٢٣ ــ بردية إيبرز المحفوظة بمكتبة المتحف البريطانى .

الكتاب المقدس بعهديه

24 – St. Mary's Transfiguration, as reported & approved by the Papal Committe, Authorized by Abba Gregorius, Bishop for Scientific Research, & Higher Studies, pub by Al-Mahabba Book shop

25 – Revue for Religion & Culture, Supplementary issue to no.1, September 1971, & Supplementary issue to no.2, September 1973, Vienna-Lainz pub.& ed. by Pro-Oriente-Vienna,



تعاليم كنسية يجب أن نذكرها

لقد علّمنا آباؤنا أن الأسفار الإلهية كلها مترابطة ترابطاً مُحكما وأن كلاً منها يفسّر الآخر وعملاً بهذا التعليم الأبوى لنربط بين ما قاله بولس الرسول عن المساواة التامة بين الازواج والزوجات للكورنثيين وحديثه عن الزواج فى رسالته أهل أفسس[١] فنسأل هل هو يناقض نفسه ؟ كلا . فالتعليم الأبوى يؤكد أن الواقع الروحى يتساوى فى واقعيّته مع الواقع المادى . ونحن نعرف أن الجسد الإنسانى له رأس واحد وقلب واحد — هكذا الجسد الواحد المتآلف من الزوج وزوجته : فالرجل هو الرأس والقلب هو المرأة . ولنصغ هنا إلى القديس يوحنا ذهبى الفم ، فهو يقول : « **لقد بدأ بولس بمطالبة المرأة أن تخضع لزوجها لأن هذا هو الأمر الهيّن . فلا تفرحوا أيها الرجال قبل أن تتمعّنوا الوصية الموضوعة عليكم** . وما هى ؟ « وأنتم أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة » . فقولوا لى من منكم بلغت محبته لزوجته هذه القمة . ثم إن كل واحد منكم قد اختار زوجته اختياراً . **أما السيد المسيح فقد أخبرنا الأنبياء بأنه وجد عروسه ملقاة على الطريق ذات ثياب رثّة قذرة . فرفعها بحنان وغسلها ونظّفها . وألبسها ثوب العروس وعكس عليها جماله بل إنه افتداها بدمه الزكى الكريم . وبعد هذا كله خاطبها بغاية العذوبة والرقة وكأنه يستعطفها : « أرينى وجهك فهو جميل . أسمعينى صوتك فهو لطيف »[٢] . فقولوا لى أيها الأزواج : من أحب زوجته هذه المحبة العجيبة** ؟ وثقوا بأنكم يوم تحبون زوجاتكم محبة باذلة وفية سيخضعن لكم دون انتظار منكم . فبولس الرسول إذن يهدف إلى المحبة الخالصة حيث لا سيادة ولا خضوع بل تعاطف وتآلف »[٣] .

واستكمالاً لهذا التعليم نذكر قول الحكيم : « المرأة الفاضلة تاج لبعلها »[٤] — أى أنها بمثابة الميزان للرأس .

وثمة ملحوظة لابد منها تتعلق بقول رسول الأمم إن الرجل رأس المرأة : فهو يقول ذاك فى صدد الزواج ، بمعنى أن الزوج رأس زوجته[٥] . وهذا الواقع يجب أن نذكره وبخاصة لأن الرسول نفسه يعلن أنه ليس فى السيد المسيح ذكر ولا أنثى[٦] .

---

(١) ١كورنثوس ٧ : ١-٦ و ١٠-١٧ ، أفسس ٥ : ٢٢-٣٣

(٢) نشيد الأنشاد ٢ : ٤

(٣) « آباء نيقية وما بعد نيقية » ، مجلّد ١٢ ص ١٠٥

(٤) أمثال ١٢ : ٤

(٥) الواقع أن التعبير فى الأصل ورد : « أيتها الزوجات أطعن أزواجكن . وقد أورده مترجمو النسخة العربية المتداولة بيننا « أيها النساء ..» إرتكاناً على أن « النساء » مرادفة للزوجات ، فالمقصود هو « اخضعن لأزواجكن » — لأن الرسول لا يهدف إلى القول بأن أى رجل هو رأس لأية امرأة .

(٦) غلاطية ٣ : ٢٨

ولنربط الآن بين هذا التعليم وبين رؤية الأنبا كيرلس عامود الدين للزواج المسيحى فى اطار معجزة قانا الجليل — قال : « إننا لا نعبد حسب الناموس وإنما حسب الروح . نعبد بالروح والحق . **والحق معناه أن كل الأشياء جديدة فى السيد المسيح . والنص المقدس فى انجيل يوحنا يدعونا إلى أن نبتعد عن الناموس والعادات القديمة : وهذا واضح فى الحوار الساخن بين السيد المسيح والمرأة السامرية(٣) . فعرس قانا الجليل كان عرسا ووليمة . وهذا معناه أنه فى حد ذاته شيء مقدس حضرته أم المخلص . وهو أيضاً جاء إلى العرس مع تلاميذه جاء بالأكثر لكى يقدّس الجنس البشرى ، وأنا أعنى بشكل خاص أن يقدس ما يخص الجسد . وكان من اللائق أن الذى جاء لكى يجدد طبيعة الإنسان ويعيد خلقها من جديد وبالكامل إلى ما هو أفضل أن لا يقصر بركته على من دعاهم من العدم إلى الوجود فقط ، بل أيضاً يهيء نعمة للذين سيولدون فيجعل مجيئهم إلى العالم مقدساً . وهناك سبب جذرى : لقد قيل للمرأة من الله : بالوجع تلدين أولادك(٤) . فكم كانت الحاجة ماسّة إلى أن تخلص من هذه اللعنة أيضاً — وإلا فكيف نهرب من الحكم على الزواج بأنه لعنة ؟(٥) ولأن المخلص هو محب البشر فهو قد رفع هذه اللعنة إذ هو مسرة وفرح الكل . وهذا ما جعله يكرّم الزواج بحضوره شخصياً لكى يطرد العار القديم عن الحبل والولادة » .**

« والواقع أن أشياء كثيرة تمت معاً فى وقت واحد فى أول معجزة : الزواج المكرّم صار مقدساً . اللعنة التى وُضعت على المرأة رُفعت . فلم يعد مجال الكلام عن « بالحزن تلدين الأولاد » لأن السيد المسيح بارك بداية ولادتنا ، ومجد المخلص أشرق مثل الشمس » .

+ **من التعاليم الأصيلة لآبائنا أن يتناول العروسان سر الافخارستيا — معا — قبل زواجهما مباشرة لكى ينالا فيضا من نعمة الروح القدس يؤهلهما للحياة الزوجية المسيحية مدى حياتهما .**

+ **والدبلة التى يأتى بها العريس لعروسه ولنفسه هى أساساً من الذهب الخالص ،** لأن الذهب رمز للبنّوة الملكية كما أنه متكامل فى معدنه . ويُحفر اسم كلٍ من العروسين على دبلة الآخر من الداخل رمزاً إلى السّرية المقدسة التى يتّسم بها الزواج المسيحى .

---

(٣) يوحنا ٤ : ١-٢٦. (٤) تكوين ٣ : ١٦

(٥) فليتمعن المطالبون بالسلوك وفقاً للناموس هذا الإنذار الذى يطلقه البابا كيرلس الكبير كى لا يكونوا حاكمين على بقاء اللعنة على الزواج طالما هى ما زالت تلاحق المرأة . وأمام هذا التعليم الكيرلسى العميق أجرؤ على القول بأن المصرّين على حكم الناموس ينكرون النعمة التى أسبغها المخلص على أمهاتهم !

أما الدبلة « الماسية » التى شاعت أخيراً فلا تحمل أيّا من هذه المعانى التى اعتبرها آباؤنا ملازمة **للسر الزيجى المقدس الذى يحضره السيد المسيح بذاته — سريّا — ليكون هو ، له المجد ، الرابط للزوجين بمحبته الأبدية .**

+ **ومن الأدلة المذهلة على أن آباءنا كانوا على وعى عميق بأن كل شىء صار جديداً فى السيد المسيح ، أنهم وضعوا « صلاة الطشط » التى كان الكاهن يصليها فى حجرة الوالدة ووليدها — ذكراً كان أم أنثى — فى اليوم السابع من ميلاده . فيحضرون له طشطا مليئا بالماء ورغيفا . وحزمة من الشذب وقطعة من القطن . وحال انتهائه من الصلاة يمسك بحزمة الشذب ويغمسها فى الماء ويرش بها الوالدة وطفلها والحاضرين ثم بقية البيت . وبعدها يقطع لقمة من الرغيف ويأخذ فرعاً من الشذب وقطعة من القطن ويلف ثلاثتهم فى منديل يضعه تحت وسادة الأم وطفلها . وهذه ترمز إلى الخير والازدهار وطول العمر[١] .**

+ **وكان من عاداتهم أيضا « تبريك المنزل الجديد » ، بمعنى أن يقيم الكاهن صلوات خاصة ، وضعها الآباء ، للبيت الذى سيقطنه العروسان . ولو حدث أن انتقلت عائلة من بيتها إلى بيت جديد تقام هذه الصلوات فى الليلة لدخولها المنزل الجديد .**

وفوق هذا كله فقد كانت عائلات تقضى المساء الأول معاً فى إحدى حجرات النوم حيث يجلس الجميع فى دائرة : الأب والأم والأولاد ، ويتناوبون قراءة البشائر الأربعة : مبتدئين من الأصحاح الأول للقديس متى . فيقرأ كلّ منهم أصحاحا بالدور — مرة بعد الأخرى إلى أن يقرأوا والأصحاح الأخير من القديس يوحنا . وبعدها يصلّون معا ثم يأوى كلّ منهم إلى فراشه .

كذلك كان بالبيت ركن معلّقة فيه أيقونة أمامها قنديل مضاء ليلاً ، بل أحيانا كانوا يحتفظون به مضيئا خلال الأربع وعشرين ساعة : ليكون تذكرة مستمرة بالملكوت والقديسين العائشين فى النور الأسنى .

+ **ومن الممارسات الروحية تعويد النفس على المراجعة اليومية** ، أو على الأقل مراجعة أسبوعية وذلك تهيئة للاعتراف فى صدق ورصانة .

+ إن كنيستنا المحبوبة تعلمنا عن عقيدة راسخة بأن سر الافخارسيتا هو الجسد المقدس بالذات الذى تمزّق على الصليب والدم الزكى الذى تخضّب به هذا الجسد الممزّق وهو معلّق على الصليب . وهذا معناه أننا نأكل جسده ونشرب دمه كما علّمنا له المجد فى الأصحاح السادس من بشارة القديس يوحنا ثم بعد العشاء الرّبانى . ولهذه اليقينيّة تمنعنا من السجود بعد التناول

---

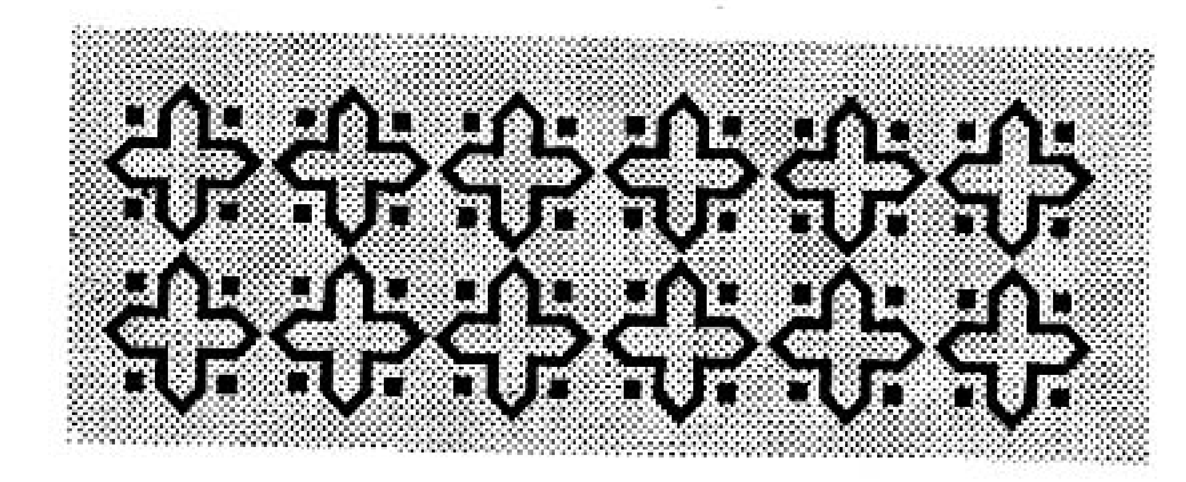
(١) ألا نرى فى هذه الرموز صدى للتعاليم الروحية الفرعونية ؟ أنظر « لماذا نسينا » و « وقائع أعجب من الخيال » للمؤلفة .

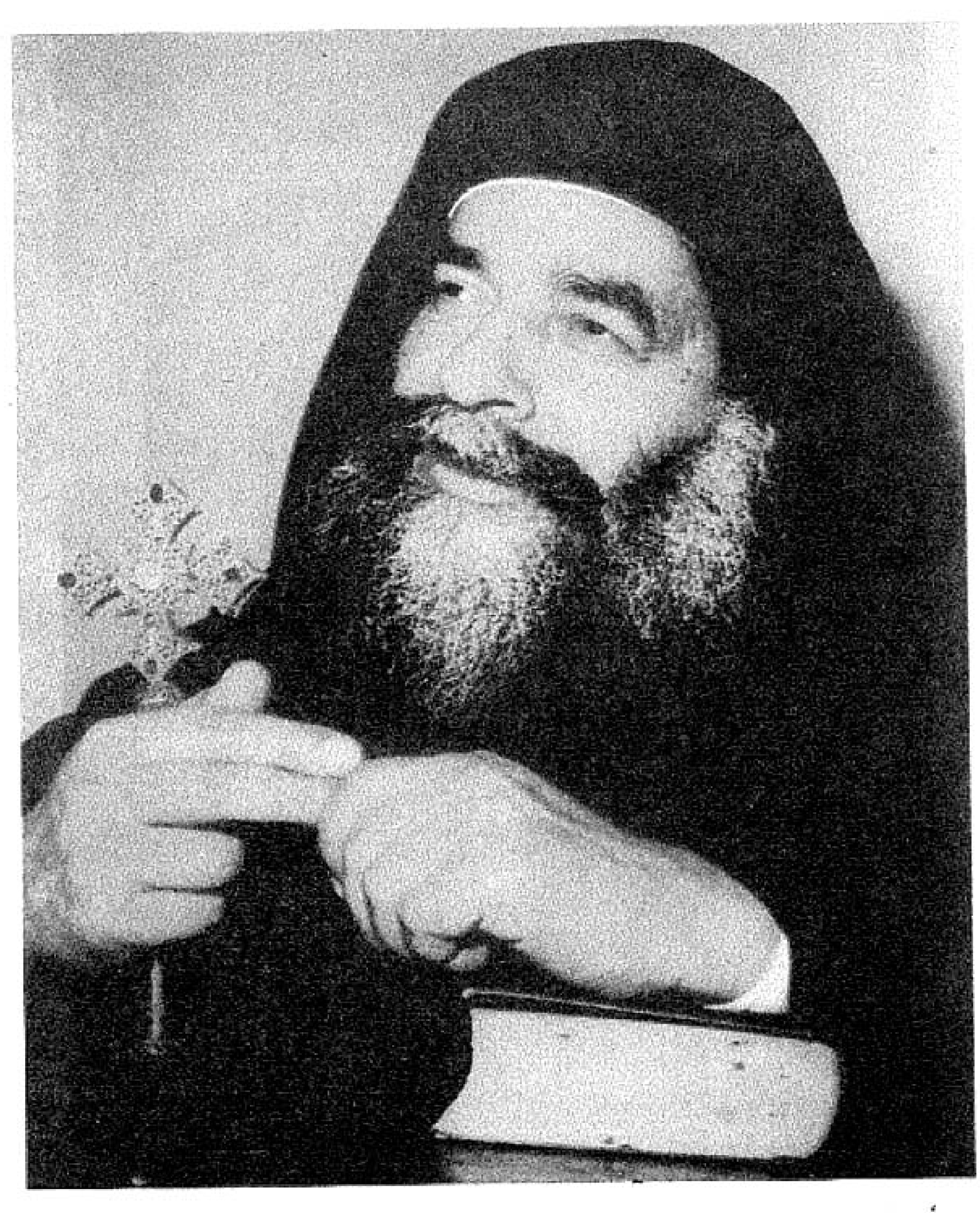
لأن الذى نسجد له هو فى داخلنا واقعيا . فاعتاد آباؤنا ، جيلا بعد جيل ، أن يظلوا واقفين وقت التناول بينما يترنّم الشمامسة بلحن « سبحوه » ويتبعونه بلحن يتناسب مع الموسم الكنسى .

وهذه العقيدة بالذات هى التى جعلتهم يحتشمون فى ملبسهم ، بل وتخلع النسوة حليّهن ، حين يذهبون متأهبين للتناول المقدس . والاحتشام يشمل الأطفال : بنين وبنات إذ قال الحكيم : ربّ الولد فى طريق الرب فمتى شاخ لايحيد عنه » .

ثم أن المتناولين كانوا يحيون بعضهم بعضا ، وهم خارجون من خورس التناول تحية الفرح بقولهم : « مبروك النعمة » أو « آنستك النعمة » أو « عقبال التناول فى القدس » .

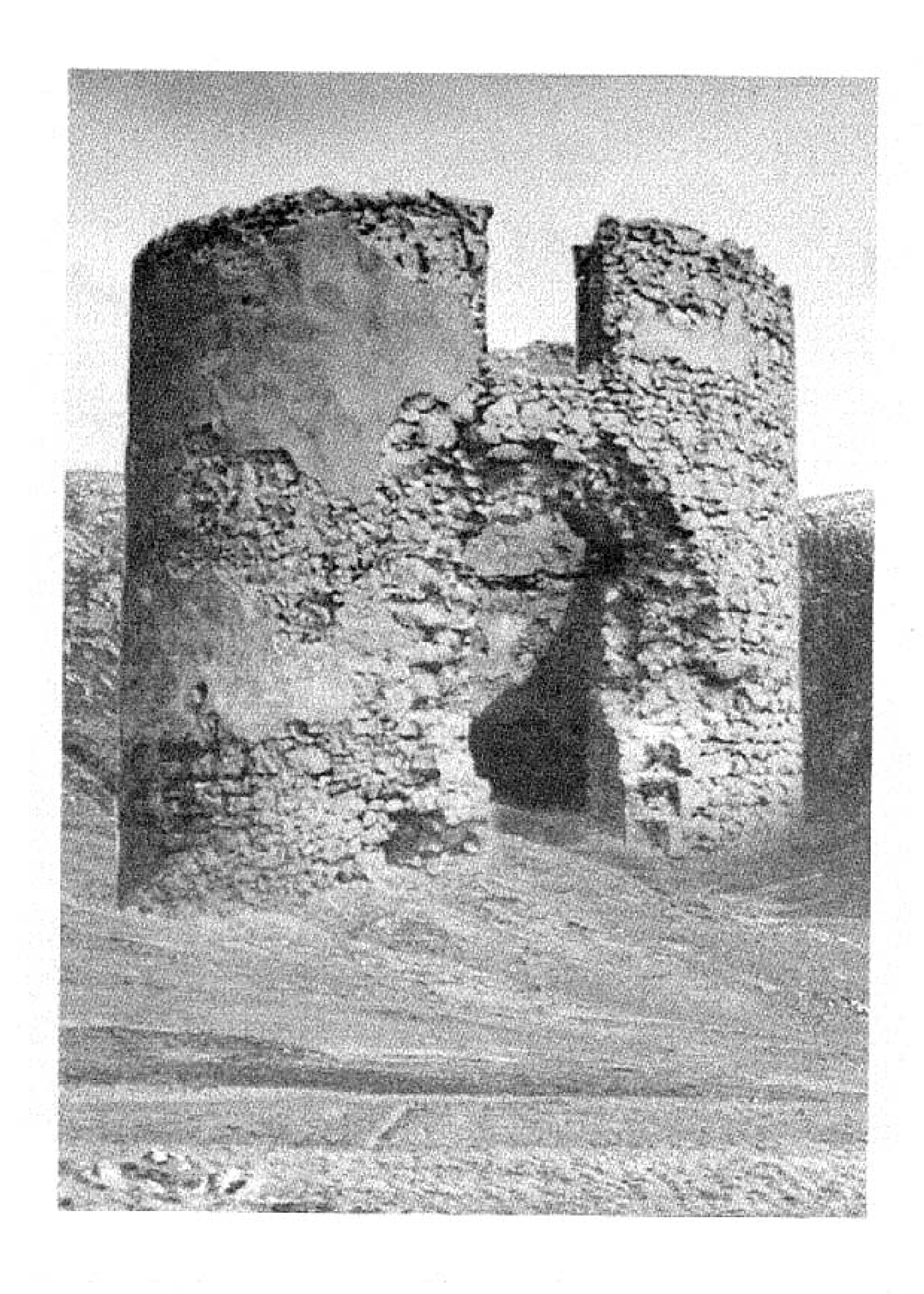
وفى النهاية يقول الكاهن للشعب « إمضوا بسلام . سلام الربّ معكم » . وهذه وصية لأن يعيشوا وفقا للمبادىء المسيحية كل يوم . لأن المسيحية ليست مجرد دين بل هى فوق ذلك حياة معاشة مع السيد المسيح شخصيا ليستطيع كل مؤمن به ، له المجد ، أن يهتف مع بولس الرسول : « لى الحياة هى المسيح » . وأسمى ما يقوّى العزيمة هى الامتداد المستمر الذى أتاحه الرب للجميع : فما على من يسقط إلا أن يعود نادماً معترفا فيقبله الفادى الحبيب . فالابن الضال عاد بثياب رثّه وسخة تحمل رائحة الخنازير ؛ وهو يظن أنه ذاهب إلى قاضٍ ؛ ولكن لأن توبته كانت صادقة وجد الأذرع الأبوية تحتضنه فى حنان عجيب .





« لأن فرح الرب هو قوتكم » نحميا ٨ : ١٠

لقد هتفت السيدة العذراء « ... تبتهج روحى بالله مخلص .. » ومذاك تتجلى أرواح أصفياء الله . وصورة الراهب مينا البراموسى (هذه) أصدق معبرّ عن بهجته الروحية (ف٦)



طاحونة الهواء بمصر القديمة حيث توّحد عدة سنوات

هذه الطاحونة شاهد أمين على إنكار الراهب مينا لكل متطلبّات الحياة المادية ، وعلى الرضى الطوعى بالفقر الذى هو الغنى الكامل . (ف٧)



بعد ظهور القرعة الهيكلية

عمق لا يُسبر . ودَهَش هو السبات الذى ينتاب النفس فى مواجهتها للكرامة التى يعطيها الله إياها .
(ف ١٠)



فى بداية شعائر الرسامة التى جرت يوم ١٠ مايو ١٩٥٩

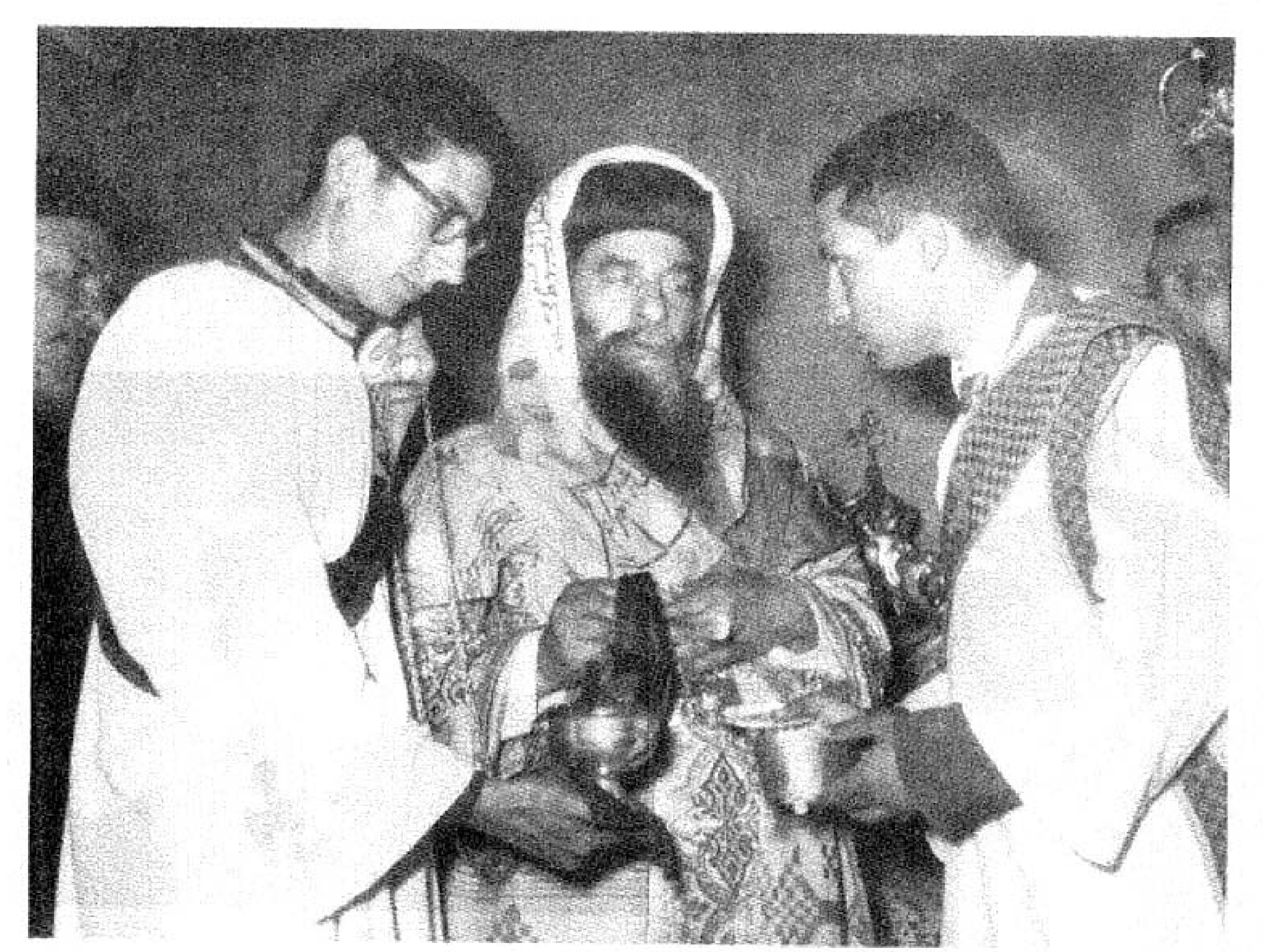
ما أروع الراهب الراكع وسط الآباء المطارنة خشوعاً منه للنداء الإلهى ؛ وما أعجب باطنية عمل الروح القدس الذى يرفع المتواضعين ليجلسهم أمام الأضواء . (ف١١)



الآباء الأساقفة يضعون الكتاب المقدس على رأسه طبقاً لشعائر الرسامة
خشوع وانحناءة تحت يد الله العالية **(ف١١)**



الصلاة
تمثال للطفلة سيدة ميساك
(عمرها ١٣ سنة)



فى القداس الإلهى يوم الرسامة أيضاً .. تأمل مدى حزنه : مسئولية جسيمة وشعور بعدم الاستحقاق .

رهبة أمام ائتمان الله ووعى دفين بمعنى الرعاية والأبوّة الروحية (ف١١)



يوم الرسامة .. البابا يتقبل تهنئة شيخ الجامع الأزهر

« هـوذا مـا أحسن وما أحلى أن يسكن الأخـوة معـاً »

(مزمور ١٣٢ في الأجبية)



امبراطور أثيوبيا يقدم هديته : حلة فاخرة ووشاح سليمان الأكبر فى ٢٨ يونية ١٩٥٩

تكريم الأبناء وفرحة ساطعة على وجه أبيهم



البابا كيرلس فى مواجهة أحد الأسود بحديقة القصر الامبراطورى خلال زيارة قداسته الأولى لأثيوبيا فى أكتوبر/نوفمبر ١٩٦٠

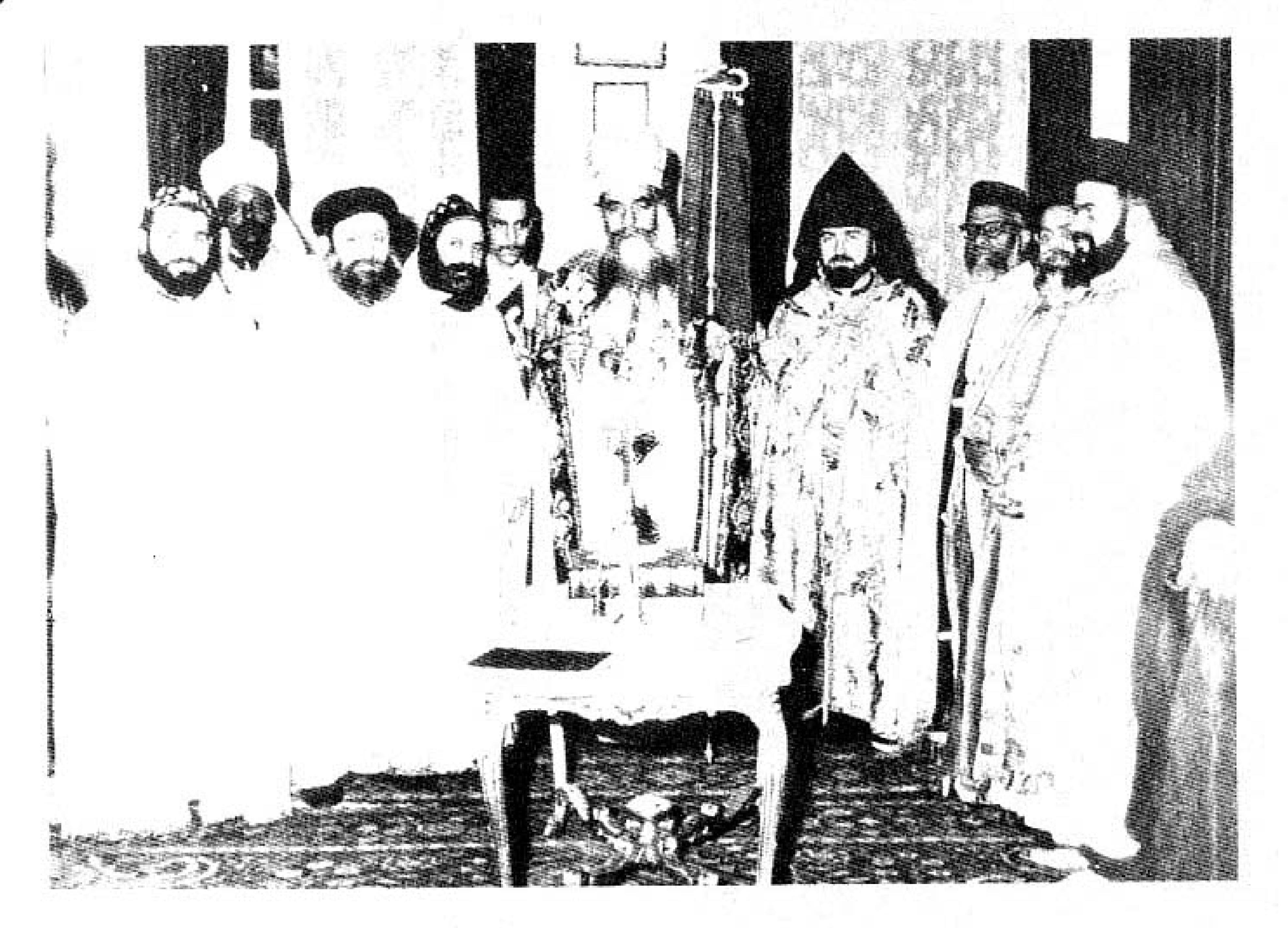
من نعمة الآب السماوى أن الأسد هو علامة بشيره مارمرقس لأن السيد المسيح موصوف بأنه الأسد الخارج من سبط يهوذا . وها هو الخليفة المرقسى يقف أمام أسد رابض فى هدوء .

(ف٧)



وأيضاً ذبيحة القداس الإلهى .. مصدر قوته وعظمتـــــه وأمجاده الخالـــدة ، والصورة لرشومات العمل ليلة أحد الأعياد .

« أما أنا فصلاة »



قداسة البابا ورؤساء الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية ليلة عيد الميلاد سنة ١٩٦٦ بالقاهرة . وهو أول قداس يجمعهم منذ قرون طويلة

« إن سلكنا فى النور كما هو فى النور فلنا شركة مع بعضنا البعض (١يوحنا ١:٧)

وهذه الشركة النورانية سطعت جليًا فى دعوة البابا كيرلس شركاءه فى الخدمة الرسولية آباء الكنائس الأرذكسية الشرقية : الكنائس الأخوات .



حديث الود والمحبة عند زيارة البابا كيرلس للرئيس جمال عبد الناصر فى بيته

إن الود والمحبة لا يبدوان فى الحديث فقط ولا حتى فى الابتسامة وحدها بل زانتها اليدان المتشابكتان المعلنتان للترابط الوثيق بين القلوب . (ف ٣٤)



استقبل الرئيس جمال عبد الناصر كيرلس السادس بطريرك الأقباط الأرثوذكس وحضر المقابلة مطارنة بني سويف والمنيا وسوهاج

(الأخبار فى ٢٣ مارس ١٩٦٠)

هذه هى مصر

« فمصر السماحة والوحدة الوطنية لا تحنى هامتها المعتزة للفُرقة أمام صوت منغوم أو بيان منظوم ، ومصر الفكر والثقافة لن تسمح لنفسها بالتراجع أمام دعاوى التمزيق الطائفى مهما ارتفعت سيوف التكفير وسهام الارتداد فى الدين ؛

ومصر الحضارة والتاريخ لن تنكمش على نفسها مهما علا التهديد ... وكأن مصر لم تكن ولا تزال مسلمة قبطية . عربية فرعونية .

أفريقية بحر — متوسطية ،

وهى فى كل الأحوال مسيرة تاريخ عظيم صنعه أبناء وطن كان الإيمان العميق أبرز ملامحه والوطنية السمحة أروع إنجازاته »

(عن كتاب «قبل السقوط» للدكتور فرج فودة ص١٠٨ــ١٠٩



.. مع الرئيس عبد الناصر عند وضع حجر أساس كاتدرائية مارمرقس بالأنبا رويس فى ٢٤ يوليو ١٩٦٥

التشارك فى العمل البناء



مع فضيلة الشيخ الباقورى فى حديث ودى عند وضع حجر أساس الكاتدرائية .

أنها ألفة حلوة تلك التى نراها فى العيون المتلاقية وفى الوجوه المبتسمة



لقاء البابا والرئيس عبد الناصر عند وضع حجر أساس الكاتدرائية

وكم كانت لهما من لقاءات (ف٣٦)



قداسة البابا والرئيس عبد الناصر وامبراطور أثيوبيا فى حفل الافتتاح يوم ١٩٦٨/٦/٢٢

مارمرقس الكـاروز العظيم يجمع بين أبناء النيل من منبعه إلى مصبه . **(ف٣٦)**



مع البطريرك الأنطاكى مار أغناطيوس يعقوب واختيار الحمل لصلاة القداس الإلهى يوم افتتاح الكاتدرائية

المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ .. المحبة ترجو كل شيء ... المحبة أساس كل بنيان (ف٣٦)

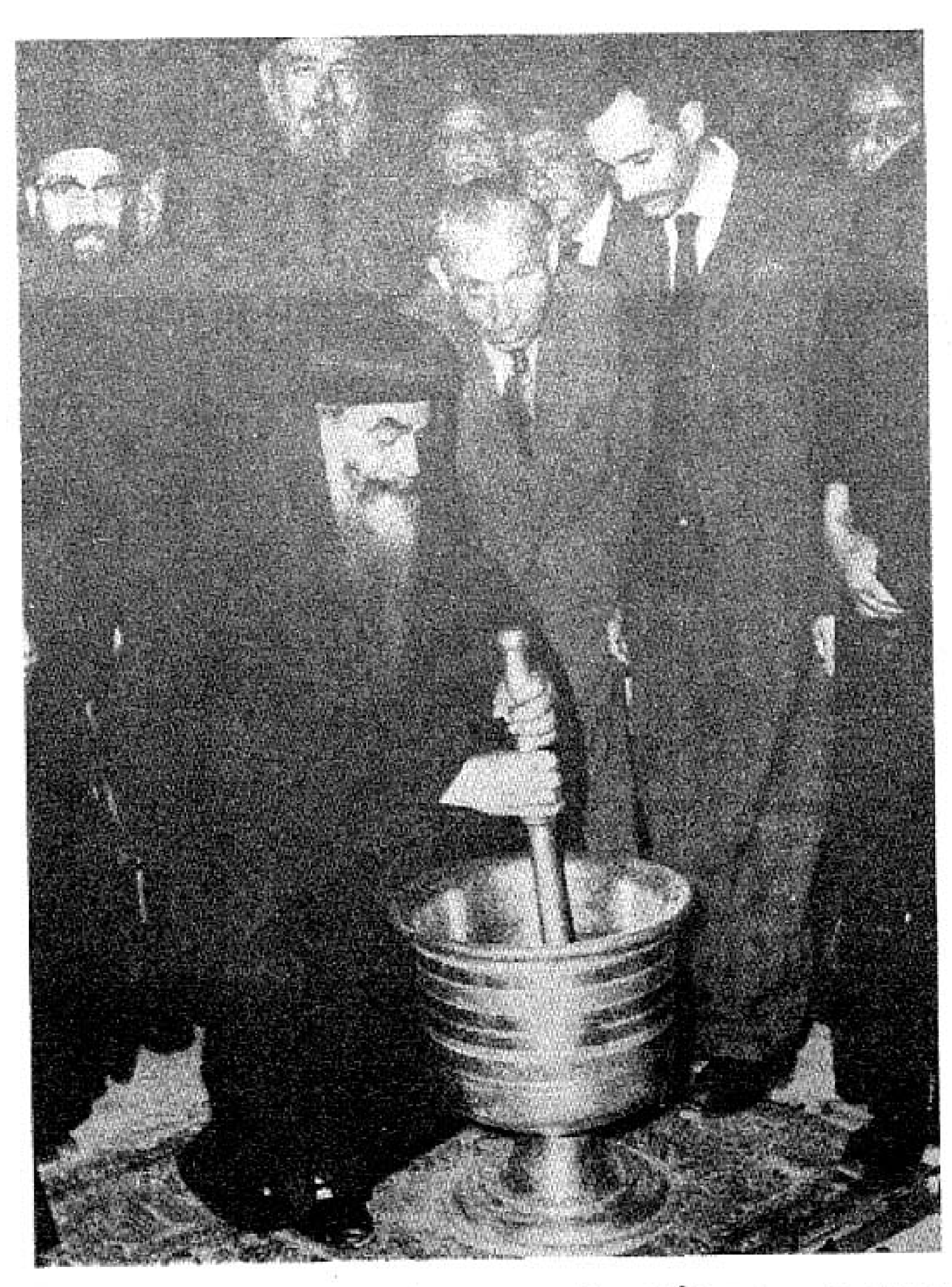


حدث تاريخي .. البابا يستقبل رفات القديس مرقس في مطار القاهرة الدولي ، ويهبط به من الطائرة (٢٤/٦/١٩٦٨)

صورة من أبهى صور القيامة : عودة مارمرقس إلى مصر التي أحبها والتي أحبته(ف٣٦)



كنيسة السيدة العذراء بالزيتون حيث كان تجليها الاعجازى منذ ٢ أبريل ١٩٦٨ والذى استمر سنتين وأربعة شهور وهو الأمر الذى لا مثيل له فى أى مكان فى العالم



قداسة البابا يقوم بطحن الأطياب لإقامة صلوات الميرون المقدس خلال الصوم الكبير سنة ١٩٦٧ وكانت هي المرة السادسة والعشرين فى تاريخ الكنيسة

إن سر الميرون ، هو سر حلول الروح القدس فينا ، يحملنا إلى القبر الفارغ إلى الأطياب التي وضعتها الأيدى المحبة على الجسد المُسجى ، فخرجت مع الرب القائم ليكون أداة السر المقدس الذى به « يأخذ الروح مما لى ويخبركم به » يوحنا ١٤:١٦ (ف٣٤)



طبخ الميرون المقدس
بمشاركة أساقفة من
كنيسة أثيوبيا

وللباطنية الدفنية
الخاصة بحلول الروح
القدس فينا الضارع
معنا « يا أبا الآب »
يجب أن يرأس شعائر
هذه الصلوات المقدسة
قداسة البابا بنفسه .



كاتدرائية مار مينا بمريوط تتسع لـ ٣٠٠٠ مصلى وترتفع منارتها إلى ٤٥ متراً .

ألا نرى فى هاتين المنارتين المرتفعتين نحو السماء صورة بهية للقيامة ؟ لقد ساد الصمت الرهيب هذه البقعة لعشرة قرون متتالية ثم عادت الألحان تتردد فى أرجائها والبخور يرتفع مع صلوات المترنمين .



قداسة البابا خلفه قلالى الرهبان أثناء إنشائها .

الفرحة بالتعمير



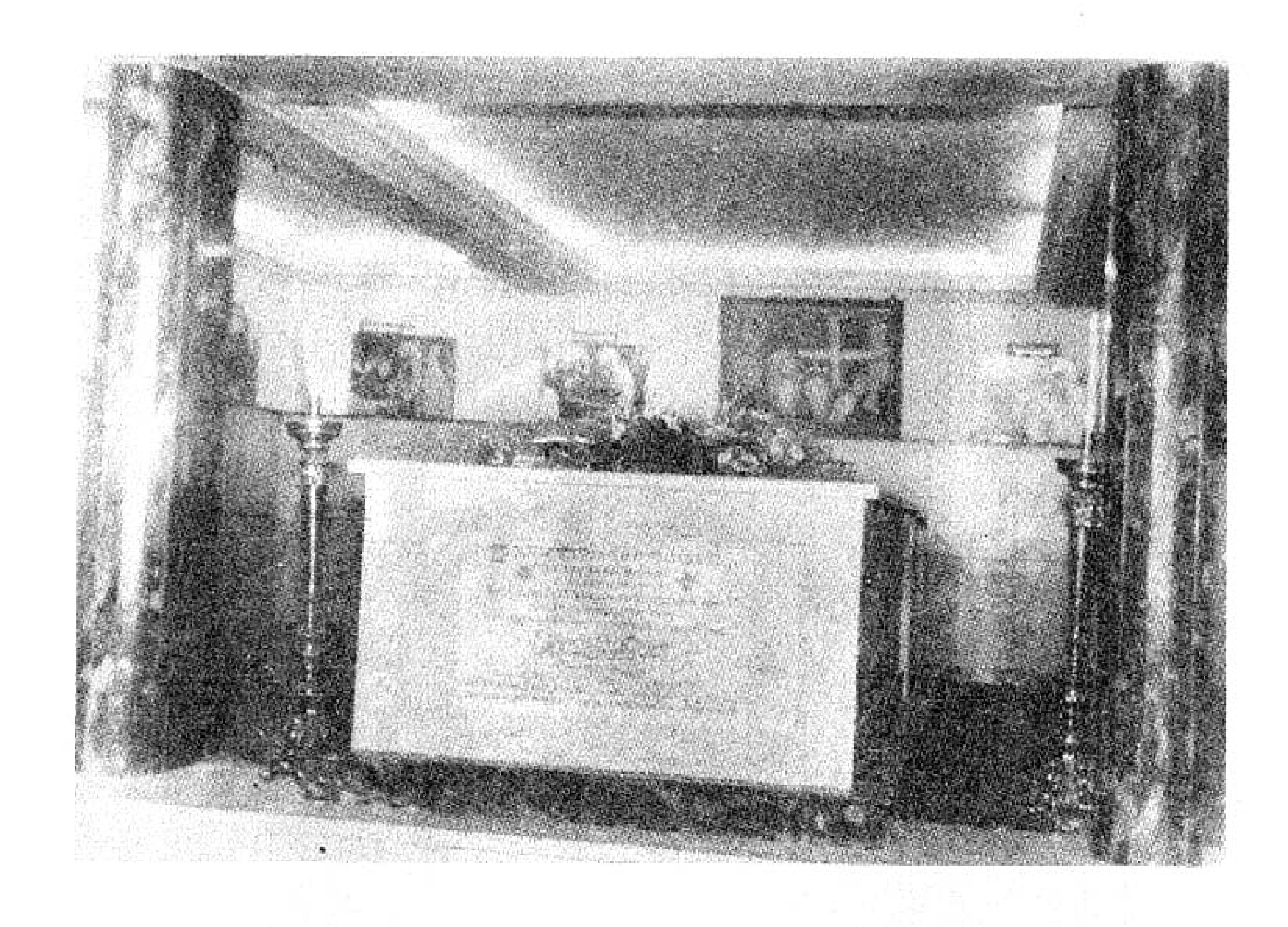
الجسد الطاهر وإلقاء نظرة الوداع



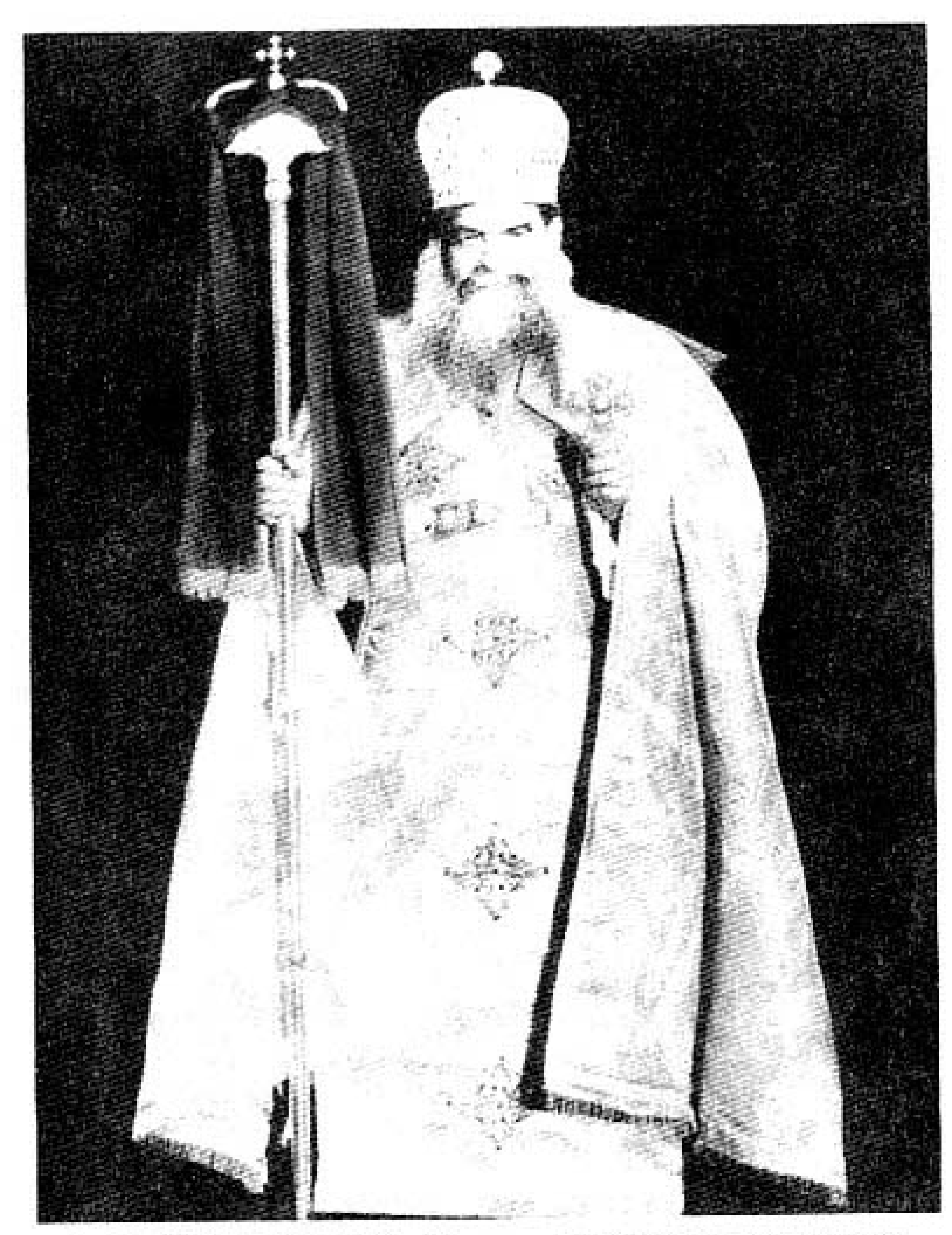
« من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشه كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبى فى عرشه »
رؤ ٣ :٢١



إشراقة الروح الوثيقة الصلة بإلهها والتى تنساب منها هذه الصلة إلى جميع الناس



مزار البابا كيرلس السادس



H. H. POPE KYRILLOS VI POPE OF ALEXANDRIA

ST. MARY'S TRANSFIGURATIONS

AT

The Coptic Orthodox Church of Zeitun

CAIRO

AS REPORTED AND APPROVED
BY THE PAPAL COMMITTEES CONCERNED

Authorized by Abba Gregorius, Bishop for Higher Studies, Coptic Culture and Scientific Research and Chairman of the Papal Committee for pursuing and investigating St. Mary's Appearances and Miracles at Zeitun, Cairo.

الصفحة الأولى للكتاب الذى أصدره نيافة الأنبا غريغوريوس عن تجلى السيدة العذراء



● عليه اللعنه
والف وخمسميت
لعنة . !!

● اللى غاوى
كلام كتير مالوش
معنى

● واللى ناوى
يفرق شملنا بدال
مايجمعنا

● واللى بيعنى
كتبنا وكنايسنا
وجوامعنا

● واللى لما تقول
كلمة حق تشلل
مواجعنا

● يسد وطن
الفل من غير
ما يسمعنا !!

بيكار

هذه هى مصر

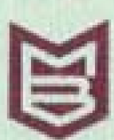
الأخبار فى ٨١/٩/١٨



تطلع نحو السماء

للفنان أمير جبرة

MAHABA BOOKSHOP



مكتبة المحبة

٢١ ش البعثة جزيرة بدران - شبرا - ت ٧٧٧٤٤٨ - ص.ب ١٢ الجزيرة الشوام

21 BEASA ST. GEZIRET BADRAN, SHOBRA, EGYPT. TEL. 777448. P.O.B. 12 [illegible]